العقيدة الإسلامية

محمود حسن حجازي

شبكة الألوكة
www.alukah.net

العقيدة الإسلامية

محمود حسن حجازي

2022-1443

كل الحقوق محفوظة

الإهـداء

إهـداء إلى أبـي العـزيز ،،،

إهداء إلى أمـي الغالية ،،،

إهداء إلى زوجتـي الحبيبة ،،،

إهداء إلى ابنـي الحبيب ،،،

إهداء إلى ابنتـي الغالية،،،

إهداء إلى كل أحبابـي ،،،

المقدمة

إنَّ الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله..

قَالَ تَعَالَىٰ: أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ آل عمران: ١٠٢

قَالَ تَعَالَىٰ: أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾

النساء: ١

قَالَ تَعَالَىٰ: أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ الأحزاب: ٧٠ – ٧١

قَالَ تَعَالَىٰ: أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨ ﴾ الحشر: ١٨

أما بعد:

فإنَّ أصدق الحديث كلام الله ﷻ، وخير الهدي هدي محمدٍ ﷺ، وشرَّ الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار..

العقيدة الإسلامية الصحيحة هي أساس الدين الإسلامي الحنيف حيث أن الإسلام دين يحادث العقول والقلوب بالفكر والمنطق والبرهان والدليل وهناك أمور تترك لله ﷻ وهي الغيبيات والتي يجب الإيمان بها أيضاً وتساعد العقيدة الإسلامية على ترسيخ الإيمان لدى المسلم عن طريق كثرة القراءة والتفحص والتمعن في أمور الدين الإسلامي.

إن الله ﷻ أرسل رسوله محمداً ﷺ بالهدى ودين الحق، ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، الذي به انشراح الصدور، وطمأنينة القلوب، وقد ضمن الله ﷻ كتابه العزيز كافة ما يحتاج إليه العباد في عقائدهم، وعباداتهم، ومعاملاتهم، وأخلاقهم، والعقيدة الإسلامية عماد هذا الدين وقاعدته، وسر قوته وظهوره على الدين كله.

فالعقيدة هي الأمر التي تصدق بها النفوس، وتطمئن إليها القلوب، وتكون يقيناً عند أصحابها، لا يمزجها شك ولا يخالطها ريب، فللعقيدة الصحيحة أثر عظيم في أنشأ أفراداً أسوياء ومجتمعات صالحة.

فالعقيدة نور، ومن أجلها أرسل الله ﷻ الأنبياء والرسل عليهم السلام، لخرج الناس من ظلمات الكفر والضلال إلى نور الإيمان والهدى، قال ﷻ: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّـٰمِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ۝٥ ﴾ إبراهيم: ٥، فكانت دعوة الأنبياء والرسل عليهم السلام جميعاً لتوحيد الله ﷻ، فالعقيدة الإسلامية الصحيحة والسليمة الخالية من الشوائب هي أساس البناء الصحيح والإيمان السليم.

وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وصلى وسلم على نبينا محمد ﷺ وآله وصحبه أجمعين

كتبه

محمود حسن حجازي

أبو حازم

فلسطين – غزة

المبحث الأول
تعريف العقيدة الإسلامية وأهميتها وخصائصها

أولاً: تعريف العقيدة الإسلامية:

في اللغة: مأخوذةٌ من الإحكامِ والشدِّ وقوةِ الربطِ، وبناءً على ذلك فيُمكن تعريفُ العقيدة الإسلامية في اللغة على أنَّها: ما بُني على اليقينِ الذي يستقرُّ في قلب العبد، والذي يسلِّم به العقلَ وتُقيّض له المشاعرَ والعواطفَ.

في الاصطلاح: الإيمانَ الجازمِ بالله ﷻ وبما يجب له من التوحيدِ والطاعةِ، والإيمان بملائكته وكتبه ورسله، والإيمان باليومِ الآخر، وبالقدرِ خيره وشرِّه، وبما يتفرع عن هذه الأصول ويلحق بها مما هو من أصول الدين، إيمانًا جازمًا لا يقبل الشكَّ ولا يمازجه الظنَّ.

العقيدة الإسلامية: فهي الإيمان الجازم بربوبية الله ﷻ وأُلوهيَّته وأَسمائه وصفاته، وملائكته، وكُتُبه، ورُسُله، واليوم الآخِر، والقَدَر خيره وشره، وسائر ما ثَبَتَ من أُمور الغيب، وأصول الدِّين، وما أَجمع عليه السلف الصالح ﷺ، والتسليم التام لله ﷻ في الأَمر، والحكم، والطاعة، والاتِّباع لرسوله ﷺ.

ثانياً: أهمية العقيدة الإسلامية:

1. العقيدة أساس الإسلام:

العقيدة هي الأساس الذي يقوم عليه الدّين الإسلاميّ وينبثق منه؛ لأنَّ الدين يُنظّم حياة الإنسان من وجوده إلى مماته، ومرتكز العقيدة هو توحيد الله ﷻ، قال ﷻ:

﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ الأنعام: ١٦٢ - ١٦٣، لذلك كانت العقيدة سواء بنصوصها، أو بأثرها في النّفوس مصبّ اهتمام الإسلام، وقد اعتنى بها رسول الله ﷺ في فترة الدّعوة بمكّة المكرمة، حتّى إذا رسخت في نفوس أصحابه ﷺ جاء الاعتناء بالجوانب الأخرى، فهي أساس الدّين، كما أنّ إيمان العبد لا يُقبل عند الله ﷻ إلّا بصحة العقيدة، كما أنّها الأمر الذي دعا إليه الرّسل جميعاً.

2. العقيدة سبيل إصلاح الكون:

يرتبط صلاح المجتمعات بصلاح أفرادها، ويتحقّق صلاح الأفراد باتّباع المنهج السّليم، والعقيدة الصّحيحة التي تُقوّم سلوكهم وتُصلِح عقولهم، لذا كانت العقيدة هي سبيل إصلاح المجتمعات، ومن ثمّ إصلاح الكون بأكمله، كما أنّ العقيدة تُحقّق التّمكين في الأرض، وقيام الدّولة الإسلاميّة المتكاملة المتماسكة.

3. العقيدة شرط قبول الأعمال:

جاء التّعبير عن العقيدة في القرآن الكريم بلفظ الإيمان، والذي يُعدّ أساس وأصل قَبول الأعمال عند الله ﷻ يوم القيامة، وتحكيم أمر الله ﷻ، والرّضا به ولو كان الحق مع غيره، ممّا يُنظّم حياة المجتمعات في الدّول الإسلاميّة، فتنبني العلاقات بين أفرادها على العدل وإعطاء كلّ ذي حقّه، وإحسان النّاس لبعضهم البعض، وذلك نتيجة اتّصافهم بمكارم الأخلاق من الصّدق، والإخلاص، والأمانة، وتحمّل المسؤوليّة، والبعد عن الحقد، والحسد، والكراهية، وسلامة الصدر، والفكر من الأفكار الضالّة.

4. العقيدة تعرّف الإنسان بنفسه وبربه ﷻ:

تقوم العقيدة بكشف حقيقة الإنسان أمام نفسه، فيعرف أنّه إنّما وُجد بإرادة الله ﷻ فهو الذي خلقه وصوّره، وأنعم عليه بالسّمع والبصر والفؤاد، ثمّ إذا عرف نفسه عرف ربّه ﷻ كما أنَّ عقيدة التّوحيد أعظم الواجبات على الإنسان، وأوّل ما يجب عليه الإيمان به، عملاً بقول رسول الله ﷺ: " أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله"[1]، كما أنَّ عقيدة التّوحيد أعظم الواجبات على الإنسان، وأوّل ما يجب عليه الإيمان به، ثمّ إنّ العقيدة تُؤثّر على صاحبها فيصبح شجاعاً باسلاً، يبذل نفسه، وماله في سبيل الله ﷻ؛ لأنّه يرى أنّ هذه عبادات يُحصّل بها الأجر والثواب، بخلاف غيره الذي يرى هذه العبادات تؤثر بعمره فتقصره، وبماله فتقلّله.

5. العقيدة تعرف الإنسان بالكون الذي يحيط به:

تحثّ العقيدة على النّظر في خلق الله ﷻ الكون وجعله متكاملاً متناسقاً، تتآلف المخلوقات فيه لتعيش، وسخّر كلّ ما فيه للإنسان لينعم بخيراته، ويستفيد من بركاته، قال ﷻ: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ الجاثية: ١٢ – ١٣

[1] رواه البخاري (1/ 14)، رواه مسلم (1/ 53)

6. العقيدة تعرّف الإنسان بسرِّ وجوده:

تُعرّف العقيدة الإنسان سبب وجوده، وغاية الله ﷻ من خلقه، فالله ﷻ لم يخلقه عبثاً ولن يتركه تائهاً، بل أمره عمارة الكون، وأن يسير باحثاً في الأرض التي يسّرها الله ﷻ له، يمشي بطرقها، ويكشف أسرارها وخيراتها، ويستخدمها فيما يُرضي خالقه، من غير اعتداءٍ على ما ليس من حقّه، ويؤدي حقّ الله ﷻ فيها، وأهم حقّ توحيده ﷻ وألا يشرك به شيئاً، والسّير على المنهج الذي أوصله إليه الأنبياء، والمرسلين عليهم السلام وهي التي تُحقّق للعبد السّعادة الدنيويّة والأخرويّة، والأمن والرّخاء، كما أنّ العقيدة تُحقّق التّمكين في الأرض والاطمئنان، وعدم انشغال الفكر بالهموم الدنيويّة؛ لأنّ غايته تحصيل رضا الله ﷻ ودخول الجنّة، فيكون مشغول بذلك.

7. العقيدة تعرف الإنسان بمصيره:

تُحدّد العقيدة مصير الإنسان بعد الموت، وتُعرّفه بعالم البرزخ الذي يعيشه جزاءً بما كسب في الدنيا.

8. العقيدة توقظ الضمير:

تزرع العقيدة السّليمة في قلب المؤمن قوّة الضّمير، وتجعله يقظاً مستشعراً مراقبة الله ﷻ له في كلّ أحواله، ممّا يدفعه إلى فعل الخير، والإقبال على الطّاعات، والتحلّي بمكارم الأخلاق، واجتناب سيّئها، فيسير صاحبها وفق هذا المنهج بثبات، وقوّة مع تغيّر الزّمان والمكان، دون أن يعتريه الضّعف، كما تعمل العقيدة السّليمة على التوازن بين مكونات الإنسان الثلاثة؛ الجسد، والعقل، والرّوح، دون إفراط ولا

تفريط، فتجعله إنساناً سويّاً، عقلانياً، وللعقيدة ميزة تجعلها مقبولة مُستجابة من قبل المدعوّين إليها، فيستجيبون لها ويقبلون على تطبيقها، والعمل بها، لأنَّها مناسبة لواقع الحياة التي يعيش فيها الناس.

9. العقيدة تورث العزة والكرامة:

تجعل العقيدة الإنسان حرّاً متحرّراً من العبودية لغير الله ﷻ، فلا يخضع لغير الله ﷻ، ولا يحكمه إلّا شرع الله ﷻ، فيوكّل أمره للخالق المدبّر المتصرّف في هذا الكون، مؤمناً بقول رسول الله ﷺ: "واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف"[1]، مما يحفظ الإنسان عن الانجراف وراء الخرافات والأوهام التي قد تُسبب له الخضوع لغير الله ﷻ.

ثالثاً: خصائص العقيدة الإسلامية:

تتميز العقيدة الإسلامية بعدة خصائص، بيان بعض منها كما يلي:

1. عقيدةٌ غيبيّة:

العقيدة الإسلاميّة عقيدة تشمل الأمور والمسائل والأحكام الغيبيّة جميعها، والتي لا تُدرَك بالحواسّ الخمس ولا بشيءٍ منها، ويجب على المسلم أن يؤمن بهذه الأمور كلّها ويصدّقها بالغيب، مثل: الإيمان بالله ﷻ، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدَر خيره وشرّه، وكذلك نعيم القبر وعذابه، وكل ما ورد ذكره ضمن

[1] سنن الترمذي (4/ 667)

الغيبيّات في القرآن الكريم والسُّنة النبوية الشريفة؛ فالإيمان بالغيب من صفات المتّقين الذين أثنى الله ﷻ عليهم في مطلع سورة البقرة، فأولئك هم المهتدون أصحاب الفلاح في الدنيا والآخرة بإذنه ﷻ، حيث قال ﷻ: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ ﴾ البقرة: ٢ – ٣

2. عقيدةٌ توقيفيّة:

العقيدة الإسلامية موقوفة على كتاب الله ﷻ، وسنّة نبيّه محمّد ﷺ، فالقرآن والسنّة هما المصدران الوحيدان اللّذان نجدُ فيهما اليقين الصادق الجازم لنستقي أمور عقيدتنا منهما بلا شك ولا ريب، حيث إنّ العقيدة ليست محلاً للظنّون والاجتهاد، ولا تؤخذ من آراء البشر وعقولهم، ولا يصلح أن تكون مبنيّة على علم البشر القاصر وقياساتهم، فهي ربانية المصدر، موحَى بها من عند الله ﷻ، فلا تستمد أصولها من غير الوحي (الكتاب والسنة).

3. عقيدةٌ وسطيّة:

عقيدة الإسلام الصحيحة لا مُغالاة فيها، فتكون دائماً في الوسط بين فريقين آراؤهما متعاكسة وباطلة، وهي حقٌّ في الأمور جميعها، فنجدُ نهج عقيدة أهل السنة والجماعة في العبادات والمعاملات كلها وسطاً، أصله في ذلك الاعتماد على النصوص الشرعيّة من الكتاب والسنة.

4. عقيدة ثابتة:

قال ﷻ: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ الروم: ٣٠، وثبات العقيدة ناتج عن أنها منزلة من عند الله ﷻ، وقد انقطع الوحي بالتحاق رسول الله ﷺ بالرفيق الأعلى من الجنة، وبقيت النصوص ثابتة إلى يوم الدين لا ينسخها ناسخ ولا يبدلها كافر، والإنسان يتحرك ويتطور وينمو، ولكن داخل إطار العقيدة الثابت الذي يتسع لحركة الإنسان ونموه، وإذا خرج الإنسان من الإطار الثابت فإنه يسبح كالنجم الذي يفلت من مداره، ويسير إلى نهايته التي تؤدي إلى اصطدامه بكوكب آخر، فيتحطم ويحطم معه غيره.

ولا بد من شيء ثابت يرجع الناس إليه، حتى يطمئنوا ويستريحوا ويكون عندهم مقياس يعرفون طول الأشياء وعرضها ووزنها، أما الذين يقولون بأن كل شيء متطور في الحياة حتى الدين والأخلاق والنظم، فهذا يؤدي إلى فوضى كبيرة، فلا نعرف الحكم على أي شيء.

5. عقيدة محفوظة:

فهي محفوظة بحفظ الدين، محفوظة بجميع جزئياتها وليس فقط قواعده وأصوله، فهي عبارة عن كنز موجود واضح بيّن نقي ليس فيه غموض، يقول النبي ﷺ: "تركتم على البيضاء، ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك"[1]، فهلاك الناس هي التي جعلتهم

[1] مسند أحمد (4/ 126)

يقصرون في البحث عن بعض المسائل أو حل مشكلاتهم من الدين، لا لأن الدين ضاع منه شيء، فإن الدين محفوظ وإلى قيام الساعة.

6. عقيدة شمولية:

شمول لجميع حاجات الفرد، في قلبه وعاطفته وأحاسيسه وفي مشاعره وجوارحه وفي متطلبات حياته الفردية والأسرية والاجتماعية والعالمية، فهي شاملة لكل ما يحتاجه أو ما يحقق السعادة للناس في الدنيا والآخرة.

7. عقيدة واضحة:

فالعقيدة الإسلامية عقيدة واضحة لا غموض فيها ولا تعقيد، فهي تتلخص في أن لهذه المخلوقات إلهاً واحداً مستحقاً للعبادة هو الله ﷻ الذي خلق الكون البديع المنسق وقدر كل شيء فيه تقديراً، وأن هذا الإله ليس له شريك ولا شبيه ولا صاحبة ولا ولد، فهذا الوضوح يناسب العقل السليم؛ لأن العقل دائما يطلب الترابط والوحدة عند التنوع والكثرة، ويريد أن يرجع الأشياء المختلفة إلى سبب واحد، وكما أن العقيدة الإسلامية واضحة فهي كذلك لا تدعو إلى الاتباع الأعمى بل على العكس فإنها تدعو إلى التبصر والتعقل قال ﷻ: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ يوسف: ١٠٨؛ ولأن العقيدة مما تحار العقول المجردة فيها ولا تصل إلى إدراكها إلا من طريق الشارع الحكيم ﷻ.

8. عقيدة سهلة وميسورة:

العقيدة الإسلامية ليس فيها ألغاز، ولا فلسفات، ولا غموض، فالعقيدة في الكتاب والسنة وعلى ألسنة أكثر السلف ﷺ، سهلة ميسورة يفهمها العامي بقدر والمثقف بقدر، وطالب العلم بقدر، والعالم الراسخ بقدر، كلٌ يفهمها، ليس في ثوابت العقيدة ما لا يُفهم، ليس فيها ما هو عسير بعكس عقائد أهل الأهواء والبدع، وهذا أمر عجيب، كل أهل الأهواء والبدع يوجد في أصولهم ما لا يفهمه إلا الخاصة منهم بدون استثناء، لا يفهمه العوام، ولا حتى طلاب العلم إلا المتخصص منهم، ما عدا العقيدة الإسلامية، عقيدة أهل السنة والجماعة، العقدية الحق تتميز بالسهولة واليسر والإحكام والوضوح، وأيضاً ثبوت المصطلحات، أصول العقيدة كلها، مصطلحاتها الشرعية ثابتة إلى قيام الساعة، لا تختلف من بين وقت ووقت.

المبحث الثاني
أسماء العقيدة الإسلامية ومصادرها وأصولها وموضوعاتها

أولاً: أسماء العقيدة الإسلامية:

العقيدة أشهر أسماء هذا العلم في هذا العصر؛ ولكنه كان يعرف عند السلف مع هذا الاسم بأسماء أخرى ربما كانت أكثر شهرة منه؛ فيطلق عليه:

1. **علم العقيدة: (والاعتقاد والعقائد)** فيُقال: عقيدة السلف ونحوه.
2. **علم التوحيد:** لأنه يدور على توحيد الله ﷻ بالألوهية والربوبية والأسماء والصفات، فالتوحيد هو أشرف مباحث علم العقيدة وغايتها، فسُمِّي بهذا العلم عند السلف ﷺ.
3. **السنة:** والسنة هي الطريقة، فأطلق على عقيدة السلف ﷺ السنة؛ لاتِّباعهم طريقة الرسول ﷺ وأصحابه ﷺ في ذلك.
4. **أصول الدين:** والأصول هي أركان الايمان، وأركان الإسلام، والمسائل القطعية، وما أجمع عليه الأئمة، فهي القاعدة التي يقوم عليها الدين.
5. **الفقه الأكبر:** وهو يُرادف أصول الدين، مقابل الفقه الأصغر؛ وهو الأحكام الاجتهادية.
6. **الشريعة:** وهو إطلاق صحيح؛ لأن الشريعة قد يُراد بها ما شرعه النبي ﷺ من عقائد، وقد يُراد بها ما شرعه النبي ﷺ من العمل، وقد يُراد بها الأمران كلاهما.
7. **الإيمان:** ويشمل سائر الأمور الاعتقادية.

8. علم الكلام: وسماه بعض العلماء بعلم الكلام؛ نظراً لأن مسألة كلام الله ﷻ كانت أكبر مسألة دار فيها الكلام والجدال، أو لأنه حينما كان يبتدأ بالكلام في مسائله يقال: "الكلام في كذا"، فسمي لهذا الاعتبار.

ثانياً: مصادر العقيدة الإسلامية:

للعقيدة الإسلامية ثلاث مصادر رئيسة هي:

المصدر الأول: القرآن الكريم: وهو أصل التلقي، والاستنباط وتقرير الأحكام الشرعية بشكل عام، وتقرير مسائل الاعتقاد بصفة خاصة، ويرد إلى كتاب الله ﷻ كلّ نزاع، فيكون حقًا إن وافقه، وباطلًا إن خالفه.

المصدر الثاني: السنّة النبوية: وتعتبر من الوحي، وهي حجّة بنفسها، وشريعتها متعبّدٌ بها، فيما يتعلق بالعقيدة وأحكامها على وجه الاختصاص، والمقصود بالسنّة، هو الصحيح الثابت منها متواترًا كان أم آحادًا، ولا يؤخذ بالضعيف أو الموضوع.

المصدر الثالث: الإجماع: أي ما أجمع عليه الصحابة ﷺ، من الأصول في الاعتقاد والإيمان، وتلقاه من بعدهم التابعين وتابعي التابعين، واشتهر وتقرر، يلي ذلك ما يجمع عليه أهل السنة في القرون كلها.

ثالثاً: أصول العقيدة الإسلامية:

ذُكرت أصول العقيدة الإسلامية في قوله ﷺ: " أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتابه، ولقائه، ورسله، وتؤمن بالبعث، وتؤمن بالقدر كله"[1]، فأصول العقيدة الإسلامية هي:

[1] رواه مسلم (1/ 40)

1. الإيمان بالله ﷻ وألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته، ويكون ذلك من خلال الإيمانِ بوجود الله ﷻ والتصديق الجازم به، وتوحيده بالذاتِ والأفعال والأسماء والصفات.

2. الإيمان بالملائكة ويكون ذلك بالتصديقِ الجازم بوجود هذه المخلوقاتِ، والإيمان بصفاتهم وأعمالهم المذكورة في القرآنِ الكريم أو في السنة النبوية المطهرة.

3. الإيمان بالكتب ويكون ذلك من خلال التصديق الجازم بأنَّ الله ﷻ قد أنزل على رسله كتبًا، وأنَّ هذه الكتب إنَّما هي كلام الله ﷻ، وأنَّ الغاية منها هي هداية البشرية وتشريع الشرائع لهم.

4. الإيمان بالرسل والأنبياء وما أنزل الله ﷻ عليهم من كُتب، وما أكرمهم الله ﷻ به من صفات حميدة، وأيدهم به من المعجزات، ويكون من خلال التصديق الجازم بأنَّ الله ﷻ قد أرسل رسلًا لهداية البشرِ، ودعوتهم إلى دينِ التوحيدِ، ودعوتهم إلى الكفر بما يُعبد من دون الله ﷻ، وتصديق هؤلاء الرسل جميعهم، والإيمان بأنَّهم بلّغوا رسالة ربهم ﷻ على أكمل وجهٍ.

5. الإيمان باليوم الآخر ولقاء الله ﷻ، وتفاصيل الآخرة من البعث والنشور والصراط والجنة والنار، وذلك بأن يؤمن المسلم أنَّ هناك يومًا يبعث الله ﷻ فيه الخلائق، ويجازيهم على أعمالهم في الدنيا، فيجازي أهل الإيمانِ بالخلود في الجنة، ويجازي أهل الكفر بالخلود في النار.

6. الإيمان بالقدر خيره وشره، وأنَّ الإنسان لا يخرج عن قدر الله ﷻ وعلمه، ويكون بإيمانِ المسلمِ بأنَّ كلَّ ما يقع له في الدنيا من خيرٍ أو شرٍ، وكلَّ ما يحصل من أحوالٍ، وما يجري في هذا الكون إنَّما هو بقضاء الله ﷻ وقدره.

ولا يصحُّ إسلام المرء إذا فرَّط بأصلٍ من هذه الأصول، وكلُّ من آمن بهذه الأصول يعدُّ مسلماً، ومن أهل النجاة في الدنيا والآخرة، وإن اختلف مع غيره في بعض الفروع.

رابعاً: موضوعات العقيدة الإسلامية:

هناك عددٌ من الموضوعات والأقسام التي تُدرس في علم العقيدةِ،

1. يُدرس في علمِ العقيدةِ الألوهيةِ:

وما يتعلق بذاتِ الله ﷻ من حيث الصفات المتصفِ بها، والصفاتِ التي يتنزه عنها، وحقوقه على عباده.

2. يُدرس في علمِ العقيدِة ذوات الرسل والأنبياء عليهم السلام:

فيتمُّ فيه بيان حقوقهم على أتباعهم والواجبات المترتبةِ عليهم، وبيان الأمور الجائزة والمستحيلةِ في حقِّهم.

3. يُدرس في علم العقيدةِ الأمور السمعية والغيبية:

وهي الأمور التي لا يُمكن للبشرِ معرفتها إلا عن طريقِ الوحيِ، ولا يستطيعُ العقلُ إثباتها أو نفيها، ولهذه الأمور ضوابطٌ وهي عدم مقدرة العقلِ على منعها أو إحالتها، فبمجرد أن صحَّ النقلَ عن رسول الله ﷺ فليس للعقلِ إلَّا التصديقَ الجازمِ بها.

4. يُدرس في علمِ العقيدةِ كيفية الردِّ على أهلِ البدعِ والأهواء:

حيث إنَّ من موضوعاتِ علم العقيدة القدرَ والأخبارَ وأصول الأحكام القطعيةِ، وكلَّ أصول الدينِ والاعتقادِ، والتي من خلالها يتعلم المسلم كيفية ردِّ الشبهات.

الفصل الأول

الإيمان بالله ﷻ

الإيمان بالله ﷻ هو الركن الأول من أركان الإيمان الستة، وهو أهمها على الإطلاق، وكل ما عداه من أركان الإيمان فإنما هو فرع له ومبني عليه.

أولاً: تعريف الإيمان بالله ﷻ:

هو الاعتقاد الجازم الذي لا يتطرق إليه شك، بوجود الله ﷻ، وأنه رب كل شيء ومليكه، وأنه المستحق للعبادة، مع كمال المحبة والذل والخضوع، وأنه المتصف بصفات الكمال، فله الأسماء الحسنى والصفات العليا، وأنه ﷻ منزه عن كل عيب ونقص.

ينقسم الإيمان بالله ﷻ إلى عدة مباحث:

المبحث الأول: الإيمان بمعرفة الله ﷻ.

المبحث الثاني: الإيمان بوجود الله ﷻ.

المبحث الثالث: توحيد الله ﷻ.

نبدأ الآن في المبحث الأول الإيمان بمعرفة الله ﷻ

المبحث الأول

الإيمان بمعرفة الله ﷻ

معرفة الله ﷻ هي أسمى المعارف وأجلّها، وهي الأساس الذي تقوم عليه الحياة الروحية كلها، وهي أول ما يجب على المكلف معرفته، قال ﷻ: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴿١٩﴾ ﴾ محمد: ١٩

أولاً: وسيلة المعرفة بالله ﷻ:

الوسيلة الأولى: المعرفة عن طريق العقل:

للعقل وظيفة التأمل والتفكير، ويستطيع الإنسان بإعمال عقله أن يتعرف على الله ﷻ، خالقه ورازقه، ومدبر أمره، قال ﷻ: ﴿ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْـَٔايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ يونس: ١٠١، وقال أيضاً: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ ﴿٤٦﴾ ﴾ سبأ: ٤٦، فللإنسان أن يفكر فيما خلق الله ﷻ من شيء في السموات وفي الأرض، قال ﷻ: ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَـَٔايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ ﴾ آل عمران: ١٩٠ – ١٩١، والغاية من

إيقاظ العقل، واستعمال وظيفة التأمل والتفكير هي أن يتفتح أمام الإنسان كتاب الطبيعة، ليتعرف منه ما لله من صفات كماله، وشمول علمه، أي الوصول إلى الحقيقة الكبرى، ألا وهي حقيقة المعرفة بالله ﷻ، قال ﷻ: ﴿ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ النمل: ٥٩ ـ ٦٤،

فهذه الآيات برهان ساطع، وحجة بالغة في معرفة الله ﷻ، ولا دليل أقوى وأوضح من ذلك.

الوسيلة الثانية: المعرفة عن طريق معرفة أسماء الله ﷻ وصفاته:

الأسماء والصفات هي الوسائل التي تعَرَّف الله ﷻ بها إلى خلقه، وهي النوافذ التي يطل منها القلب على الله ﷻ مباشرة، وهي تحرك الوجدان، وتفتح أمام الروح آفاقاً فسيحة تشاهد فيها أنوار الله ﷻ، قال ﷻ: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴿١٨٠﴾ ﴾ الأعراف: ١٨٠، **قال الشوكاني**: "هذه الآية مشتملة على الإخبار من الله ﷻ بما له من الأسماء على الجملة دون التفصيل، والحسنى تأنيث الأحسن أي التي هي أحسن الأسماء لدلالتها على أحسن مُسمى وأشرف مدْلول، ثم أمرهم بأن يدعوه بها عند الحاجة، فإنه إذا دُعِيَ بأحسن أسمائه كان ذلك من أسباب الإجابة"[1]، وقال ﷺ: "إن لله تسعة وتسعين اسماً مائة إلا واحداً، من أحصاها دخل الجنة"[2]، والإيمان بمعرفة أسماء الله ﷻ وصفاته ومعرفتها، له الكثير من الآثار الطيبة والثمرات العظيمة للمؤمن في الدنيا والآخرة، **قال العز بن عبد السلام**: "اعلم أن معرفة الذات والصفات مثمرة لجميع الخيرات العاجلة والآجلة، ومعرفة كل صفة من الصفات تثمر حالاً علية، وأقوالاً سَنية، وأفعالاً رضية، ومراتب دنيوية، ودرجات أخروية"

ثانياً: أنواع الإيمان بمعرفة بالله ﷻ:

ومعرفة الله ﷻ نوعان:

الأول: معرفة إقرار: وهذه اشترك فيها الناس جميعًا؛ الأبرار والفجار.

---

[1] فتح القدير للشوكاني (2/ 305)

[2] رواه البخاري (3/ 198)، رواه مسلم (4/ 2063)

الثاني: معرفة حب وتعظيم وإجلال: وهذه حقيقة الإيمان بالله ﷻ؛ فإن المحبة والتعظيم والإجلال فروع عن المعرفة، فمن لم يعرف ربه ﷻ حق المعرفة، فلن يحبه المحبة اللائقة به، ولن يعظمه التعظيم الذي يستحقه، ولن يقدره حق قدره، ومتى صحت هذه المعرفة للعبد أثمرت له ثمرات: منها: السكون والطمأنينة والرضا وذوق طعم الإيمان، وذلك لمعرفته ربه ﷻ بالعدل، والحكمة، والعلم، والرحمة، وحسن الاختيار، فكلما كان به أعرف كان به أرضى، فإن ضعفت هذه المعرفة ضعف معها الرضا بحسبها، فإن عدمت عدم.

المبحث الثاني
الإيمان بوجود الله ﷻ

يتضمّن الإيمان بالله ﷻ الإقرار بأنّ الله ﷻ موجودٌ بلا مُوجد، وأنّه الربّ الخالق المتحكّم بهذا الكون، وأنّه الإله الذي يُعبد ولا يعبد معه شريك، والإيمان بوجود خالقٍ ﷻ لهذا الكون يصل إليه الإنسان من خلال الفطرة قبل الأدلة العقليّة، فالإيمان بوجود الله ﷻ غير مفتقرٍ إلى دليل على الرّغم من أنّ كل شيءٍ في هذا الكون يدلّنا على وجوده ﷻ.

فإن وجود الله ﷻ هو أول الحقائق وأكبرها، ودلت على ذلك الفطر والعقول والبصائر، وهدى إليه العلم والوحي، فلم يكن هَمّ الأنبياء عليهم السلام منصرفاً إلى إثبات وجود الله ﷻ، فقد كان هذا الأمر مفروغاً منه، إنما كان أكبر هَمّهم تنقية الإيمان بالله ﷻ مما شابه من أردان الوثنية، ونجاسة الشرك الذي أفسد عقول البشر، وكان أول ما يدعو إليه الرسول ﷺ أو أي رسول: ﴿ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ٦٥ ﴾ الأعراف: ٦٥، ﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ٣٦ ﴾ النحل: ٣٦، ﴿ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا ٣٦ ﴾ النساء: ٣٦، فالإيمان بوجود الله ﷻ هو المحور الذي تدور حوله أمور العقيدة

كلها، فالإيمان بالأنبياء عليهم السلام والشرائع واليوم الآخر وغيره من جوانب العقيدة مبني أساساً على الإيمان بوجود الله ﷻ.

أولاً: دلائل وجود الله ﷻ:

لقد اضطر العلماء الذين يكتبون في عقيدة الإسلام أن يبرهنوا على وجود الله ﷻ من باب التنازل مع هؤلاء المجادلين ليرتكز الإيمان على أساس عقلي قوي ومتين، مع أن الأمر أيسر من أن يحتاج إلى برهان، والأدلة على وجود الله ﷻ لا تدخل تحت حصر، فإن في كل ذرة من ذرات الكون خلقاً متقناً ونظاماً بالغ الدقة، لا يملك كل ذي عقل أمام ذلك إلا أن يخر ساجداً لمن خلق ونظم ﷻ.

الدلالة الأولى: الفطرة:

يُقْصَد بالفطرة ما جَبَل الله ﷻ الإنسان عليه في أصل الخِلقة من معرفته بربه ﷻ، والإيمان به، ومعرفته بالأشياء المادية والأمور المعنوية الظاهرة والباطنة، ومحبته للخير وكراهيته للشر، وقد أشار إلى ذلك القرآن الكريم: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ الروم: ٣٠، قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: "﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ ﴾ نَفسك وعملك، ﴿ لِلدِّينِ حَنِيفًا ﴾ مُسلماً، يقول: أخْلص دينك وعملك لله ﷻ، واستقم على دين الْإِسْلَام،

﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ﴾ دين الله ﴿ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ﴾ الَّتِي خلق النَّاس عَلَيْهَا فِي بطُون أمهاتهم"[1]، **وقال ابن كثير**: "لازِم فطرتك السليمة، التي فطر الله ﷻ الخلق عليها، فإنه ﷻ فطر خلقه على معرفته وتوحيده، وأنه لا إله غيره"[2]، **وقال ابن عطية**: "والذي يعتمد عليه في تفسير هذه اللفظة أي: (الفطرة) أنها الخِلقة والهيئة التي في نفس الإنسان، التي هي مُعَدَّة ومهيئة لأن يميز بها مصنوعات الله ﷻ، ويستدل بها على ربه ويعرف شرائعه"[3]، فإن في النفس البشرية شعوراً مغروساً بوجود الله ﷻ، وهو شعور فطري، فطر الله ﷻ الناس عليه، وهو المعَبَّر عنه بالغريزة الدينية، فالفطرة السليمة مجبولة على الإقرار بوجود الله ﷻ، والإيمان به ﷻ، مغروز في طبيعة البشر وفي شعور كل عاقل وضميره، وذلك لما وقر في نفوسهم من عجز المخلوقين عن الخلق والرزق والتدبير.

إن وجود الله ﷻ من الأمور المتعمقة في الفطَرة البشرية السوية، فكل إنسان يشعر ويوقن داخل نفسه بأنّ له ربًّا وخالقاً، ويشعر بعظيم الحاجة إليه، فيتجه بيديه وعينيه وقلبه إلى السماء، لطلب العون من ربه ﷻ، ومن ثم فالقول بفطرية الاعتقاد والإيمان بوجود الله ﷻ أمر يقرّ به الصغير والكبير، ومن ينكر وجود الله ﷻ مخالف للفطرة السليمة.

الدلالة الثانية: الخلق:

والمراد بالخلق الإيجاد والإحداث من العدم إلى الوجود، مثل خلق السموات والأرض، وخلق الحياة في الكائنات الحية، قال ﷻ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟

---

[1] تنوير المقباس من تفسير ابن عباس ص 341
[2] تفسير ابن كثير (6/ 313)
[3] المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية (4/ 336)

﴿ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ البقرة: ٢١، وقد بين القرآن في تلك المخلوقات مظاهر قدرته ﷻ، وواسع رحمته، فعن خلق السموات قال ﷻ: ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ ﴾ ق: ٦، وعن خلق الأرض وما فيها وعليها مما يدل على الخلق والإبداع، قال ﷻ: ﴿ وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ الذاريات: ٢٠، وقال أيضاً: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ ﴾ الرعد: ٣ – ٤، وعن خلق الإنسان، قال ﷻ:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ﴿٥﴾ ﴾ الحج: ٥

فهذا الدليل من أوضح الأدلة التي نبه عليها القرآن الكريم، حيث دعا إلى إدراك وجود الله ﷻ عن طريق فعل من أفعاله ﷻ التي لا يقدر عليه البشر وهو الخلق.

الدلالة الثالثة: العقل:

أما دلالة العقل على وجود الله ﷻ، فلأن جميع المخلوقات لابد لها من خالق أوجدها على هذا النظام البديع، إذ لا يمكن أن توجِدَ نفسها بنفسها، لأن الشيء لا يَخلق نفسَه، فكل حادث لا بد له من مُحْدِث، ولأن وجودها على هذا النظام البديع المحْكَم، يمنع منعاً باتاً أن يكون وجودها صُدْفة، وهناك احتمالان لا ثالث لهما إلا الاعتراف بوجود الله ﷻ والإيمان به، **الاحتمال الأول:** أن يكون هذا الخَلق من غير خالق، وهذا مستحيل تنكره العقول السليمة، إذ لا بد للمخلوق من خالق، وللمصنوع من صانع.

والاحتمال الثاني: أن يكونوا ـ أي الخَلْق ـ هم الذين خلقوا أنفسهم وخلقوا الكون وما فيه، وهذا مستحيل أيضاً إذ لم يدَّع أحد أنه خلق نفسه فضلاً عن خَلقه السموات والأرض والكون، ولو ادَّعى مُدَّعٍ ذلك لاتُّهِمَ بالجنون، لأن فاقد الشيء لا يعطيه، فلم يبقَ إلا أن يكون لهذا الكون خالقاً ومُوجِداً، وهو الله ﷻ.

ولهذا ذكر الله ﷻ الدليل العقلي على وجوده فقال: ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ الطور: ٣٥ ـ ٣٦ ، **قال ابن كثير:** "هذا المقام في إثبات الربوبية وتوحيد الألوهية، فقال ﷻ: ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴾ أي: أوُجِدُوا من غير مُوجد؟ أم هم أوجدوا أنفسهم؟ أي: لا هذا، ولا هذا، بل الله ﷻ هو الذي خلقهم وأنشأهم بعد

أن لم يكونوا شيئا مذكورا"[1]، ولما سمع جُبير بن مُطعِم رسول الله ﷺ يقرأ هذه الآيات وكان مشركًا قال: "كاد قلبي أن يطير وذلك أولُ ما وقر الإيمان في قلبي"[2]

ومن المعلوم أن الأثر يحتاج فِي حدوثه إِلَى مؤثر، كما يشهد بذلك العقل الصحيح، والتدبر في نظام الكون وتناسقه وإحكامه ودقته يُفْضي بالضرورة إلى الإقرار والإيمان بوجود الله ﷻ.

الدلالة الرابعة: الشرع:

أما دلالة الشرع على وجود الله ﷻ، فلأن الله ﷻ أرسل الرسل عليهم السلام، وأنزل الكتب السماوية تنطق بذلك، فمن الحجج والبراهين الدالة على وجود الله ﷻ، ما تتضمنه الشرائع التي جاء بها رسل الله عليهم السلام من كمال المصالح للأفراد والمجتمعات، وما تضمنته هذه الشرائع من استيعاب وشمول للحياة كلها، وما فيها من توازن بين مصلحة الفرد ومصلحة المجتمع، وبين متطلبات الجسد واحتياجات النفس، وتوازن كذلك بين تحصيل منافع الدنيا والسعي لثواب الآخرة، ومن ثم فما بُعِث به الرسل والأنبياء عليهم السلام لا يمكن أن يكون من وضع البشر، بل هو من لدن حكيم خبير، هو خالق هذا الكون ومدبّره، قال ﷻ:

﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾ الملك: ١٤، وقال ﷻ: ﴿ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ﴿١٤٠﴾ ﴾ البقرة: ١٤٠، وقال ﷻ: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ المائدة: ٥٠، **قال ابن عثيمين**: "جميع الشرائع دالة على وجود

[1] تفسير ابن كثير (7/ 437)
[2] رواه البخاري (6/ 140)

الخالق وعلى كمال علمه وحكمته ورحمته، لأن هذه الشرائع لابد لها من مُشَرّع، والمشَرّع هو الله ﷻ"[1]

دلائل وجود الله ﷻ أكثر مِنْ أن تُحْصَى، ففي كل مخلوق من خَلقه دلالة على وجوده ﷻ، والآيات القرآنية في ذلك كثيرة، منها: قوله ﷻ: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ الأعراف: ٥٤ ، وقوله ﷻ: ﴿ إِنَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِى خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾ ﴾ الجاثية: ٣ - ٥، وقوله ﷻ: ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ﴾ آل عمران: ١٩٠، **قال ابن كثير:** "ومعنى الآية أنه يقول ﷻ: ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ أي: هذه في ارتفاعها واتساعها، وهذه في انخفاضها وكثافتها واتضاعها وما فيهما من الآيات المشاهدة العظيمة من كواكب سَيَّارَاتٍ، وثوابتَ وَبِحَارٍ، وَجِبَالٍ وَقِفَارٍ وَأَشْجَارٍ وَنَبَاتٍ وَزُرُوعٍ وثِمَارٍ، وحيوان ومعادن ومنافع،

[1] شرح العقيدة السفارينية ص44

مختلفة الألوان والطعوم والروائح والخواص، ﴿ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ ﴾ أي: تعاقبهما وتقارضهما الطول والقصر، فتارة يطول هذا ويقصر هذا، ثم يعتدلان، ثم يأخذ هذا من هذا فيطول الذي كان قصيراً، ويقصر الذي كان طويلاً وكل ذلك تقدير العزيز الحكيم، ولهذا قال: ﴿ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ أي: العقول التامة الذكية التي تدرك الأشياء بحقائقها على جَلِيَّاتِهَا"[1]

الإيمان بالله ﷻ ووجوده، أمر لا شك ولا جدال فيه عند أصحاب العقول السليمة والفِطَر السوية، وأما من تعرض للانحراف والانتكاس حتى اقْتُلِعَت الفطرة السليمة من قلبه، وأنكر وجود الله ﷻ، فإنه يحتاج إلى النظر والبحث والتأمل في داخل نفسه وفِطْرته، وفي الدلائل الكونية والآيات القرآنية، وسيجد فيها الدلائل الواضحة والبراهين الساطعة على وجود الله ﷻ، **قال ابن تيمية:** "إن الإقرار والاعتراف بالخالق فطري ضروري في نفوس الناس، وإن كان بعض الناس قد يحصل له ما يفسد فطرته حتى يحتاج إلى نظر تحصل له به المعرفة"[2]، ومن ثم فإن إنكار وجود الله ﷻ دعوى واهية لا دليل عليها، بل الفطرة السوية ومعها الأدلة العلمية والعقلية والشرعية تناقضها، وتقضي بوجود الخالق ﷻ ووحدانيته.

---

[1] تفسير ابن كثير (2/ 184)
[2] مجموع الفتاوي لابن تيمية (16/ 328)

المبحث الثالث

توحيد الله ﷻ

يُعدّ توحيد الله ﷻ الأمر الأهم من بين مختلف أمور العقيدة الإسلاميّة، وقد شدد القرآن الكريم في عدد كبير من المواضع على ضرورة التوحيد، وبيّن أهميّته الكبيرة بالنسبة للإنسان فتوحيد الله ﷻ يريح النفس الإنسانيّة من الهموم، ويرفع من سويّتها وقيمتها، ويعلي من كرامتها؛ فلا يعود الإنسان خاضعاً إلا لله ﷻ وحده، والخضوع لله ﷻ وحده هو منتهى الحريّة، وقد أورد القرآن العديد من المعتقدات، وأبعدها من خلال الحجج المنطقية والعقلية عن عقل الإنسان المسلم الذي سلَّم أمره لله ﷻ وحده لا شريك له.

أولاً: توحيد الله ﷻ:

في اللغة: مصدر وحّد الشيء يوحده توحيداً، إذا لأفرده، ونفى عنه التعدد.

في الشرع: نفي الكفء والمثل عن ذات الله ﷻ وصفاته وأفعاله، ونفي الشريك في ربوبيته وعبادته ﷻ، وألوهيته وأسمائه وصفاته.

هو الاعتقاد الجازم بأنّ الله ﷻ واحد أحد، لا شريك له في ألوهيّته، أو أسمائه، أو ربوبيّته، أو صفاته.

ثانياً: أنواع توحيد الله ﷻ:

الإيمان بالله ﷻ يتضمن توحيده في ثلاث في ربوبيته، وألوهيته، وأسمائه وصفاته، فهذه الثلاثة أقسام متكاملة ومتلازمة، يكمل بعضها بعضاً، من آمن بها على الوجه الصحيح كان من الموحدين، ولا ينفع أحدها بدون الآخرين، وكذلك من آتى

بنوعين منها ولم يأتِ بالثالث، فإنه لم يأتِ على الوجه المطلوب، وعندئذ لا ينتج أثره المطلوب.

القسم الأول
توحيد الربوبية

أولاً: تعريف توحيد الربوبية:

هو الإقرار بأنَّ الله ﷻ هو ربّ كل شيءٍ ومليكه، وأنّ الله ﷻهو الخالق، والرازق، والمحيي، والمميت، والنافع، وبعبارة أخرى أن يعتقد المسلم تفرد الله ﷻ بالخلق، والرزق، والإحياء، والإماتة، والملك، والتدبير، وسائر ما يختص به من أفعال، وقد كان هذا النوع من التوحيد واضحاً بيِّناً حتى لدى المشركين والكفار، لوضوح دلائله، وجلاء آياته.

ثانياً: أهمية توحيد الربوبية:

تكمن أهميّة إقرار العبد بربوبيّة الله -ﷻ فيما يأتي:

1. إقرار العبد بربوبيّة الله ﷻ وألوهيّته هو أمر يُناسب الفطرة البشريّة التي تبحث عن خالق للكون، وإقرار العبد بربوبيّة الله ﷻ يقوده إلى الإيمان به وحده دون أن يُشرك معه أحد.
2. إقرار العبد بربوبيّة الله ﷻ هي أوّل ما يُطلب من المكلّف، وهي أوّل عتبات الإيمان، التي تدعو إليها نصوص القرآن الكريم والسّنة النّبويّة في عمومها وغالبها.

ثالثاً: خصائص توحيد الربوبية:

يمتاز توحيد الرّبوبية بما يأتي:

1. ارتباط توحيد الرّبوبيّة بأصل ثابت ومهمّ من أصول الإيمان، وهو الإيمان بالله ﷻ، وأنّه خالق الخلق المتصرّف في الكون.

2. الإقرار والجزم بأنّ الله ﷻ هو خالق كلّ شيء ومالكه، وبيده الرّزق، وهو من يُحيي ويميت وينفع ويضر، وهو المتفرّد بإجابة الدّعاء، ويعود الأمر كلّه له، كما أنّ الخير بيده، وهو القادر على كلّ شيء والذي يقدّر الأمور لجميع الخلق، وهو المتصرّف بكلّ الأمور، والمدبّر لها، ولا يوجد شريك في الملك.

ممّا يعني أنّ المسلم بإقراره هذا يكون أقرّ بربوبيّة الخالق وألوهيته، ولا شريك معه، وبالتّالي يتميّز توحيد الرّبوبيّة بارتباطه الوثيق بتوحيد الألوهيّة.

رابعاً: ثمرات توحيد الربوبية:

إنَّ في توحيد الربوبيّة وإقرار الإنسان بأنَّ الله ﷻ هو ربُّ كلِّ شيءٍ وخالقه، ثمرات وفوائد عائدةٌ عليه، ومن هذه الثمرات:

1. الأنس وراحة القلب:

إقرارُ الإنسانِ بأنَّ له ربًّا خالقًا قادرًا يلجأ إليه عند الشدائد، يجعل في قلبه طمأنينةً عظيمةً، ولا سيّما عند إدراك المسلمِ أنَّ هذا الربَّ الذي يوحّده حكيمًا عليمًا.

2. قطع الطمع في المخلوقين:

إذ إنَّ إقرار المسلمِ بأنَّ الرازق هو الله ﷻ وحده، يجعله ينصرف إلى الطلب منه وحده، من غير أن يذلَّ نفسه إلى البشر.

3. نزع الخوف من قلبه، وتربية الشجاعة فيه:

إذ إنَّ الإقرار بأنَّ الله ﷻ وحده الضارّ والنافع، وأنَّ الإنسان لن يُصيبه إلَّا ما قد كتبه الله ﷻ له، يُربّي فيه الشجاعة وعدم مخافة غير الله ﷻ.

خامساً: مظاهر الانحراف في توحيد الربوبية:

بالرغمِ من أنَّ توحيد الربوبيّة أمرٌ قد جُبل عليه الإنسان منذ ولادته، إلَّا أنَّ هناك بعض البشرِ مَن حصل له انحرافٌ فيه، ومن مظاهر الانحراف في توحيد الربوبيّة، وفيما يأتي ذلك:

1. إنكار وجود الله ﷻ:

إذ إنَّ الانحراف في توحيد الربوبيّةِ يؤدي إلى الجحود في وجود الله ﷻ، ممّا يُوصل إلى إسناد وجود هذا الكون بما فيه إلى الصدفةِ والطبيعة، وقد دلَّ على هذا المظهر قول الله ﷻ على لسان من أنكر وجوده: ﴿ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ الجاثية: ٢٤

2. إنكار بعض خصائص الله ﷻ من حيث الربوبية:

فتجد بعض من حصل لهم انحرافٌ في هذا النوعِ من التوحيد ينفي قدرة الله ﷻ على إماتته، أو على إحيائه من جديدٍ.

3. إعطاء شيئًا من خصائص الله ﷻ لغير الله ﷻ:

فتجد مَن يعتقد وجودَ متصرفٍ مع الله ﷻ في هذا الكون، أو يعتقد أنَّ أحدًا من البشرِ يستطيع دفع أو جلب الضرِّ له، فيكونُ قد أعطى غيرَ الله ﷻ شيئًا من خصائص الربوبيّة، وهذا بالطبعِ يؤدي به إلى الشّركِ بالله ﷻ.

سادساً: دلائل ربوبية الله ﷻ:

إنَّ الدلائل على ربوبيّة الله ﷻ على خلقه كثيرة ومتنوعة، منها:

1. دلالة الفطرة:

الفطرة معنىً من معاني القوة التي تُخلقُ مع الإنسان منذ لحظة وجوده، وإنَّ الإنسانَ يُولد على الإقرار بتوحيد الله ﷻ وأنَّ له ربًّا مدبّرًا وخالقًا، فعن أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ أنّه قال: "ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه، أو يمجسانه"[1]

2. دلالة الأنفس:

تعدّ دلالة الأنفس طريقة من طرق التعرّف على الله ﷻ والتي تتمثّل في إمعان نظر الإنسان في ربّه ﷻ، ومعرفة العجاب في خلقه، والتي لا يُمكن أن يكون هذا الخلق ناشئًا عن صدفةٍ؛ بل لا بدَّ أن يكون وراء هذا الخلق ربًّا حكيمًا قادرًا، وقد جاءت هذه الدلالة في قول الله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ٦ ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ٧ فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ٨ ﴾ الانفطار: ٦ - ٨

3. دلالة الآفاق:

تتمثّل هذه الدلالة في نظرِ المسلمِ في آفاق هذا الكونِ، والتمعّن في طريقةِ خلقه، والعجائب الموجودةِ فيه، فمن تأمّل في ذلك كلِّه، علمَ وتيقنَّ أنَّ هذا النّظام الكامل التامّ الذي لا ينقصه شيء لا بدَّ أن يكون له خالقًا، وقد جاءت هذه الدلالة في قول الله ﷻ: ﴿ سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ أَوَلَمۡ يَكۡفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ٥٣ ﴾ فصلت: ٥٣

[1] رواه البخاري (2/ 94)، رواه مسلم (4/ 2047)

سابعاً: نواقض توحيد الربوبية:

ينقض توحيد الربوبية الأمور الآتية:

1. ينقض توحيد الربوبية الإلحاد، وإنكار وجود الرب ﷻ.

2. اعتقاد متصرف مع الله ﷻ في أي شيء؛ من تدبير الكون، من إيجاد أو إعدام، أو إحياء، أو إماتة، أو جلب خير، أو دفع شر، أو غير ذلك من معاني الربوبية، أو اعتقاد منازع له في شيء من مقتضيات أسمائه وصفاته، كعلم الغيب، أو كالعظمة والكبرياء.

3. ادعاء أن الله ﷻ خلق الخلق وأهملهم، وأنه لا يتصرف فيهم، ولا يحفظهم، ولا يدبر أمرهم، أو نحو ذلك مما فيه مساس بخصائص الربوبية.

4. اعتقاد مشرع مع الله ﷻ لأنه هو الرب وحده، وربوبيته شاملة لأمره الكوني والشرعي، قال ﷻ: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ﴿٥٤﴾﴾ الأعراف: ٥٤

5. اعتقاد قدم العالم، وأنه غير مخلوق، أو إسناد الخلق أو التدبير إلى غير الله ﷻ كالصدفة والطبيعة ونحوهما.

فتوحيد الرّبوبيّة هو أن يقرّ العبد بوجود الخالق العظيم للخلق جميعهم، وهو الله ﷻ، وأنّه المتصرّف في شؤون الخلق جميعها، ومتصرّف في شؤون الكون صغيرها وكبيرها، ويعدّ توحيد الرّبوبيّة الخطوة الأولى للدخول في الإيمان، ولكنّ هناك الكثير من البشر انحرفوا عن فطرتهم السّليمة وأنكروا وجود الخالق ﷻ ومنهم من أشرك معه غيره.

القسم الثاني
توحيد الألوهية

أولاً: تعريف توحيد الألوهية:

هو إفراد الله ﷻ بالعبادة قولاً، وقصداً، وفعلاً، فلا ينذر إلا له، ولا يدعى في السراء والضراء إلا إياه، ولا يستغاث إلا به، ولا يتوكل إلا عليه، إلى غير ذلك من أنواع العبادة، فهو الاعتقاد الجازم بأن الله ﷻ هو الإله الحق، ولا إله غيره، وإفراده بجميع أنواع العبادة الظاهرة والباطنة، ونفي العبادة عن كل من سوى الله ﷻ كائناً من كان.

ثانياً: أهمية توحيد الألوهية:

تكمن أهميّة إقرار العبد بألوهية الله -ﷻ فيما يأتي:

1. أجلّ وأعظم أنواع التوحيد، فهو يشملها جميعاً، ولا يصبح الإنسان مؤمناً إلا إذا حقق هذا النوع من التوحيد، فمن أجل توحيد الألوهية خلق الله ﷻ العباد، وأنزل الكتب، وأرسل الرسل عليهم السلام.
2. أنه يمنع الخلود في النار، إذا كان القلب منه أدنى مثقال حبة خردل.
3. أنه إذا كمل في القلب يمنع من دخول النار بالكلية.
4. يحرر العبد من رق المخلوقين، والتعلق بهم، وخوفهم، ورجائهم، والعمل لأجلهم.

5. توحيد الألوهية أساس التوحيد:

يعدُّ توحيد الألوهيَّة هو الأساس، فمن جاء بتوحيد الألوهيَّة فقد جاء بأنواع التَّوحيد الأُخرى بشكلٍ تلقائيٍّ؛ لأنَّ توحيد الألوهيَّة يتضمَّن أنواع التَّوحيد الأخرى، فالذي

يأتي بتوحيد الألوهيَّة، فهذا يعني أنَّه يؤمن بأنَّ الله ربَّه ﷻ ووحدهُ الذي رزقه ودبَّر له وأحياه وأماته، وهذا المقصود بتوحيد الرُّبوبيَّة. كما يعني أنّه يؤمن بأنَّ هذا الرَّبَّ وحده له كلُّ الأسماء الحسنى والصِّفات العُلى، وهذا المقصود بالأسماء والصِّفات، وإلَّا لما توجَّه له وحدة بالعبادة والطَّاعة والقربات التي هي توحيد الألوهيَّة، وقد يُقِرُّ الإنسان بأنَّ الله ﷻ هو الذي يطعمه ويسقيه، لكنَّه يتوجَّه بعبادة الشُّكر على هذه النِّعم لغير الله ﷻ؛ كالنجوم وكأنَّها هي من رزقته وأطعمته، لذا كانت كلمة التوحيد التي تُدخل صاحبها في الإسلام هي "لا إله إلَّا الله"، وليست لا ربَّ إلَّا الله ﷻ؛ لأنَّ إفراد الله ﷻ بالألوهيَّة هو المقصود.

6. توحيد الألوهية أساس دعوة الرسل عليهم السلام:

بعث الله ﷻ الرُّسُل عليهم السلام ليدعو النَّاس إلى عبادة الله ﷻ وحده، وأن يتركوا الآلهة الأخرى التي يعبدونها من دون الله ﷻ؛ كالأصنام والجنِّ، وأن يتوجَّهوا في كل ما يصدر منهم من عباداتٍ إلى الله ﷻ وحده فقط، ولهذا تجد في عدَّة آياتٍ في كتاب الله ﷻ، منها قوله ﷻ: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ٢٥ ﴾ الأنبياء: ٢٥، وقال ﷻ: ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمۡ هُودٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ٦٥ ﴾ الأعراف: ٦٥، وقال ﷻ: ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ ٧٣ ﴾ الأعراف: ٧٣ ،وقوله ﷻ: ﴿ وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥ

﴿٨٥﴾ ﴿ الأعراف: ٨٥، فهذه دعوة الأنبياء عليهم السلام تُركِّز على توحيد الألوهيَّة، لذا كانت الخصومة بين الأنبياء عليهم السلام وأقوامهم في هذه النقطة تحديداً، وهي أنَّ الرُّسل عليهم السلام طلبوا من أقوامهم أن يتوجَّهوا في العبادات والقربات إلى الله ﷻ وحده، ومشكلة أقوامهم في أنَّهم صرفوا العبادات لغير الله ﷻ، إذ كان مطلب الأنبياء والرُّسُل عليهم السلام من أقوامهم يُركِّز على أن لا يصرفوا هذه العبادات لغير الله ﷻ؛ لأنَّ الآلهة الأخرى لا تستحقُّ العبادة، قال ﷻ: ﴿ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾ ﴿ المائدة: ٧٦

7. توحيد الألوهية غاية خلق الجن والإنس:

يسمَّى توحيد الألوهيَّة بتوحيد العبادة، والعبادة فعل المكلَّف، فالله ﷻ أراد من الإنسان أن يتوجَّه إليه وحده في هذه العبادة، قال ﷻ: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴿ الذاريات: ٥٦، وقد **فسَّر الإمام الماتريدي** العبادة هنا "بأنَّها توحيد الله ﷻ، أي إنّ خلق الإنس والجنَّ ما جاء إلَّا لتوحيد الله ﷻ بتوجيه العبادات له وحده"[1]

8. توحيد الألوهية أول واجب على المكلفين:

يعدُّ توحيد الله ﷻ في ألوهيَّته أوَّل ما يجب على المكلَّف أن يفعله إذا أراد الدُّخول في الإسلام، فكيف يدخل الإسلام من كان يعبد مع الله ﷻ إلهاً آخر، لذا قال ﷺ

[1] تفسير الماتريدي (5/ 96)

لمعاذ ﷺ حين أرسله إلى اليمن داعياً: "إنك تقدم على قوم أهل كتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله"[1]، وهو يعلم أنَّهم يتوجَّهون في عباداتهم إلى غير الله ﷻ، وهذا أمرٌ منطقيٌّ فكيف يدعو معاذ ﷺ إلى الصَّلاة أو الزَّكاة وهم بالأصل يقدِّمون هذه العبادات إلى آلهةٍ زائفةٍ، فكان أوَّل ما يجب على العبد أن يتَّجه إليه هو عبادة الله ﷻ وحده.

9. توحيد الألوهية الفارق بين الموحدين والمشركين:

يعدُّ توحيد الألوهيَّة من الفوارق بين الموحدين والمشركين، فقد بيّن القرآن الكريم عن المشركين في الآيات أنَّهم كانوا يقرُّون بأنَّ الله ﷻ هو ربُّ هذا الكون، ولكنَّهم كانوا يرفضون أن يتوجَّهوا إليه وحده في العبادة، فكانوا يعبدون معه الأصنام والأوثان، قال ﷻ في بيان حالهم: ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبۡعِ وَرَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلۡ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيۡهِ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ فَأَنَّىٰ تُسۡحَرُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾ المؤمنون: ٨٤ - ٨٩، ونلاحظ هنا أنَّهم يعترفون بأنَّ الله ﷻ مالك السَّماوات والأرض وهو ربُّهما، ولم يكن هذا سبب كفرهم، بل كان سبب كفرهم أنَّهم صرفوا عباداتهم وطاعاتهم لغير الله ﷻ، إذ كانوا يرفضون أن تقدَّم العبادة إلى إلهٍ واحدٍ، وقد قال ﷻ في بيان حالهم: ﴿ أَجَعَلَ

[1] رواه البخاري (2/ 119)، رواه مسلم (1/ 51)

﴿ٱلْأَلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ۝٥﴾ ص: ٥، وهذا تلخيص حالهم، بأنَّهم يوحِّدون الله ﷻ ربًّا مدبِّراً للكون، ويرفضون أن يعبدوا الله ﷻ وحده، لذا قال لهم نبينا إبراهيم عليه السلام: ﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ۝٦٦ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝٦٧﴾ الأنبياء: ٦٦ - ٦٧

10. توحيد الألوهية سبب للنجاة يوم القيامة:

يعدُّ توحيد الألوهيَّة طوق النَّجاة للمكلَّف يوم القيامة، فمن جاء به فقد جاء بسائرِ أنواعِ التَّوحيد، لذا استحقَّ النَّجاة في الآخرة، ومن فرَّط به فقد فرَّط بباقي أنواع التَّوحيد، لذا استحقَّ الخسارة يوم القيامة، فمن جاء بأصل التَّوحيد استحقَّ الجنَّة وإن عُذِّب بالنَّار فإنَّ مآله إلى الجنَّة بإذن الله ﷻ، ويُقال لمن عَبَد غير الله ﷻ: "ليذهب كل قوم إلى ما كانوا يعبدون"[1]، فمن توجَّه في عبادته لغير الله ﷻ يذهب إلى ذلك الإله المزعوم ليُنجيه يوم القيامة ولكن أنّى له ذلك، بينما يذهب مَنْ قَصَد الله ﷻ وحده بالعبادة إلى الله ﷻ لينجيه من أهوال يوم القيامة.

ثالثاً: ثمرات توحيد الألوهية:

1. طاعة لله ﷻ: فالله ﷻ أمرنا بالإيمان به، وطاعتُه واجبةٌ، وهي أصل كل خير، قال ﷻ: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ

[1] رواه البخاري (9/ 129)

وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ ﴾ البقرة: ١٣٦

2. **الأمن التام والاهتداء التام في الدنيا والآخرة:** فبحسب الإيمان يحصل الأمن والاهتداء في الدنيا والبرزخ والآخرة، قال ﷻ: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ الأنعام: ٨٢

3. **الاستخلاف في الأرض، والتمكين والعزة:** أي: يجعلهم خلفاء في الأرض، وتكون لهم دولة مُمَكَّنَة، ويخلف بعضهم بعضًا، قال ﷻ: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ النور: ٥٥

4. **دخول الجنان والنجاة من النيران:** قال ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴿١٢﴾ ﴾ محمد: ١٢

5. **الحياة الطيبة:** فالحياة الطيبة الحافلة بكل ما هو طيب، إنما هي ثمرة من ثمرات الإيمان بالله ﷻ: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ

فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٩٧﴾

﴿ النحل: ٩٧، قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: "وهذا وعد من الله ﷻ لمن عمل صالحًا، وهو العمل المتابع لكتاب الله ﷻ وسنة نبيه ﷺ، من ذكر أو أنثى من بني آدم، وقلبه مؤمن بالله ﷻ ورسوله ﷺ، وأن هذا المأمور به مشروع من عند الله ﷻ؛ بأن يحييه الله ﷻ حياة طيبة في الدنيا، وأن يجزيه بأحسن ما عمله في الآخرة، والحياة الطيبة تشتمل على وجوه الراحة من أية جهة كانت"[1]

6. حلول الخيرات ونزول البركات: قال ﷻ: ﴿ وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذۡنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ الأعراف: ٩٦

7. الهداية لكل خير: قال ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡۖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٩﴾ ﴾ يونس: ٩

8. زيادة الإيمان والثبات عليه: فالمؤمنون يتقلبون من نعمة إلى نعمة، وأعظم نعمة يجدونها من الإيمان بالله ﷻ هي: أنه ﷻ يثبتهم على الحق، ويزيد إيمانهم، فالثبات على الإيمان سبب لزيادته؛ قال ﷻ: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ ﴿١٧﴾ ﴾ محمد: ١٧

[1] تفسير ابن كثير (4/ 601)

9. الفوز بولاية الله ﷻ، وأكرِم بها من ولاية، قال ﷻ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلۡكَٰفِرِينَ لَا مَوۡلَىٰ لَهُمۡ ١١﴾ محمد: ١١

10. السلامة من الخسارة، قال ﷻ: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ٣﴾ العصر: ١ – ٣

11. دفاع الله ﷻ عن الموحدين: قال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ٣٨﴾ الحج: ٣٨

12. تكفير السيئات: قال ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٖ وَهُوَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡ كَفَّرَ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَأَصۡلَحَ بَالَهُمۡ ٢﴾ محمد: ٢

13. الرفعة والعلو: قال ﷻ: ﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ١١﴾ المجادلة: ١١

14. إخلاص العمل: فلا يمكن للعبد أن يقوم بالإخلاص لله ﷻ، ولعباد الله ﷻ، ونصيحتهم على وجه الكمال إلا بالإيمان.

15. قوة التوكل: فالإيمان بالله ﷻ يوجب للعبد قوة التوكل على الله ﷻ، قال ﷻ: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ ٣﴾ الطلاق: ٣

16. **الشجاعة:** فالإيمان بالله ﷻ يبعث على الشجاعة والإقدام؛ لأنه يملأ قلب المؤمن بالخوف من الله ﷻ، والخشية له، وتعظيمه، وإجلاله، وإذا كان كذلك ذهب خوف الخلق من قلبه كليةً؛ فالجزاء من جنس العمل؛ فمن خاف الله ﷻ آمَّنَه مِن كل شيء، وجعل مخاوفه أمنًا والعكس بالعكس، قال إبراهيم عليه السلام لمناظريه من المشركين: ﴿ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ﴾ الأنعام: ٨١

17. **حسن الخلق:** فالإيمان يدعو إلى حسن الخلق مع جميع طبقات الناس، وإذا ضعف الإيمان أو نقص أو انحرف، أثَّر ذلك في أخلاق العبد انحرافًا بحسب بُعْده عن الإيمان.

18. **الإعانة على ترك الشرك والفواحش والمنكرات: يقول ابن القيم:** "أصول المعاصي كلها -كبارها وصغارها- ثلاثة: تعلق القلب بغير الله ﷻ، وطاعة القوة الغضبية، والقوة الشهوانية، وهي الشرك والظلم والفواحش.. ولهذا جمع الله ﷻ بين الثلاثة في قوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ ﴾ الفرقان: ٦٨، هذه الثلاثة يدعو بعضها إلى بعض، فالشرك يدعو إلى الظلم والفواحش، كما أن الإخلاص والتوحيد يصرفهما عن صاحبه، قال ﷻ: ﴿ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ يوسف: ٢٤، فالسوء:

العشق، والفحشاء: الزنا؛ ولهذا كلما كان القلب أضعف توحيدًا وأعظم شركًا، كان أكثر فاحشة، وأعظم تعلقًا بالصور وعشقًا لها"[1]

19. الذكر الحسن: فالإيمان يوجب لصاحبه أن يكون معتبرًا عند الخلق أمينًا، وهذه نتيجة رضا الله ﷻ عن العبد.

20. عزة النفس: فالإيمان يوجب للعبد العفة، وعزة النفس، والترفع عن إراقة ماء الوجه؛ تذللاً للمخلوقين، **يقول ابن تيمية:** "والعبد كلما كان أذل لله ﷻ، وأعظم افتقارًا إليه، وخضوعًا له كان أقرب إليه، وأعزّ له، وأعظم لقدره؛ فأسعد الخلق أعظمهم عبودية لله ﷻ، فالربُّ ﷻ أكرم ما تكون عليه أحوج ما تكون إليه وأفقر ما تكون إليه، والخلق أهون ما يكون عليهم أحوج ما يكون إليهم"[2]

21. أن الإيمان هو السبب الوحيد للقيام بذروة سنام الإسلام؛ وهو الجهاد البدني والمالي والقولي في سبيل الله ﷻ؛ لأن الهدف منه هو إقامة شرع الله ﷻ، ورِفْعَة دينه.

22. التسلية عند وقوع المصائب: قال ﷻ: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾ التغابن: ١١، قال عبد الله بن مسعود ﷺ: "هو الرجل تصيبه المصيبة، فيعلم أنها من عند الله ﷻ؛ فيرضى ويسلم"[3]

---

[1] الفوائد لابن القيم ص 81
[2] مجموع الفتاوي لابن تيمية (1/ 39)
[3] السنن الكبرى للبيهقي (4/ 110)

23. الانتفاع بالمواعظ والتذكير بالآيات: قال ﷻ: ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ الذاريات: ٥٥، **قال السعدي:** "وهذا لأن الإيمان يحمل صاحبه على التزام الحق واتباعه علمًا وعملاً، وكذلك معه الآلة العظيمة والاستعداد لتلقي المواعظ النافعة، والآيات الدالة على الحق، وليس عنده ما يمنعه من قبول الحق، ولا من العمل به، وأيضًا فالإيمان يوجب سلامة الفطرة، وحسن القصد، ومَن كان كذلك انتفع بالآيات، ومَن لم يكن كذلك فلا يستغرب عدم قبوله للحق، واتباعه له"[1]

رابعاً: دلائل ألوهية الله ﷻ:

الأدلة على توحيد الألوهية كثيرة، منها النقلية ومنها العقلية، ونبينها فيما يأتي:

1. الأدلة النقلية:

الأدلة النقلية من القرآن الكريم:

قال الله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ البقرة: ٢١، وقوله ﷻ:

﴿ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ﴿٣٦﴾ ﴾ النساء: ٣٦، وقوله ﷻ: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴿٢٣﴾ ﴾ الإسراء: ٢٣، وقال ﷻ:

﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ الذاريات: ٥٦، وقال ﷻ:

[1] التوضيح والبيان لشجرة الإيمان للسعدي ص 96

﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴿٣٦﴾ ﴾ النحل: ٣٦، وقال ﷻ: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾ الأنبياء: ٢٥

الأدلة النقلية من السنة النبوية:

قال رسول الله ﷺ: "حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً"[1]، قال رسول الله ﷺ: "فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله ﷻ"[2]

2. الأدلة العقلية:

ضرب الله ﷻ الأمثلة على بطلان الشرك؛ وهي من القياس العقلية، وهذا دليل على إدراك العقل لحسن التوحيد، ومن هذه الأمثلة، قول الله ﷻ: ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ۖ هَلْ يَسْتَوُونَ ۚ الْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾ النحل: ٧٥، أقام الله ﷻ كثيراً من الأدلة العقلية على وجوب تفرد الله ﷻ بالعبادة، وعلى استحقاقه لها؛ كونه رباً تفرد بالخلق، والتدبير، والرزق، قال الله ﷻ: ﴿ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ الصافات: ٩٥ - ٩٦، طالب الله ﷻ المشركين أن يقدموا الأدلة العقلية على شركهم، وفي ذلك يقول ﷻ:

---

[1] رواه البخاري (8/ 60)
[2] رواه البخاري (9/ 114)

﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ۖ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾

﴿٤﴾ الأحقاف: ٤

خامساً: أركان توحيد الألوهية:

يستند توحيد الألوهية على ركنيين أساسيين، لا يمكن وجوده إلا بهما، سيتم توضيحهما على النحو الآتي:

1. النفي:

هو نفي جميع ما يعبد من دون الله ﷻ، باعتقاد أن كل إله غير الله ﷻ فهو باطل، فلا يستحق العبادة إلا هو، وفي حال عدم تحقق هذه الركن لم يتحقق توحيد الألوهية.

2. الإثبات:

هو إثبات أن الله ﷻ هو خالق هذا الكون وموجده، مستحق للعبادة وحده، كما أن كلمة الإسلام مكونة من جزأين (لا إله) أي: نفي العبودية عن غير الله ﷻ، (إلا الله) وهو الإثبات لذلك.

سادساً: معنى "لا إله إلا الله":

لا معبود بحق إلا الله، ولها شروط، ومن شروطها ما يأتي:

قال حافظ حكمي: "هذا تفصيل الشروط السبعة التي قيدت بها هذه الشهادة، فأصغ سمعك وأحضر قلبك لإملاء أدلتها وتفهمها وتعلقها، ثم اعمل على وَفق

ذلك تفُز بسعادة الدنيا والآخرة إن شاء الله كما وعد الله تعالى ذلك، إنه لا يخلف الميعاد"[1]

الشرط الأول: العلم بمعناها المراد منها نفيًا وإثباتًا المنافي للجهل بذلك:

قال ﷻ: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴿١٩﴾ ﴾ محمد: ١٩

وقال ﷻ: ﴿ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿٨٦﴾ ﴾ الزخرف: ٨٦ ؛ أي: بلا إله إلا الله، وهم يعلمون بقلوبهم معنى ما نطقوا به بألسنتهم.

وقال ﷻ: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾ آل عمران: ١٨، وقال ﷻ: ﴿ إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٞ ﴿٢٨﴾ ﴾ فاطر: ٢٨، وقال ﷻ: ﴿ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾ الزمر: ٩، وقال ﷻ: ﴿ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِۖ وَمَا يَعۡقِلُهَآ إِلَّا ٱلۡعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ العنكبوت: ٤٣، وعن عثمان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله، دخل الجنة"[2]

[1] معارج القبول لحافظ الحكمي (2/ 419)
[2] رواه مسلم (1/ 55)

الشرط الثاني: اليقين المنافي للشك بأن يكون قائلها مستيقنًا بمدلول هذه الكلمة يقينًا جازمًا:

فإن الإيمان لا يغني فيه إلَّا علم اليقين لا علم الظن، فكيف إذا دخله الشك، قال ﷻ: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ الحجرات: ١٥، فاشترط في صدق إيمانهم بالله ﷻ ورسوله ﷺ، كونهم لم يرتابوا؛ أي: لم يشكوا، فأمَّا المرتاب فهو من المنافقين والعياذ بالله الذين قال ﷻ فيهم: ﴿ إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ التوبة: ٤٥، وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "أشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيهما، إلا دخل الجنة"[1]، وقال أيضاً: "لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيهما، فيحجب عن الجنة"[2]، وعن أبي هريرة ﷺ من حديث طويل أن النبي ﷺ بعث بنعليه، فقال: "مَن لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقنًا بها قلبه، فبشِّره بالجنة"[3]، **فاشترط في دخول قائلها الجنة: أن يكون مستيقنًا بها قلبه غير شاك فيها، وإذا انتفى الشرط انتفى المشروط.**

---

[1] رواه مسلم (1/ 55)
[2] رواه مسلم (1/ 56).
[3] رواه مسلم (1/ 59)

الشرط الثالث: القبول لما اقتضته هذه الكلمة بقلبه ولسانه:

قد قص الله ﷻ علينا من أنباء ما قد سبق، من إنجاء من قَبِلَهَا، وانتقامه ممن ردَّها وأباها؛ كما قال ﷻ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ ﴿٢٣﴾ قَٰلَ أَوَلَوۡ جِئۡتُكُم بِأَهۡدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمۡ عَلَيۡهِ ءَابَآءَكُمۡۖ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٢٤﴾ فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾ الزخرف: ٢٣ - ٢٥، وقال ﷻ: ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوۡمِهِمۡ فَجَآءُوهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمۡنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيۡنَا نَصۡرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ الروم: ٤٧، وقال ﷻ: ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيۡنَا نُنجِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ يونس: ١٠٣، وكذلك أخبرنا بما وعد به القابلين لها من الثواب، وما أعدَّه لمن ردها من العذاب، كما قال ﷻ: ﴿ ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ وَمَا كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهۡدُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقِفُوهُمۡۖ إِنَّهُم مَّسۡـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾ مَا لَكُمۡ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾ بَلۡ هُمُ ٱلۡيَوۡمَ مُسۡتَسۡلِمُونَ ﴿٢٦﴾ وَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوٓاْ إِنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَأۡتُونَنَا عَنِ ٱلۡيَمِينِ ﴿٢٨﴾ قَالُواْ بَل لَّمۡ تَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٖۖ بَلۡ كُنتُمۡ قَوۡمٗا طَٰغِينَ ﴿٣٠﴾ فَحَقَّ عَلَيۡنَا قَوۡلُ رَبِّنَآۖ إِنَّا لَذَآئِقُونَ ﴿٣١﴾ فَأَغۡوَيۡنَٰكُمۡ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ ﴿٣٢﴾ فَإِنَّهُمۡ يَوۡمَئِذٖ فِي ٱلۡعَذَابِ مُشۡتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ

نَفۡعَلُ بِٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهُمۡ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٖ مَّجۡنُونٖ ﴿٣٦﴾ ﴾ الصافات: ٢٢ - ٣٦، فجعل الله ﷻ علة تعذيبهم وسببَه هو استكبارهم عن قول لا إلا إله الله، وتكذيبهم من جاء بها، فلم ينفوا ما نفته ولم يثبتوا ما أثبتته، بل قالوا إنكارًا واستكبارًا كما أخبر الله ﷻ عنهم: ﴿ أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ﴿٥﴾ وَٱنطَلَقَ ٱلۡمَلَأُ مِنۡهُمۡ أَنِ ٱمۡشُواْ وَٱصۡبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٞ يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِي ٱلۡمِلَّةِ ٱلۡأٓخِرَةِ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا ٱخۡتِلَاقٌ ﴿٧﴾ ﴾ ص: ٥ - ٧، وقالوا ها هنا: ﴿ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٖ مَّجۡنُونٖ ﴿٣٦﴾ ﴾ الصافات: ٣٦، فكذبهم الله ﷻ ورد ذلك عليهم عن رسوله ﷺ، فقال ﷻ: ﴿ بَلۡ جَآءَ بِٱلۡحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾ الصافات: ٣٧، ثم قال في شأن من قبلها: ﴿ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ رِزۡقٞ مَّعۡلُومٞ ﴿٤١﴾ فَوَٰكِهُۖ وَهُم مُّكۡرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ ﴾ الصافات: ٤٠ - ٤٣ إلى آخر الآيات، وقال ﷻ: ﴿ مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيۡرٞ مِّنۡهَا وَهُم مِّن فَزَعٖ يَوۡمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾ النمل: ٨٩، وعن أبي موسى ﷺ عن النبي ﷺ قال: "مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم؛ كمثل الغيث الكثير أصاب أرضًا، فكان منها نقية قبلت الماء، فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها أجادب أمسكت الماء، فنفع الله بها الناس، فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصاب منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك

ماء، ولا تنبت كلأً، فذلك مثل مَن فَقِهَ في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلِم وعمِل، ومثل من لم يرفع بذلك رأسًا، ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به"[1]

الشرط الرابع: الانقياد لما دلت عليه الانقياد المنافي للترك:

قال ﷻ: ﴿ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ ﴿٥٤﴾ ﴾ الزمر: ٥٤، وقال ﷻ:

﴿ وَمَنۡ أَحۡسَنُ دِينٗا مِّمَّنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ ﴿١٢٥﴾ ﴾ النساء: ١٢٥،

وقال ﷻ: ﴿ وَمَن يُسۡلِمۡ وَجۡهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ﴿٢٢﴾ ﴾ لقمان: ٢٢؛ أي: بلا إله إلا الله

ومعنى ﴿ يُسۡلِمۡ وَجۡهَهُۥٓ ﴾ أي: ينقاد ﴿ وَهُوَ مُحۡسِنٞ ﴾ موحد، ومن لم يسلم وجهه إلى الله ﷻ، ولم يك محسنًا؛ فإنه لم يستمسك بالعروة الوثقى.

وهو المعني بقوله ﷺ بعد ذلك: ﴿ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحۡزُنكَ كُفۡرُهُۥٓۚ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُهُمۡ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ نُمَتِّعُهُمۡ قَلِيلٗا ثُمَّ نَضۡطَرُّهُمۡ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٖ ﴿٢٤﴾ ﴾ لقمان: ٢٣ - ٢٤، وعن رسول الله ﷺ قال: "لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعًا لما جئتُ به"[2]، **هذا هو تمام الانقياد وغايته.**

---

[1] رواه البخاري (1/ 27)، رواه مسلم (4/ 1787)

[2] السنة لأبي عاصم (1/ 12).

الشرط الخامس: الصدق فيها المنافي للكذب:

وهو أن يقولها صدقًا من قلبه يواطئ قلبه لسانه؛ قال ﷻ: ﴿ الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ۝٣ ﴾ العنكبوت: ١ - ٣، وقال ﷻ في شأن المنافقين الذين قالوها كذبًا: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ ۝٨ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ۝٩ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضٗاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ ۝١٠ ﴾ البقرة: ٨ - ١٠، كم ذكر الله ﷻ من شأنهم وأبدى وأعاد، وكشف أستارهم وهتكها، وأبدى فضائحهم في غير ما موضعٍ من كتابه، كالبقرة وآل عمران والنساء، والأنفال والتوبة وسورة كاملة في شأنهم، وغير ذلك، وعن معاذ بن جبل ﷺ عن النبي ﷺ: "ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا عبده ورسوله صدقًا من قلبه، إلَّا حرَّمه الله على النار"[1]، **فاشترط في إنجاء من قال هذه الكلمة من النار أن يقولها صدقًا من قلبه، فلا ينفعه مجرد اللفظ بدون مواطأة القلب**، وعن أنس بن مالك ﷺ ومن حديث طلحة بن عبيد الله ﷺ في قصة ضمام بن ثعلبة وافد بني سعد بن بكر، لما سأل رسول الله ﷺ عن شرائع الإسلام، فأخبره، قال: هل عليَّ غيرها؟ قال: "لا إلا أن تطوع"، قال: والله

[1] رواه البخاري (1/ 37)

لا أزيد عليها ولا أنقص منها، فقال رسول الله ﷺ: "أفلَح إن صدق"[1]، **فاشترط في فلاحه ودخول الجنة أن يكون صادقًا.**

الشرط السادس: الإخلاص:

وهو تصفية العمل بصالح النية عن جميع شوائب الشرك، قال ﷻ: ﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ﴿٣﴾ ﴾ الزمر: ٣، وقال ﷻ: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ ﴾ البينة: ٥، وقال ﷻ: ﴿ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ ﴾ الزمر: ٢، وقال ﷻ: ﴿ قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ ﴾ الزمر: ١١، وقال ﷻ: ﴿ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى ﴿١٤﴾ ﴾ الزمر: ١٤، وقال ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَٱعْتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُواْ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾ ﴾ النساء: ١٤٥ - ١٤٦، وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ: "أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصًا من قبل نفسه"[2]، وعن عتبان بن مالك ﷺ عن النبي ﷺ قال: "إن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله، يبتغي بذلك وجه الله ﷻ"[3]، وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

---

[1] رواه البخاري (3/ 179)، رواه مسلم (1/ 40)
[2] رواه البخاري (8/ 117)
[3] رواه البخاري (7/ 72)، رواه مسلم (1/ 445)

"ما قال عبدٌ قط لا إله إلا الله مخلصًا؛ إلا فتحت له أبواب السماء حتى تفضي إلى العرش ما اجتنبت الكبائر"[1]، وعن النبي ﷺ: "ما قال عبد قط: لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، مخلصاً بها روحه، مصدقاً بها قلبه لسانه، إلا فتق له أبواب السماء حتى ينظر الله إلى قائلها، وحق لعبد نظر الله إليه أن يعطيه سؤله"[2]

الشرط السابع: المحبة لهذه الكلمة ولما اقتضته ودلَّت عليه ولأهلها العاملين بها الملتزمين لشروطها، وبغض ما ناقض ذلك:

قال ﷻ: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴿١٦٥﴾ ﴾ البقرة: ١٦٥، وقال ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ ﴾ المائدة: ٥٤، فأخبرنا الله ﷻ أن عباده المؤمنين أشد حبًّا له، وذلك لأنهم لم يشركوا معه في محبته أحدًا كما فعل مدعو محبته من المشركين الذين اتخذوا من دونه أندادًا يحبونه كحبه.

[1] سنن الترمذي (5/ 575)
[2] السنن الكبرى للنسائي (9/ 17)

سابعاً: علاقة توحيد الألوهية بتوحيد الربوبية والفرق بينهما:

أولاً: العلاقة بين توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية:

العلاقة بين توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية متلازمة، وكل واحدٍ منهما يوجب الآخر، **قال ابن تيمية**: "توحيد الألوهية المتضمن لتوحيد الربوبية، بأن يُعبد الله ﷻ وحده لا يشركون به شيئاً، فيكون الدين كله لله ﷻ، ولا يُخاف إلا الله ﷻ، ولا يُدعى إلا الله ﷻ"[1]

ثانياً: الفرق بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية:

م	توحيد الربوبية	توحيد الألوهية
1	هو اعتقاد أن خالق الكون ومدبره واحد هو الله ﷻ	هو إفراد الخالق ﷻ بالعبادة والطاعة والرغبة والرهبة
2	هو اعتقاد قلبي فقط	اعتقاد وعمل وتوجه وسلوك وانقياد تابع لما استقر في القلب
3	هو يقتضي توحيد الألوهية؛ لأنه كالسبب له والبرهان عليه	هو لازم لتوحيد الربوبية ونتيجة حتمية له فما يستحق أن يعبد أو يطاع إلا خالق هذا الكون ومدبره
4	جلي مستقر في النظر يقر به أكثر الناس ثم اعتمد عليه الرسل عليهم السلام في دعوتهم لتوحيد الألوهية	دقيق ضل عنه كثير من الناس ومن ثم كانت عناية الرسل عليهم السلام به كان أول ما دعوا الناس إليه
5	الإقرار به لا يدخل في الإسلام إلا إذا اقترن بتوحيد الألوهية فقد أقر به المشركون ولم يدخلهم في الإسلام لما جحدوا توحيد الألوهية وعبدوا غير الله ﷻ	لب الإسلام وتحرير الفرد من كل عبودية لغير الله ﷻ وتقرير المساواة بين الناس وسبب السيادة في الدنيا والنجاة في الآخرة

[1] منهاج السنة النبوية لابن تيمية (3/ 289 -290)

ثامناً: نواقض توحيد الألوهية:

1. الشِّرك في عبادة الله ﷻ؛ قال ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ ﴾ النساء: ٤٨، وقال ﷻ: ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ﴿٧٢﴾ ﴾ المائدة: ٧٢، ومن ذلك دعاءُ الأموات والاستغاثة بهم، والذبح والنذْر لهم.

2. من جعَل بينه وبين الله ﷻ وسائطَ يدعوهم، ويسألهم الشفاعة، ويتوكَّل عليهم، فقد كفَر إجماعًا.

3. مَن لَم يُكَفِّر المشركين، أو شكَّ في كفرهم، أو صَحَّحَ مذهبَهم كفَر.

4. مَن اعتقَد أنَّ هدْي غير النبي ﷺ أكملُ من هدْيه، أو أن حُكمه أحسنُ من حكمه، كالذين يُفضِّلون حُكم الطواغيت على حُكمه ﷺ فهو كافر.

5. مَن أبغض شيئًا مما جاء به الرسول ﷺ ولو عَمِل به، فقد كفَر؛ لقوله ﷻ: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحۡبَطَ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴿٩﴾ ﴾ محمد: ٩

6. مَن استهزَأ بشيءٍ من دين الرسول ﷺ أو ثوابه أو عقابه، كفَر؛ قال ﷻ: ﴿ قُلۡ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمۡ تَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعۡتَذِرُواْ قَدۡ كَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡۚ إِن نَّعۡفُ عَن طَآئِفَةٖ مِّنكُمۡ نُعَذِّبۡ طَآئِفَةَۢ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ مُجۡرِمِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ التوبة: ٦٥ - ٦٦

7. السحر، ومنه: الصرف، والعطف، فمَن فعَله، أو رضِي به، كفَر؛ قال ﷻ:

﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴿١٠٢﴾﴾ البقرة: ١٠٢

8. مُظاهرة المشركين ومُعاوَنتهم على المسلمين؛ قال ﷻ: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ﴿٥١﴾﴾ المائدة: ٥١

9. مَن اعتقَد أنَّ بعض الناس يَسعه الخروج عن شريعة محمد ﷺ فهو كافر؛ لقوله ﷻ: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ آل عمران: ٨٥

10. الإعراض عن دين الله ﷻ؛ لا يتعلَّمه، ولا يعمل به؛ قال ﷻ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ السجدة: ٢٢

ولا فرْقَ في جميع هذه النواقض بين الهازل والجاد والخائف، إلاَّ المُكرَه، وكلُّها من أعظم ما يكون خطرًا، وأكثر ما يكون وقوعًا؛ فينبغي للمسلم أن يَحذرها ويخاف على نفسه، نعوذ بالله ﷻ من مُوجبات غضبه، وأليم عقابه.

القسم الثالث
توحيد الأسماء والصفات

أولاً: تعريف توحيد الأسماء والصفات:

هو الاعتقاد الجازم بانفراد الله ﷻ بالكمال المطلق في جميع الوجوه؛ العظمة والجلال والجمال، وذلك بإثبات ما أثبته الله ﷻ في كتابه، وما أثبته له الرسول ﷺ من جميع صفاته وأسمائه ﷻ ومعانيها وأحكامها، من غير تحريف ألفاظها أو معانيها، ولا تعطيلها بنفيها أو نفي بعضها عن الله ﷻ، ولا تكييفيها بتحديد كنهها، وإثبات كيفية معينة لها، ولا تشبيهها بصفات المخلوقين، أو تبديل، ونفي ما نفاه ﷻ عن نفسه وما نفاه الرسول ﷺ عنه من كل ما ينافي كماله، وهو الاعتقاد الجازم بأن الله ﷻ متصف بجميع صفات الكمال ومنزه عن جميع صفات النقص.

ثانياً: أهمية توحيد الأسماء والصفات:

الإيمان بالله ﷻ وتوحيده ومعرفته ﷻ تعود بالنفع على صاحبها ولا سبيل في ذلك إلا بمعرفة أسمائه وصفاته ﷻ، فالله ﷻ على كل شيء قدير، وبكل شيء عليم، وشديد العقاب، وغفور رحيم، وأفعال الله ﷻ كلها تدور حول رحمته وحكمته وعدله، وبيان أهمية العلم بتوحيد الأسماء والصفات ما يأتي:

1. تقوية إيمان العبد بربه ﷻ.
2. استشعار مراقبة الله ﷻ.
3. تعظيم رجاء العبد بربه ﷻ.

4. أن الإيمان به داخل في الإيمان بالله ﷻ إذ لا يستقيم الإيمان بالله ﷻ حتى يؤمن العبد بأسماء الله ﷻ وصفاته.

5. أن معرفة توحيد الأسماء والصفات والإيمان به كما آمن السلف الصالح ﭫ عبادة لله ﷻ، فالله ﷻ أمرنا بذلك، وطاعته واجبة.

6. الإيمان به كما آمن السلف الصالح ﭫ طريق سلامة من الانحراف والزلل الذي وقع فيه أهل التعطيل، والتمثيل، وغيرهم ممن انحرف في هذا الباب.

7. الإيمان به على الوجه الحقيقي سلامة من وعيد الله ﷻ، قال ﷻ: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾ الأعراف: ١٨٠

8. هذا العلم من أشرف العلوم، وأجلها على الإطلاق؛ لأنّ فيه معرفة بالله ﷻ، وليس بخلق من خلقه أو شيء من الأشياء، قال ﷺ: "خيركم من تعلّم القرآن وعلّمه"[1]، وقال ﷺ: "من يرد الله به خيراً يفقّهه في الدّين"[2]

9. أن أعظم آية في القرآن هي آية الكرسي، وإنما كانت أعظم آية لاشتمالها على هذا النوع من أنواع التوحيد.

10. أن سورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن؛ لأنها أخلصت في وصف الله ﷻ.

11. أن الإيمان به يثمر ثمرات عظيمة، وعبودياتٍ متنوعةً، ويتبين لنا شيء من ذلك عند الحديث عن ثمرات الإيمان بتوحيد الأسماء والصفات.

---

[1] رواه البخاري (6/ 192)
[2] رواه البخاري (9/ 101)، رواه مسلم (2/ 719)

12. العلم بأسماء الله ﷻ وصفاته يفتح للعبد باب معرفة الرب ﷻ.

13. أساس العلم الصحيح هو الإيمان بالله ﷻ وبأسمائه وصفاته.

14. العلم بأسماء الله ﷻ وصفاته هو حياة القلوب.

ثالثاً: فوائد توحيد الأسماء والصفات:

يوجد العديد من الفوائد التي تعود على العبد عند توحيده لأسماء الله ﷻ وصفاته، ومن هذه الفوائد ما يأتي:

1. التوحيد شطر باب الإيمان بالله ﷻ:

الإيمان بالله ﷻ هو أهم شيء خُلق من أجله الخلق وهو أعظم أمر وأساس الهداية وكل خير، وفيه النجاة والفوز، وعبادة الله ﷻ وحدة والتبري من سواه تكون بمعرفة أسمائه وصفاته التي تنزه بها من كل عيب ونقص، وعبادته تكون بمقتضى وبموجب هذا التوحيد.

2. توحيد الأسماء والصفات هو أشرف العلوم:

الأدلة والبراهين على وجود الله ﷻ يجب العلم بها، وهذا العلم من أجلِّ العلوم وأعظمها؛ لمعرفة الخالق ﷻ الموصوف بصفات الكمال، والمنزه عن كل عيب، فالله ﷻ عليم بكل مخلوقاته، والعلم من أفضل العبادات.

3. توحيد الأسماء والصفات هو أصل العلوم الدينية:

من عرف الله ﷻ عرف ما سواه، قال ﷻ: ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ الحشر: ١٩، فمن جهل الله

ﷻ ونسيه أنساه الله ﷻ نفسه، فيغدو مُشتت القلب، حيران في الدرب لا يهتدي.

4. العلم بأسماء الله وصفاته هو منهج السلف ﷺ:

معرفة الأسماء والصفات هو الأساس الذي يبني عليه العبد معرفته بخالقه ﷻ، بالتالي يُبنى عليه عمل العبد وارتباطه بربه ﷻ وكان أصل علم السلف ﷺ هو العلم بأسماء الله ﷻ وصفاته والعمل له.

5. العلم بأسماء وصفات الله ﷻ يفتح للعبد الطريق إلى معرفة الله ﷻ:

فأعرف الخلق بالله ﷻ أشدهم حباً له.

6. أساس العلم الصحيح هو توحيد الأسماء والصفات:

فمن عرف الله ﷻ كان حقاً على الله ﷻ أن ينصره وينجيه.

رابعاً: ثمرات توحيد الأسماء والصفات:

1. تذوق حلاوة الإيمان وزيادته، ولزيادة الإيمان في قلب المسلم وثباته، أسباب متعددة، من أهمها: الإيمان بأسماء الله ﷻ الحسنى، وصفاته العلا، وكلما ازداد العبد معرفةً بها ازداد إيمانًا، ولذا ينبغي أن يحرص المؤمن على بذل جهده في معرفته الله ﷻ بأسمائه وصفاته وأفعاله، فهذه هي المعرفة النافعة التي تزيد من إيمانه، وتقوي صلته بالله ﷻ.

2. عبادة الله ﷻ، فلا يمكن أحدًا أن يعبد الله ﷻ على الوجه الأكمل، حتى يكون على علم بأسماء الله ﷻ وصفاته، ليعبده على بصيرة؛ قال ﷻ: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴿١٨٠﴾ ﴾ الأعراف: ١٨٠، وهذا يشمل دعاء المسألة ودعاء

العبادة، **فدعاء المسألة** أن تقدم بين يدي مطلوبك من أسماء الله ﷻ ما يكون مناسبًا مثل أن تقول: يا غفور اغفِر لي، ويا رحيم ارحمني، ويا حفيظ احفظني، ونحو ذلك، **ودعاء العبادة** أن تتعبد الله ﷻ بمقتضى هذه الأسماء، فتقوم بالتوبة إليه؛ لأنه التواب، وتذكره بلسانك لأنه السميع، وتتعبد له بجوارحك لأنه البصير.

3. زيادة محبة العبد لله ﷻ والحياء منه، من عرف الله ﷻ بأسمائه وصفاته نزهه عن كل نقص، وازداد له محبةً وتعظيمًا؛ **قال ابن القيم**: "من عرف الله ﷻ بأسمائه وصفاته وأفعاله أحبَّه ولا محالة"[1]

4. الشوق إلى لقاء الله ﷻ.

5. زيادة الخشية لله ﷻ ومراقبته، قال ﷻ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ (٢٨) فاطر: ٢٨ ؛ **قال ابن كثير**: "أي: إنما يخشاه حق خشيته العلماء العارفون به؛ لأنه كلما كانت المعرفة للعظيم القدير العليم الموصوف بصفات الكمال، المنعوت بالأسماء الحسنى كلما كانت المعرفة به أتمَّ، والعلم به أكمل، كانت الخشية له أعظم وأكثر"[2]

6. أصل كل عبادة وتعرفك بالله ﷻ.

7. أعظم الأسباب لإجابة الدعاء.

8. العلم بها من أعظم العلوم وأشرفها.

9. عدم اليأس والقنوط من رحمة الله ﷻ.

---

[1] مدارج السالكين لابن القيم (3/ 18).
[2] تفسير ابن كثير (6/ 544)

10. زيادة تعظيم الله ﷻ.

11. يورث حسن الظن بالله ﷻ والثقة به.

12. الإحساس بعلو الله ﷻ وقهره.

13. سبب في دخول الجنة.

خامساً: الأسس التي يقوم عليها توحيد الأسماء والصفات:

إنّ توحيدَ الله ﷻ في أسمائه وصفاته يتطلّبُ التقيُّدَ في ذلك بكتاب ربنا ﷻ وبسنّة رسولنا ﷺ، فلا نصنعُ له اسماً أو صفةً ليست واردةً في الوحيين، ولا نشبِّهه بأحدٍ من خلقه، فهو ﷻ متّصفٌ بكلِّ كمالٍ، ومنزّهٌ عن كلِّ نقصٍ، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ الشورى: ١١، وعلى ذلك فيمكِنُ أن نذكرُ هذه الأسس:

1. إنّ أسماءَ الله ﷻ وصفاته توقيفيةٌ، فلا نُثْبِتُ للهِ ﷻ ولا ننفي عنه إلا بدليلٍ من الكتاب أو السنة، إذ لا سبيلَ إلى ذلك إلا من هذا الطريق.

2. إنَّ الإيمان بأن الله ﷻ لا يشبهُ أحداً من خلقِهِ لا في أسمائه ولا صفاته، كما لا يشبهه أحد من خلقه، قال ﷻ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ الشورى: ١١

3. إنَّ صفاتِ الله ﷻ كلَّها صفاتُ كمالٍ، فله ﷻ الكمالُ المطلقُ، وهو المنزّهُ عن كلِّ نقص، قال ربيعةُ الرأي شيخُ مالك قبله: "الاستواء معلومٌ، والكيفُ مجهولٌ، ومِنَ اللهِ البيانُ، وعلى الرسولِ البلاغُ، وعلينا الإيمان"[1]

4. قطع الطمع عن إدراك كيفية هذه الصفات، لأن إدراك حقيقة الكيفية مستحيل، وهذا الأصل يدل عليه قوله ﷻ: ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾ ﴾ طه: ١١٠

سادساً: الأدلة على توحيد الأسماء والصفات:

لا تخلو سورةٌ من سور القران الكريم من ذكرِ اسمٍ من أسماء الله ﷻ، أو صفةٍ من صفاته، ومن ذلك سورةُ الإخلاص فهي بكاملها أسماء الله ﷻ وصفاته، قال ﷻ: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾ ﴾ الإخلاص: ١ - ٤، ففي هذه السورة وصف الله ﷻ نفسَه بأنّه "أحدٌ صمدٌ" فهذان الوصفان يدلاّن على اتصافِ الله ﷻ بغايةِ الكمال المطلق، قال ﷻ: ﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ۗ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ الأنعام: ١٤، وبهذا يتبيّن لنا أنّ تنزيهه ﷻ عن العيوبِ والنقائصِ واجبٌ لذاته، كما دلّت على ذلك سورةُ الإخلاص.

[1] العرش للذهبي (1/ 189)

سابعاً: الأسماء والصفات:

القسم الأول: أسماء الله ﷻ:

أولاً: المقدمة:

لربنا ﷻ أسماءٌ سمّى بها نفسه، منها ما أنزله في كتابه، كالأسماء الموجودةِ في القرآن الكريم، ومنها ما علّمه الله ﷻ بعضَ خلقه من الأنبياء والمرسلين عليهم السلام، أو الملائكة المقربين، أو مَنْ شاءَ الله ﷻ، ومن أسمائه ﷻ ما استأثر به في علم الغيب عنده، فلا يعلمه أحد، وأسماء الله ﷻ كثيرة: بل كما قال ربنا ﷻ: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ ﴾ الكهف: ١٠٩، **وهي توقيفية:** فلا يحقُّ لأحدٍ مِنَ الناس أن يخترعَ لله ﷻ اسماً، وإنّما أسماؤه ﷻ هي ما جاء في القران الكريم أو السنة بصفة الاسم، إنَّ مِنْ خيرِ ما تورثه هذه الأسماء الصفاءَ والسكينةَ والوئامَ، والإحجامَ عن الناس، والتواضعَ لذي الجلال، إلى سعةِ العقلِ والفهمِ والإدراكِ، ولعلَّ من إحصائها ألا تتحوّل إلى مادةٍ للخصام أو الجدل العقيم، الذي لا يثمِرُ معرفةً قلبية، على أنَّ البحث العلمي الهادئ مطلبٌ لا بدَّ منه لمن أراد سلوكَ الطريق.

ثانياً: سبب تسمية أسماء الله ﷻ الحسنى بهذا الاسم:

تجدر الإشارة إلى أنّها سُمِّيت بالحُسنى لعدة من الأسباب:

1. لدلالتها على أعظم وأجلّ مُسمّىً؛ وهو الله ﷻ.
2. لتضمُّنها صفاتٍ تدلّ على الكمال الذي لا يشوبه نَقصٌ؛ سواءً تقديراً، أو احتمالاً.

3. لأنّها تدلّ على اسم الله ﷻ الأجلّ، والأعظم، والأقدس، **قال ابن القيّم:** "أسماؤه ﷻ كلُّها أسماء مدحٌ، وثناءٌ، وتمجيدٌ؛ ولذلك كانت حُسنى"[1]

4. تدلّ أسماء الله ﷻ على توحيده، وكَرَمه، وجُوده، وفيها التعظيم لله ﷻ، والإكبار له، **قال السعديّ:** "أنّ كلّ اسمٍ من أسماء الله ﷻ هو حَسَنٍ على انفراده، وفيه صفة الكمال؛ ولذلك سُمِّيت الحُسنى، وكلّ اسمٍ يدلّ على الصفة التي اشتُقّ منها كاملة، ويتمثّل معانيها جميعها"[2]

إذ إنّ الله ﷻ لا يُوصَف إلّا بأحسن الصفات، ويُثنى عليه بأحسن أشكال الثناء؛ فكلّ اسمٍ يقوم مَقامه، أو يدلّ على معناه، وليس مَقام اسمٍ آخر؛ فاسم الرحمن يدلّ على صفة الرحمة، واسم العزيز يدلّ على صفة العِزّة، وجميع الأسماء والصفات مُتَّفِقةٌ في دلالتها على الله ﷻ؛ فدلالة الأسماء مُترادفةٌ في الدلالة على الذات، ومُختلفةٌ في دلالتها على الصفات.

سبب تسمية الأسماء الحسنى بهذا الاسم يرجع إلى أنّها تدل على الله ﷻ، ولأنّها تتضمن صفات الكمال والجمال والجلال.

ثالثاً: عدد أسماء الله ﷻ الحسنى:

بلغ عدد أسماء الله ﷻ الحُسنى التي ثبتت في القرآن الكريم والسنّة النبويّة أكثر من تسعةٍ وتسعين اسماً وتكمُن الحكمة من عدم تعيين أسماء الله ﷻ الحُسنى في تحفيز كلّ مسلمٍ كي يسعى إلى الاجتهاد، ويدعو الله ﷻ بالأسماء التي يعرفها جميعها؛ سواءً التي ذُكِرت في الكتاب، أو التي ذُكِرت في السنّة؛ فقد بلغ عدد الأسماء التي

---

[1] مدارج السالكين لابن القيم (1/ 144)
[2] تفسير أسماء الله الحسنى للسعدي ص 151

ذُكِرت في القرآن تسعةً وتسعين، كما وردت في السنّة أسماء أخرى غير تلك المذكورة في القرآن، ومن العلماء القائلين بذلك: سفيان بن عُيينة، وابن حجر، وأحمد بن حنبل، وغيرهم من أهل العلم.

إنّ عدد أسماء الحسنى الوارد في القرآن والسنة أكثر من تسع وتسعين اسماً، والحكمة في عدم تعيين العدد كي يجتهد المسلم في تحصيلها والدعاء بها.

رابعاً: إحصاء أسماء الله ﷻ الحسنى:

عن أبي هريرة ﷺ أنّ النبيّ ﷺ قال: "إن لله تسعة وتسعين اسماً مائة إلا واحداً، من أحصاها دخل الجنة"[1]، ويُقصَد بإحصاء أسماء الله ﷻ الحُسنى: حِفْظُها، ومعرفة ما فيها من مَعانٍ، والعمل بما ورد فيها، فالعلم بأنّ الله ﷻ هو الأحد يقتضي عدم الإشراك به، وعبادته وحده، والعلم بأنّه الرزّاق يقتضي اليقين بأنّ الرِّزق بِيَد الله ﷻ وحده، كما يكون إحصاء الأسماء الحُسنى بدعاء الله ﷻ بها، **قال ابن عثيمين**: "إنّ القَصْد من إحصاء أسماء الله الحُسنى ليست كتابتها، بل التعبُّد بها، والإحاطة بها جميعها، وفَهْمها، ومن الجدير بالذِّكر أنّ إحصاء أسماء الله الحُسنى يكون على مراتب، **أولاها**: إحصاء عددها، وألفاظها، **وثانيها**: فَهْم معانيها، ودلالتها، **وثالثها**: الدعاء بها؛ سواءً كان ذلك دعاء مسألةٍ، أو دعاء عبادةٍ وثناءٍ على الله ﷻ"[2]

معنى إحصاء أسماء الله ﷻ الحسنى؛ أي حفظها ومعرفتها، والعمل بما فيها من المعاني، والتعبد فيها، والتوجه إلى الله ﷻ بالدعاء بها.

[1] رواه البخاري (3/ 198)، رواه مسلم (4/ 2063)
[2] المنتقى من فرائد الفوائد لابن عثيمين ص 12

القسم الثاني: صفات الله ﷻ:

أولاً: المقدمة:

يتَّصف الله ﷻ بالكمال، وهو واحدٌ في ذاته وصفاته، ولا حَصر لعدد صِفاته، ويجب الإيمان التَّام بهذه الصِّفات التي أُثبتت استناداً على الأدلَّة النقليَّة والعقليَّة، وهذه الصفات هي: الوجود، والقِدَم، والبقاء، والوحدانيَّة، والقيام بنفسه، ومخالفة المخلوقات، والعلم، والإرادة، والقدرة، والحياة، والسَّمع، والبصر، والكلام، ويجب الإيمان بأنَّ ما كان ضدَّ هذه الصِّفات مستحيلٌ على الله ﷻ، مثل: العدم، والحدوث، والمماثلة، والشَّريك، والصُّم، والبُّكم، والجهل، والموت، وغيرها، والله ﷻ مُنزَّهٌ عن كلِّ الأوصاف التي وُصف بها من قبل غيره، حيث قال ﷻ: ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾ الصافات: ١٨٠، والله ﷻ قادرٌ على القيام بجميع الأفعال والصفات، فهو فعَّال لما يريد، وكمال الله ﷻ مطلق، فهو حيٌّ لا يموت، وهو الأوَّل والآخر، وبقدرته ومشيئته تتحرَّك سائر المخلوقات، وهو العالم بكلِّ شيءٍ لا تخفى عليه أصغر الأمور، حيث قال ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٥﴾ ﴾ آل عمران: ٥

ثانياً: أدلة صفات الله ﷻ:

يتَّصف الله ﷻ بصفات الكمال والجلال ولا يتَّصف بنقائضها؛ فالله ﷻ مُنزَّه عن النواقص ومُتَّصفٌ بأعلى صفات الكمال والرِّفعة، وصفات الله ﷻ ثابتةٌ وقد ذُكرت في القرآن الكريم والسُّنَّة النَّبويَّة، وبيانها فما يأتي:

1. **الوحدانيَّة:** قال ﷻ: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ﴾ الإخلاص: ١، فهو واحدٌ أحدٌ مُنزَّه عن الشَّريك والمثيل.

2. **القدرة:** قال ﷻ: ﴿ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ۝٢٨٤ ﴾ البقرة: ٢٨٤، وقدرته ليست محصورة بشيءٍ.

3. **الإرادة:** قال ﷻ: ﴿ إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٨٢ ﴾ يس: ٨٢ ، فلا يقع حادثٌ إلَّا بإرادة الله ﷻ.

4. **العلم:** قال ﷻ: ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ۝١٢ ﴾ الطلاق: ١٢، فالله ﷻ عليمٌ بالظَّاهر والباطن، وعلمه يتجاوز العقول ليس كمثله شيء.

5. **الحياة:** قال ﷻ: ﴿ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ ۝٥٨ ﴾ الفرقان: ٥٨ وحياته ﷻ ليست كحياة مخلوقاته بل هي باقيةٌ خالدةٌ غير مُتغيِّرة.

6. **القِدَم:** قال ﷻ: ﴿ هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ۝٣ ﴾ الحديد: ٣، والله ﷻ لم يسبقه أحدٌ في وجوده.

7. **البقاء:** عن أبي هريرة ﷺ أنَّ النبيَّ ﷺ قال: "اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء"[1]، والله ﷻ لم يلحقه أحدٌ ولا نهاية لوجوده.

[1] رواه مسلم (4/ 2084)

8. مخالفته للحوادث: قال ﷻ: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾ ﴾ الإخلاص: ٤، فلا وجود لمن يُشبه الله ﷻ بأفعاله وصفاته وذاته.

9. القيام بالنَّفس: قال ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ ﴾ فاطر: ١٥ - ١٦، فالله ﷻ غنيٌّ عن مخلوقاته وليس بحاجة أحدٍ من خلقه.

10. الكلام: قال ﷻ: ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ ﴾ النساء: ١٦٤، والله ﷻ يتكلَّم ولكن ليس كما البشر.

11. السَّمع: قال ﷻ: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ الشورى: ١١، والله ﷻ يسمع السِّرَّ والجهر.

12. البصر: قال ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾ ﴾ الحج: ٧٥، والله ﷻ يرى ما لا يُرى ويُبصر أدق الأمور وأصغرها والظَّاهر والباطن منها.

ثالثاً: أقسام صفات الله ﷻ:

تنقسمُ الصفاتُ الإلهيّةُ إلى عقليةٍ وخبريةٍ، وإلى ذاتيةٍ وفعليةٍ اختياريةٍ، فالصفاتُ العقليةُ والخبريةُ جاء بها القران الكريم وتحدّثت بها السنة.

1. الصفات العقلية: وهي التي يمكِنُ أن يُسْتَدَلَّ عليها بالعقل: كالعلم، والقدرة، والإرادة، والحياة، والسمع، والبصر، والكلام، والرحمة، والحكمة، والعلوّ، ونحوها.

2 . **الصفات الخبرية:** وهي التي لا يستطيعُ العقلُ إدراكَها مِنْ غير طريق النصوص، فطريقُ إثباتها ورودُ خبرِ الصادقِ بها فقط، وذلك كالوجه، واليدين، والعين، والاستواء على العرش، ونحو ذلك، فهذه الصفاتُ يجب الإيمانُ بها كالصفات العقلية من غير تمثيلٍ، ولا تعطيل، ولا تحريفٍ، ولا تكييف، قال ﷻ: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ الشورى: ١١

3. **صفات ذاتية:** وهي التي لم يزل ولا يزال الله ﷻ متصفاً بها، كالعلم، والقدرة، والحياة، والسمع، والبصر، والوجه، واليدين، ونحو ذلك.

4. **صفات فعلية:** وهي الصفات المتعلقة بمشيئة الله ﷻ وقدرته، إن شاء فعلها، وإن شاء لم يفعلها، كالمجيء، والنزول، والغضب، والفرح، والضحك، ونحو ذلك.

5. **صفات ثبوتية:** وهي ما أثبته الله ﷻ لنفسه، أو أثبته له رسوله ﷺ، كالاستواء، والنزول، والوجه، واليد، ونحو ذلك، وكلها صفات مدح وكمال، وهي أغلب الصفات المنصوص عليها في الكتاب والسنة، ويجب إثباتها.

6. **صفات سلبية:** وهي ما نفاه الله ﷻ عن نفسه، أو نفاه عنه رسوله ﷺ، وكلها صفات نقص، كالموت، والسِّنة، والنوم، والظلم، وغالباً تأتي في الكتاب والسنة مسبوقة بأداة نفي، مثل "لا" و"ما" و"ليس"، وهذه تنفي عن الله ﷻ ويثبت ضدها من الكمال.

ثامناً: قواعد في أسماء الله ﷻ وصفاته:

القاعدة الأولى: أسماء الله ﷻ كلها حسنى:

أي بالغة في الحسن غايته، قال ﷻ: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴿١٨٠﴾ ﴾ الأعراف: ١٨٠، وصفاته ﷻ كلها صفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه، كالحياة والعلم، ومعنى (الحسنى): على وزن فعلى، أي المبالغة في الحسن غايته.

وهي أسماء وصفات بالغة في الحسن غايته، ووجه الحسن في أسماء الله ﷻ من وجهين:

الوجه الأول: لدلالتها على مسمى الله ﷻ، فكانت حسنى لدلالتها على أحسن وأعظم وأجل وأقدس مسمى وهو الله ﷻ.

الوجه الثاني: لأنها متضمنة لصفات كاملة لا نقص فيها بوجه من الوجوه لا احتمالًا ولا تقديرًا، **يقول ابن القيم:** "أسماء الرب ﷻ دالة على صفات كماله، فهي مشتقة من الصفات، فهي أسماء وهي أوصاف، وبذلك كانت حسنى، إذ لو كانت ألفاظًا لا معاني فيها لم تكن حسنى ولا كانت دالة على مدح وكمال"[1]

القاعدة الثانية: أسماء الله ﷻ وصفاته توقيفية لا مجال للعقل فيها:

أسماء الله ﷻ هي توقيفية، ولا يمكن أبداً أن يؤخذ اسم من أسماء الله ﷻ أو صفة من صفاته إلا عن طريق الكتاب والسنة، فلا دخل للعقل في إثبات اسم من أسماء الله ﷻ، فقد دل على أن أسماء الله ﷻ خبرية، وأنه لا يجوز للإنسان أن يتكلم في أسماء الله ﷻ بغير علم، قال ﷻ: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ

[1] مدارج السالكين لابن القيم (1/ 51 – 52)

﴿وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ الإسراء: ٣٦، فيجب أن نتوقف على ما جاء في الكتاب والسنة، فلا نسمي الله ﷻ إلا بما سمى به نفسه، أو سماه به رسوله ﷺ؛ لأن العقل لا يمكنه إدراك ما يستحقه الله ﷻ من الأسماء، وتسميته ﷻ بما لم يسمِ به نفسه، أو إنكار ما سمى به نفسه جناية في حقه ﷻ فوجب سلوك الأدب، والوقوف مع النص، ولا تصف الله ﷻ إلا بما وصف به نفسه في كتابه، أو على لسان رسوله ﷺ، فصفات الله ﷻ توقيفية، فلا يثبت منها إلا ما أثبته الله ﷻ لنفسه، أو أثبته له رسوله ﷺ، ولا ينفي عن الله ﷻ إلا ما نفاه عن نفسه، أو نفاه عنه رسوله ﷺ؛ وذلك لنه لا أحد أعلم بالله ﷻ من نفسه، ولا مخلوق أعلم بخالقه من رسول الله ﷺ.

القاعدة الثالثة: أسماء الله ﷻ غير محصورة بعدد معين:

أن أسماء الله ﷻ ليست السنة ليست محصورة في عدد معين، فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "ما أصاب أحداً قط هم ولا حزن فقال: اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك ناصيتي بيدك، ماضٍ في حكمك، عدل في قضاؤك، أسأل بكل اسم هو لك سميت به نفسك" -هذه أقسام أسماء الله ﷻ- "سميت به نفسك" هذا أولاً، "أو أنزلته في كتابك" هذا ثانياً، "أو علمته أحداً من خلقك" هذا ثالثاً، "أو استأثرت به في علم الغيب عندك"[1]، إلى آخر الحديث.

[1] المعجم الكبير للطبراني (10/ 169)

وموضع الشاهد من الحديث هو قوله: "أو استأثرت به في علم الغيب عندك"، فإنه يدل على أن هناك أسماء لله ﷻ في الغيب لم يخبرنا عنها، وبناءً على هذا نقول: إن أسماء الله ﷻ ليست محصورة بعدد معين.

القاعدة الرابعة: صفات الله ﷻ كلها صفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه:

قال ﷻ: ﴿ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأَخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾ ﴾ النحل: ٦٠، **والمثل الأعلى**: الوصف الأعلى الكامل.

والصفات من حيث الكمال والنقص على ثلاثة الأقسام:

الأول: صفات كمال من كل وجه، كصفة الحياة والعلم والقدرة وغيرها، فهذه ثابتة لله ﷻ.

الثاني: صفات نقص من كل وجه فهذه منفية عن الله ﷻ، كالجهل، والعمى، والصمم.

الثالث: صفات كمال من وجه ونقص من وجه، فهذه يوصف الله ﷻ بها في حال كمالها، ويمتنع وصفه بها في حال نقصها، بحيث يوصف الله ﷻ بها وصفاً مقيداً مثل المكر، والكيد والمخادعة.

القاعدة الخامسة: القول في بعض الصفات كالقول في بعض:

وهي قاعدة يرد بها على من فرق بين الصفات فأثبت بعضها، ونفى بعضها، فيقال لمن فعل ذلك: أثبت الجميع، أو انفِ الجميع، ومن أثبت بعض الصفات، ونفى بعضها، فهو مضطرب متناقض، وتناقض القول دليل على فساده وبطلانه.

القاعدة السادسة: القول في الصفات كالقول في الذات:

وذلك أن الله ﷻ ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته، ولا في أفعاله، فإذا كان له ذات حقيقية لا تماثل الذوات، فالذات متصفة بصفات حقيقية لا تماثل الصفات.

القاعدة السابعة: ظواهر نصوص الصفات معلومة لنا باعتبار، ومجهولة لنا باعتبار:

فباعتبار المعنى هي معلومة، وباعتبار الكيفية التي هي عليها مجهولة، وقد دل على ذلك السمع والعقل.

أما السمع: فمنه قوله ﷻ: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ ﴾ ص: ٢٩، وقوله ﷻ: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ ﴾ الزخرف: ٣، وقوله ﷻ: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ النحل: ٤٤، والتدبر لا يكون إلا فيما يمكن الوصول إلى فهمه ليتذكر الإنسان بما فهمه منه، وكون القرآن عربياً ليعقله من يفهم العربية، يدل على أن معناه معلوم، وإلا لما كان فرق بين أن يكون باللغة العربية أو غيرها، وبيان النبي ﷺ القرآن للناس شامل لبيان لفظه وبيان معناه.

وأما العقل: فلأن من المحال أن يُنَزِّل الله ﷻ كتاباً، أو يتكلم رسوله ﷺ بكلام يقصد بهذا الكتاب وهذا الكلام أن يكون هداية للخلق، ويبقى في أعظم الأمور

وأشدها ضرورة مجهول المعني، بمنزلة الحروف الهجائية التي لا يفهم منها شيء، لأن ذلك من السفه الذي تأباه.

القاعدة الثامنة: في العلاقة بين الصفات والذات:

وخلاصة القول في هذه المسألة أن العلاقة بين الصفات والذات علاقة تلازم، فالإيمان بالذات يستلزم الإيمان بالصفات، وكذلك العكس، فلا يتصور وجود ذات مجردة عن الصفات في الخارج، كما لا يتحقق وجود صفة من الصفات في الخارج إلا وهي قائمة بالذات.

تاسعاً: نواقض توحيد الأسماء والصفات:

ينقض توحيد الأسماء والصفات الإلحاد فيها، ويدخل في الإلحاد التعطيل، والتمثيل، والتكييف، والتفويض، والتحريف، والتأويل.

1. **الإلحاد:** هو العدول بها وبحقائقها ومعانيها عن الحق الثابت لها.
2. **التعطيل:** هو إنكار ما يجب لله ﷻ من الأسماء والصفات، أو إنكار بعضها، وهو نوعان:

أ. **تعطيل كلي:** كتعطيل الجهمية الذين أنكروا الصفات، وغلاتهم ينكرون الأسماء أيضاً.

ب. **تعطيل جزئي:** كالذين ينكرون بعض الصفات ويؤمنون بالبعض الآخر، وأول من عرف ذلك من هذه الأمة الجعد بن درهم.

3. **التمثيل:** هو اعتقاد أن صفات الله ﷻ مثل صفات المخلوقين، كأن يقول الشخص: لله يد كيدي.

4. **التكييف:** حكاية كيفية الصفة كقول القائل: يد الله ﷻ أو نزوله إلى الدنيا كذا وكذا، أو يده طويلة، أو غير ذلك، أو أن يسأل عن صفات الله ﷻ بكيف.

5. **التفويض:** هو الحكم بأن معاني نصوص الصفات مجهولة غير معقولة لا يعلمها إلا الله ﷻ أو هو إثبات الصفات وتفويض معناها وكيفيتها إلى الله ﷻ.

6. **التحريف:** هو تغيير النص لفظاً أو معنى، والتغيير اللفظي قد يتغير معه المعنى، وقد لا يتغير، فهذه ثلاثة أقسام:

أ. **تحريف لفظي يتغير معه المعنى:** كتحريف بعضهم قوله ﷻ: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ١٦٤﴾ النساء: ١٦٤، إلى نصب لفظ الجلالة؛ ليكون التكليم من موسى عليه السلام.

ب. **تحريف لفظي لا يتغير معه المعنى:** كفتح الدال من قوله ﷻ: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢﴾ الفاتحة: ٢، وذلك بأن يقول: "الحمدَ لله"، وهذا في الغالب لا يقع إلا من جاهل؛ إذ ليس فيه غرض مقصود لفاعله غالباً.

ج. **تحريف معنوي:** وهو صرف اللفظ عن ظاهره بلا دليل كتحريف معنى اليدين المضافتين إلى الله ﷻ إلى القوة والنعمة ونحو ذلك.

7. **التأويل:** يطلق على ثلاثة معانٍ، اثنان منهما صحيحان مقبولان معلومان عند السلف رضي الله عنهم، والثالث مبتدع باطل.

أ. **التفسير وهو إيضاح المعنى وبيانه.**

ب. **الحقيقة التي يؤول إليها الشيء**، وهذا هو المعروف من معنى التأويل في الكتاب والسنة، قال ﷻ: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأۡوِيلَهُۥ ٥٣﴾ الأعراف: ٥٣

ج. **صرف اللفظ عن ظاهره إلى معنى يخالف الظاهر**، وهذا ما اصطلح عليه المتأخرون من أهل الكلام وغيرهم، كتأويلهم الاستواء بالاستيلاء، واليد بالنعمة، وهذا هو الذي ذمه السلف ﷺ.

الفصل الثاني
الإيمان بالملائكة

أولاً: تعريف الإيمان بالملائكة:

هو الاعتقاد الجازم بأن لله ﷻ ملائكة موجودين مخلوقين من نور وأنهم لا يعصون الله ﷻ ما أمرهم، وأنهم قائمون بوظائفهم التي أمرهم الله ﷻ القيام بها.

لا يصح الإيمان إلا بالإيمان بوجود الملائكة وبما ورد في حقهم من صفات وأعمال في كتاب الله ﷻ وسنة رسوله ﷺ من غير زيادة أونقصان.

ثانياً: صفات الملائكة:

الملائكة لا يتّصفون بصفات البشر، وقد خصّهم الله ﷻ بجملةٍ من الصفات، وفيما يأتي بيانها:

1. الصفات الخُلقية للملائكة:

خصّ الله ﷻ الملائكة بجملة من الصفات الخُلقية التي وردت في نصوص القرآن الكريم، منها:

أ. عباد مكرمون، قال ﷻ: ﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۚ بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ ٢٦ ﴾ الأنبياء: ٢٦

ب. لا يفترون عن عبادة الله ﷻ، قال ﷻ: ﴿ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ ٢٠ ﴾ الأنبياء: ٢٠

ج. دائموا التسبيح، قال ﷻ: ﴿ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾ ﴾ الشورى: ٥، وقال ﷻ: ﴿ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ الأنبياء: ٢٠

د. لا يستكبرون عن عبادة الله ﷻ، قال ﷻ: ﴿ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ الأنبياء: ١٩

هـ. يفعلون ما يؤمرون، قال ﷻ: ﴿ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾ التحريم: ٦

2. الصفات الخَلقية للملائكة:

خصّ الله ﷻ الملائكة بجملة من الصفات الخَلقية:

أ. الملائكة أجسام نورانية، فعن النبي ﷺ أنه قال: "خلقت الملائكة من نور"[1]

ب. لا يتصفون بأوصاف البشر من الذكورة والأنوثة، لا يتناكحون، ولا يتناسلون، ومن ينسب الملائكة إلى الأنوثة فقد كفر؛ لأنه كذب صريح القرآن، ومن نسبهم إلى الذكورة فسق؛ لأنه نسب إليهم ما لم يرد عن الله ﷻ ورسوله ﷺ، فالملائكة هم عباد الرحمن مخلوقون لله ﷻ دون وساطة تناسل، فلا يتناكحون ولا يتناسلون.

[1] رواه مسلم (4/ 2294)

ج. **لا ينامون، ولا يأكلون، ولا يشربون**، إن الملائكة منزهون عن الأعراض البشرية، كالجوع والمرض والأكل والنوم والتعب وغير ذلك، وقد جاء القرآن ما يدل على ذلك بدلالة الالتزام، قال ﷻ: ﴿ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ الأنبياء: ٢٠، ولازم ذلك أنهم لا ينامون ولا يأكلون ولا يشربون.

د. **للملائكة أجنحة**، أنهم لهم أجنحة يتفاوتون في أعدادها، فمنهم له جناحان، ومنهم من له ثلاثة، أو أربعة، ومنهم من له أكثر من ذلك، قال ﷻ: ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ جَاعِلِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجۡنِحَةٖ مَّثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ يَزِيدُ فِي ٱلۡخَلۡقِ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ﴾ فاطر: ١، وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: "أن رسول الله ﷺ رأى جبريل عليه السلام له ستمائة جناح"[1]

هـ. **جمال الملائكة**، لقد خلق الله عز وجل الملائكة على صور جميلة كريمة، كما قال ﷻ في جبريل عليه السلام: ﴿ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٖ فَٱسۡتَوَىٰ ﴿٦﴾ ﴾ النجم: ٥ – ٦، قال ابن عباس رضي الله عنهما: "﴿ ذُو مِرَّةٖ ﴾ ذو منظر حسن، وقال مقاتل: ذو خلق طويل حسن"[2]

و. **لهم القدرة على التمثل والتشكل بغير أشكالهم**، أعطى الله ﷻ الملائكة القدرة على التشكل بغير أشكالهم، حسب المناسبات التي تقتضيها الحالات، ومن تمثلات الملائكة عندما جاءت إلى إبراهيم عليه السلام في صورة ضيوف وبشروه بغلام عليم، قال

[1] رواه البخاري (3/ 1181)، رواه مسلم (1/ 158)
[2] معالم التنزيل للبغوي (7/ 400)

ﷻ: ﴿ هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذۡ دَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَقَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞ قَوۡمٞ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجۡلٖ سَمِينٖ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيۡهِمۡ قَالَ أَلَا تَأۡكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةٗۖ قَالُواْ لَا تَخَفۡۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٖ ﴿٢٨﴾ ﴾ الذاريات: ٢٤ - ٢٨، وجاءت إلى لوط عليه السلام في صورة شبان مرد حسان الوجوه، وعندما رآهم لوط عليه السلام ضاق بهم، وخشي عليهم من قومه، فقد كانوا قوم سوء يفعلون السيئات، ويأتون الذكران من العالمين، قال ﷻ: ﴿ وَلَمَّا جَآءَتۡ رُسُلُنَا لُوطٗا سِيٓءَ بِهِمۡ وَضَاقَ بِهِمۡ ذَرۡعٗا وَقَالَ هَٰذَا يَوۡمٌ عَصِيبٞ ﴿٧٧﴾ ﴾ هود: ٧٧، وجاء جبريل عليه السلام متمثلاً بصورة بشر سوي الخلق كامل البنية لمريم عليها السلام يبشرها بغلام طاهر النفس، قال ﷻ: ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ حِجَابٗا فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا ﴿١٧﴾ قَالَتۡ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمٗا زَكِيّٗا ﴿١٩﴾ ﴾ مريم: ١٦ - ١٩

ثالثاً: عدد الملائكة:

خلق الله ﷻ الملائكة بأعدادٍ هائلة، لا يستطيع إحصاءَها إلا خالقها ﷻ، فقد ثبت في حديث المعراج عن النبي ﷺ أنه قال: "فرفع لي البيت المعمور، فسألت جبريل، فقال: هذا البيت المعمور يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك، إذا خرجوا

لم يعودوا إليه آخر ما عليهم"[1]، وعن أنس بن مالك ﷺ عن النبي ﷺ قال: "أطت السماء، وحق لها أن تئط ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجداً لله"[2]

إذن عدد الملائكة كثير، لا يعلم به أحداً إلا الله ﷻ الذي خلقهم، قال ﷻ:

﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴿٣١﴾ ﴾ المدثر: ٣١

رابعاً: قدرات الملائكة وأعمالهم:

خلق الله ﷻ الملائكة بقدرات عظيمة، فقال الله ﷻ: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ﴾ فاطر: ١، وهم متفاوتون فيما بينهم، وأعظمهم جبريل عليه السلام؛ فعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: " أن رسول الله ﷺ رأى جبريل عليه السلام له ستمائة جناح "[3]، ولهم قدرة على التشكل على هيئة البشر، وكذلك السرعة في الانتقال والحركة، وبهذه القدرات العظيمة الموهوبة وكَّل الله ﷻ الملائكة بمهام مختلفة، نذكر منها:

1. جبريل عليه السلام:

هو الملك الموكّل بالوحي من الله ﷻ إلى رسله عليهم السلام، قال ﷻ: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ ﴾ الشعراء: ١٩٣

---

[1] رواه البخاري (4/ 109)
[2] سنن الترمذي (4/ 556)، المستدرك على الصحيحين للحاكم (2/ 554)
[3] رواه البخاري (3/ 1181)، رواه مسلم (1/ 158)

2. ميكائيل عليه السلام:

هو الملك الموكّل بالمطر وتصاريفه، فعن النبي ﷺ حين سأل جبريل عليه السلام: "وعلى أيِّ شيءٍ ميكائيلُ؟ قال: على النباتِ والقَطْرِ"[1]

3. إسرافيل عليه السلام:

وقد كَلّفه الله سبحانه وتعالى بالنَّفخ في الصور مرّتَين؛ النفخة الأولى، ويموت فيها بأمر الله عز وجل مَن في السماوات ومَن في الأرض إلّا مَن شاء الله سبحانه وتعالى، والنفخة الثانية؛ للبَعث مرّةً أخرى إلى الحياة بعد الموت، قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ فَإِذَا هُمۡ قِيَامٞ يَنظُرُونَ ٦٨ ﴾ الزمر: ٦٨

4. ملك الموت عليه السلام:

هو الموكل بقبض الأرواح، قال سبحانه وتعالى: ﴿ قُلۡ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلۡمَوۡتِ ٱلَّذِي وُكِّلَ بِكُمۡ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ تُرۡجَعُونَ ١١ ﴾ السجدة: ١١

5. المعقِّبات:

هم الملائكة الموكّلون بحفظ العبد في إقامته وسفره، ونومه ويقظته، وفي جميع حالاته، قال سبحانه وتعالى: ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٞ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ ١١ ﴾ الرعد: ١١

[1] المعجم الكبير للطبراني (11/ 379)، شعب الإيمان للبيهقي (1/ 315)

6. خَزَنة الجنة:

قال ﷻ: ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾ الزمر: ٧٣

7. خَزَنة النار:

قال ﷻ: ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ﴿٧١﴾ ﴾ الزمر: ٧١، وعلى رأس الخزنة مالك عليه السلام، قال ﷻ: ﴿ وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ الزخرف: ٧٧، وقال النبي ﷺ: "رأيت الليلة رجلين أتياني قالا الذي يوقد النار مالك خازن النار"[1]

8. الملائكة الذين يتبعون مجالس الذكر:

قال النبي ﷺ: "إن لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر، فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله تنادوا: هلموا إلى حاجتكم"[2]

9. السيّاحين:

قال النبي ﷺ: "إن لله ملائكة سياحين في الأرض يبلغوني عن أمتي السلام"[3]

---

[1] رواه البخاري (4/ 116)
[2] رواه البخاري (8/ 86)
[3] مسند أحمد (7/ 343)، سنن الدارمي (3/ 1826)

10. حملة العرش:

وهم الذين يحملون عرش الرحمن ﷻ، قال ﷻ: ﴿ ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴿٧﴾ ﴾ غافر: ٧،

وقال ﷻ: ﴿ وَٱلۡمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرۡجَآئِهَاۚ وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ ﴿١٧﴾ ﴾

الحاقة: ١٧

11. ملك الأرحام:

ودليله قول الرسول ﷺ: "إن الله ﷻ وكل بالرحم ملكاً، يقول: يا رب نطفة، يا رب علقة، يا رب مضغة، فإذا أراد أن يقضي خلقه قال: أذكر أم أنثى، شقي أم سعيد، فما الرزق والأجل، فيكتب في بطن أمه"[1]

12. ملك الجبال:

ومَهمّته تولّي أمر الجبال؛ فالجبال لها ملائكة مسؤولة عنها، تُنفّذ ما يأمرها الله ﷻ به، ودليل ذلك ما ورد من قول جبريل عليه السلام للنبيّ ﷺ: "وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فناداني ملك الجبال فسلم علي، ثم قال: يا محمد، فقال، ذلك فيما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين؟ فقال النبي ﷺ: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده، لا يشرك به شيئا"[2]

13. ملكا القبر:

وقد وردت في بعض الآثار تسميتهما بمنكر، ونكير، ومهمّتهما سؤال الميّت في قَبره، قال النبيّ ﷺ: "إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه، وإنه ليسمع قرع

[1] رواه البخاري (1/ 70)، رواه مسلم (4/ 2038)
[2] رواه البخاري (4/ 115)، رواه مسلم (3/ 1420)

نعالهم، أتاه ملكان فيقعدانه، فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل لمحمد ﷺ، فأما المؤمن، فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله، فيقال له: انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعداً من الجنة، فيراهما جميعاً"[1]

14. الحفظة:

ومَهمّتهم حِفظ بني آدم، وحراسة المؤمن، وحمايته من المصائب، والأهوال التي قد تُصيبه في يومه، قال ﷻ: ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ الأنعام: ٦١، ويُستثنى من ذلك ما قدّره الله ﷻ على الإنسان من الحوادث والمصائب.

15. زوار البيت المعمور:

وهم الملائكة الذين يزورون البيت المعمور؛ وهو بيت في السماء السابعة أعلى البيت الحرام، ومن كثرتهم أن من دخل منهم البيت لا يعود إليه مرة أخرى، ويدخله كل يوم سبعون ألف ملك، فقد ثبت في حديث المعراج عن النبي ﷺ أنه قال: "فرفع لي البيت المعمور، فسألت جبريل، فقال: هذا البيت المعمور يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك، إذا خرجوا لم يعودوا إليه آخر ما عليهم"[2]

16. السفرة:

السفرة في اللغة أي الكتبة؛ لأن الكاتب يسفر بمعنى يبين عن الشيء ويظهره، فهم الذين يكتبون الأعمال، قال ﷻ: ﴿ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾ ﴾ عبس: ١٥ - ١٦

[1] رواه البخاري (2/ 98)، رواه مسلم (4/ 2200)
[2] رواه البخاري (4/ 109)

خامساً: كيفية الإيمان الملائكة:

1. الإيمان التفصيلي:

وذلك بمعرفة ما يتعلق بالملائكة مما ورد به الشرع، كجبريل وميكائيل وإسرافيل، وملك الموت، والكرام الكاتبين الذين جعلهم الله ﷻ علينا حافظين فهؤلاء وغيرهم يجب الإيمان بهم وبوظائفهم التي أنيطت بهم، ونؤمن بما ذكر في أصنافهم وأفعالهم في القرآن الكريم، هذا القدر من الإيمان بالملائكة واجب على عموم المكلفين، وطلب هذا واجب على الكفاية، فلا يطالب به كل مكلف، بل هو واجب على مجموع الأمة، بحيث إذا قام به البعض، وحصلت بهم الكفاية، سقط عن الآخرين.

2. الإيمان المجمل:

أما الملائكة الذين لم يرد ذكرهم فيجب أن نؤمن بهم بصورة إجمالية، فنؤمن بوجودهم، وأنهم خلق من خلق الله ﷻ.

سادساً: وجوب الإيمان الملائكة:

الإيمان بالملائكة؛ هو الاعتقاد الجازم بوجودهم، وأنهم مخلوقون لله ﷻ، قال ﷻ:

﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ ﴿١٧٧﴾ ﴾ البقرة: ١٧٧، والإيمان بالملائكة ركن من أركان الإيمان، فلا يصح إيمان العبد إلا به، وقد دلت على ذلك نصوص الكتاب والسنة وإجماع المسلمين، قال

﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ ﴿٢٨٥﴾ ﴾ البقرة: ٢٨٥، وفي حديث جبريل عليه السلام المشهور، قال ﷺ

عندما سئل عن الإيمان: "الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره"[1]، وأجمع المسلمون قاطبة على وجوب الإيمان بالملائكة، وعليه فمن أنكر وجود الملائكة من غير جهل يعذر به فقد كفر، لتكذيبه القرآن في نفي ما أثبته، وقد قرن الله ﷻ الكفر بالملائكة بالكفر به، قال ﷻ: ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ ﴾ النساء: ١٣٦، والإيمان بالملائكة ليس على درجة واحدة، فهناك الإيمان المجمل، وهو الإيمان بوجودهم، وأنهم خلق من خلق الله ﷻ، وهذا القَدْر من الإيمان بالملائكة واجب على عموم المكلفين، وهناك الإيمان التفصيلي، وذلك بمعرفة ما يتعلق بالملائكة مما ورد به الشرع المطهر، وطلب هذا واجب على الكفاية، فلا يطالب به كل مكلف، بل هو واجب على مجموع الأمة، بحيث إذا قام به البعض، وحصلت بهم الكفاية، سقط عن الآخرين.

سابعاً: المفاضلة بين الملائكة والبشر:

تكلم العلماء في المفاضلة بين الملائكة وصالحي البشر، واختلفوا في الآراء ولكن خلاصة القول ما **قاله ابن تيمية:** " بأن صالحي البشر أفضل باعتبار كمال النهاية، وذلك إنما يكون إذا دخلوا الجنة ونالوا الزلفى، وسكنوا الدرجات العلا، وحياهم الرحمن ﷻ، وخصهم بمزيد قربه، وتجلى لهم، يستمتعون بالنظر إلى وجهه الكريم، وقامت الملائكة في خدمتهم بإذن ربهم ﷻ، والملائكة أفضل باعتبار البداية فإن

[1] رواه مسلم (1/ 36)

الملائكة الآن في الرفيق الأعلى منزهون عما يلابسه بنو آدم مستغرقون في عبادة الرب ﷻ ولا ريب أن هذه الأحوال الآن أكمل من أحوال البشر. وأما يوم القيامة بعد دخول الجنة فيصير صالحو البشر أكمل من حال الملائكة"[1]

قال ابن القيم: "وبهذا التفصيل يتبين سر التفضيل وتتفق أدلة الفريقين ويصالح كل منهم على حقه، فعلى المتكلم في هذا الباب أن يعرف أسباب الفضل:

أولاً: ثم درجاتها ونسبة بعضها إلى بعض والموازنة بينها.

ثانياً: ثم نسبتها إلى من قامت به.

ثالثاً: كثرة وقوة ثم اعتبار تفاوتها بتفاوت محلها.

رابعاً: قرب صفة هي كمال لشخص وليست كمالا لغيره بل كمال غيره بسواها فكمال خالد بن الوليد بشجاعته وحروبه وكمال ابن عباس بفقهه وعلمه وكمال أبي ذر بزهده وتجرده عن الدنيا، فهذه أربع مقامات يضطر إليها المتكلم في درجات التفضيل وتفضيل الأنواع على الأنواع أسهل من تفضيل الأشخاص على الأشخاص وأبعد من الهوى والغرض"[2]

سابعاً: أثر الإيمان بالملائكة في حياة المسلم:

للإيمان بالملائكة آثار عظيمة على سلوك الإنسان، وعلاقته بربه ﷻ، ومن تلك الآثار:

1. بذل العبد جهده في طاعة ربه ﷻ، اقتداء بالملائكة الكرام، الذين يتفانون في طاعته مع عصمتهم من الذنوب، وقربهم من ربهم ﷻ، قال ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ

[1] مجموع الفتاوي لابن تيمية (4/ 343)
[2] بدائع الفوائد لابن القيم (3/ 163)

﴿ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ﴿٢٠٦﴾ ﴾ الأعراف: ٢٠٦

2. دفع الغرور عن النفس، والافتخار بالعمل، فالملائكة على دوام طاعتهم خاضعين له ﷻ، قال ﷻ: ﴿ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ الأنبياء: ٢٠، وهم مع ذلك يسألونه الصفح والمغفرة عن التقصير في العمل، أن الملائكة تقول لربها يوم القيامة: "سبحانك ما عبدناك حق عبادتك"[1]، والمسلم مهما بلغ في عبادته، فلن يبلغ مقدار عبادة الملائكة، فهو أولى بنبذ الكبر والاغترار بالعمل .

3. الاجتهاد في البعد عما حرمه الله ﷻ، خوفاً من الله ﷻ أولاً، ثم حياء من الملائكة الذين لا يفارقون بني آدم، ويكتبون ويسجلون أعمالهم، ولا سيما أن الله ﷻ وصفهم بأنهم كرام، قال ﷻ: ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ الانفطار: ١٠ - ١٢، فإن الإنسان قد تستولي عليه الشهوة، ويغفل عن مراقبة الله ﷻ له، فإذا علم أن معه من لا يفارقه من الملائكة الكرام، كان ذلك باعثاً له على الحياء، والانكفاف عما هو مقدم عليه من معصية الله ﷻ.

4- الاقتداء بهم في حسن نظامهم، وإتقان أعمالهم، فعن جابر بن سمرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: "ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها، فقلنا: يا رسول الله، وكيف تصف الملائكة عند ربها؟ قال: يتمون الصفوف الأول، ويتراصون في

[1] المستدرك على الصحيحين للحاكم (4/ 629)

الصف"[1]، فحثّ النبي ﷺ الصحابة رضي الله عنهم على الاصطفاف في الصلاة، كما تصف الملائكة عند ربها عز وجل، وذلك لحسن نظامهم، عند وقوفهم بين يدي ربهم عز وجل.

إن الملائكة مع عظيم خلقهم، وشدة بأسهم، ما هم إلا خلق من خلق الله عز وجل، وإن هذا الكون بإبداعه، وإبداع من فيه، لهو أعظم دليل على وحدانية الله سبحانه وتعالى، واستحقاقه مطلق العبادة.

ثامناً: ثمرات الإيمان بالملائكة:

ثمرات الإيمان بالملائكة إنّ للإيمان بالملائكة ثمرات عديدة، نذكر منها:

1. العلم بعظمة الله سبحانه وتعالى؛ من خلال معرفة عظم خلق الملائكة؛ فعظمة الخلق تدل على عظمة الخالق سبحانه وتعالى.
2. شكر الله سبحانه وتعالى الذي خلق لبني آدم وسخر لهم الملائكة التي تقوم على حفظهم، وحفظ مصالحهم، وكتابة أعمالهم، وغيرها من الأعمال.
3. حصول محبة الملائكة من خلال معرفة صفاتهم وأنهم دائموا العبادة لله سبحانه وتعالى.
4. أنَّ الإيمان بهم من الإيمان بالغيب الذي هو أصلُ أصولِ الإيمان بالله سبحانه وتعالى وما جاء عنه سبحانه وتعالى.
5. الثقة بسند الرسالة، فإنَّ منهم عليهم السلام السُّفَراء بين الله سبحانه وتعالى وبين رسله عليهم السلام في تبليغ رسالته، وهم مَوْصُوفون بالغاية من الأمان وكَمال الدِّيانة والعصمة من الذُّنوب، ومنها الكذب والخطأ.

---

[1] رواه مسلم (1/ 322)

6. معرفة علاقتهم بالمكلَّف وقُربهم منه في أحوالٍ كثيرةٍ والحِفظ الدائم، وهذا يقتَضِي الأدبَ معهم والحياء منهم، والأُنس بهم، وحُسن صُحبتهم.

7. احترامهم ومُراعاة الأدب الذي ينبغي معهم فيما دلَّت النُّصوص على أنَّهم يحضرونه من الأحوال والمجالس، والحذَر من أذيَّتهم.

8. المبادرة إلى المواطن والأعمال التي دلَّت النُّصوص على أنهم يحضرونها ويُثنون على أهلها ويدعون لهم والحذَر من الأعمال التي دلَّت النُّصوص على أنَّهم يكرَهونها أو تمنع حُضورهم مَواطنها ومُجالسة أهلها.

9. التأسِّي بهم في دَوام طاعتهم لله ﷻ وحُسن عِبادتهم له، ودَوام ذِكرهم له؛ وهذا ممَّا يحمل على كَمال الاستقامة واستِدامة الطاعة.

10. طمَع المؤمن في استِجابة الله ﷻ لدُعائهم له واستغفارهم له والأخْذ بأسباب ذلك من التحقُّق بالإيمان والمسارعة إلى الخير والاشتِغال بالذِّكر.

11. الإيمان بعظَمة الله ﷻ وقُوَّته وقُدرَته وحِكمته في خلق أولئك الكِرام على هذه الخِلقة الكريمة الحسَنة القويَّة.

12. شُكر الله ﷻ على عِنايته ببني آدم وغيرهم من المكلَّفين؛ حيث وكل بهم هؤلاء الملائكة الكرام يحفَظونهم ويحفَظون عليهم أعمالهم، ويُعِينونهم على عبادة ربهم ﷻ.

13. ملازمة الاستِقامة والحذَر من مُقارَفة المعاصي؛ حَذَرًا من أنْ يَكتُبوا علينا إثمًا أو يشهدوا علينا بمعصيةٍ، فإنهم شهودٌ مرضيُّون، وإنَّ العبد إذا ذكر حُضورهم معه استَحى منهم.

14. نشاط الهمم والجوارح في فعل الخيرات والمبادرة إلى البِرِّ؛ لعِلمنا بحُضورهم مَجالِسه، وحُبِّهم له ودُعائهم لفاعله وإعانتهم له.

15. الإلحاح على الله ﷻ بدُعائه وبالثَّناء عليه ﷻ رجاءَ مُوافقة دُعائهم واستِغفارهم لنا، فإنَّ الموافقة من أسباب الإجابة.

16. الطمأنينة في المواطن التي يحضرونها يصلُّون على المسلم رجاءَ بركة حُضورهم وتحصيل المزيد من دُعائهم وصَلاتهم.

الفصل الثالث
الإيمان بالكتب السماوية

أولاً: تعريف الإيمان بالكتب السماوية:

هو التصديق الجازم بجميع الكتب السماوية التي أنزلها الله ﷻ على رُسله عليهم السلام، والإقرار بوجودها، قال ﷻ: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ ﴿٢٨٥﴾ ﴾ البقرة: ٢٨٥

فالكتب السماوية المنزلة من الله ﷻ تُخرج الناس من الظلام إلى نور الهداية والحقّ، وتتضمّن تشريعات الله ﷻ وأوامره ونواهيه، وفيها الترغيب بجنّات النعيم والترهيب من عاقبة الظالمين، قال ﷻ: ﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ﴿١﴾ ﴾ إبراهيم: ١

ثانياً: وجوب الإيمان بالكتب السماوية:

ورد في القرآن الكريم أدلّة وآيات تدلّ على وجوب الإيمان بالكتب السّماوية جميعها، وهي الأدلّة الآتية:

1. قال الله ﷻ: ﴿ قُلۡ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ

﴿ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾

آل عمران: ٨٤

2. قال الله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ ﴾

النساء: ١٣٦ **الأدلة القرآنية الخاصة بالإيمان بكتب بعض الأنبياء عليهم السلام:**

قال الله ﷻ في كتابه العزيز كذلك أدلّة خاصّة، تدلّ كلّ منها على وجوب الإيمان ببعض الكتب السّماوية، وهي كما يأتي:

3. وجوب الإيمان بما أنزله الله ﷻ على موسى عليه السلام، فقد قال الله -ﷻ-:

﴿ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُواْ بِأَحْسَنِهَا ۚ سَأُوْرِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿١٤٥﴾ ﴾

الأعراف: ١٤٥

4. وجوب الإيمان بالإنجيل الذّي أنزله الله ﷻ على عيسى عليه السلام، فقد قال ﷻ:

﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ المائدة: ٤٦

5. وجوب الإيمان بالزّبور الذّي أنزل على داود عليه السلام، فقد قال سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ﴿١٦٣﴾ ﴾ النساء: ١٦٣

6. وجوب الإيمان بالصّحف التي نزلت على إبراهيم عليه السلام، فقد قال سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ ﴾ الأعلى: ١٨ - ١٩

7. الإيمان بآخر الكتب السّماوية وهو القرآن الكريم الذّي نزل على محمّد ﷺ، قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ﴿١٩٥﴾ ﴾ الشعراء: ١٩٢ - ١٩٥

ثالثاً: كيفية الإيمان بالكتب السماوية:

1. **الإيمان الإجمالي:** فهو أن تؤمن بأن الله عز وجل أنزل كتباً على رسله عليهم السلام إيماناً مجملاً، ويكون ذلك بالإقرار بها بالقلب واللسان، وأن منها ما فقد واندثر، ومنها ما حرف وغير، وأنها منسوخة بالقرآن الكريم.

2. **الإيمان التفصيلي:** فهو أن تؤمن بما سمى الله عز وجل من كتبه في القرآن الكريم، وقد علمنا من ذلك: القرآن والتوراة والزبور والإنجيل وصحف إبراهيم وموسى عليهما السلام، وتؤمن بأن لله عز وجل سوى ذلك كتباً أنزلها على أنبيائه عليهم السلام، لا يعرف أسماءها وعددها إلا الذي أنزلها سبحانه وتعالى.

رابعاً: الكتب السماوية التي ذكرت في القرآن والسنة:

الكتب السماوية هي كلام الله ﷻ الذي أنزله على رسله عليهم السلام عن طريق الوحي، أو من وراء حجاب ليبيّن للناس طريق الصواب ويأمرهم به، ويحذرهم من الوقوع بالشرك والأعمال السيئة ومن هذه الكتب التي تم ذكرها في القرآن والسنة النبوية:

1. التوراة:

هو الكتاب الذي أنزله الله ﷻ على نبيه موسى عليه السلام لهداية قومه بني إسرائيل، وإرشادهم لطريق الحق والصواب، وكان ذلك بعد هلاك فرعون ونجاة بني إسرائيل من طغيانه، والتوراة كتاب مكتوب باللغة العبرية القديمة، واسمه لدى اليهود والنصارى العهد القديم ولكنه حُرّف مع مرور الزمن وبُدّل قول الله ﷻ بكلام البشر، فلا يصح العمل به الآن بسبب تحريفه، قال ﷻ: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ﴿٤٤﴾ ﴾ المائدة: ٤٤

2. الإنجيل:

هو الكتاب الذي أنزله الله ﷻ على عيسى عليه السلام لينذر قومه ويخرجهم من ظلمات الجهل والشرك إلى نور المعرفة والإيمان بالله ﷻ، ومكملًا لرسالة موسى عليه السلام فقد أُرسل لبني إسرائيل، قال ﷻ: ﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ المائدة: ٤٦

3. الزبور:

هو كتاب سماوي أنزله الله ﷻ على داود عليه السلام، وقد بُعث داود عليه السلام إلى بني إسرائيل وفيه مئة وخمسين سورة كلها مواعظ وثناء فلم يحتوِ على أحكام كالحلال والحرام، وكان أكثر ما ورد في الزبور الثناء على الله ﷻ بالإضافة للأذكار والدعاء، قال ﷻ: ﴿ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ ﴾ النساء: ١٦٣، وقال ﷻ: ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ الأنبياء: ١٠٥

4. صحف إبراهيم وموسى عليهما السلام:

هي الصحف التي أنزلها الله ﷻ على إبراهيم عليه السلام لإرشاد قومه إلى طريق الصواب، وأغلب ما جاء فيها مواعظ وعِبر، وقد ذكرت صحف إبراهيم عليه السلام في عدة مواضع في القرآن الكريم، قال ﷻ: ﴿ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾ ﴾ النجم: ٣٦ – ٤٢، وقال ﷻ: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾ إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ ﴾ الأعلى: ١٤ – ١٩

5. القرآن الكريم:

هو كلام الله ﷻ المنزل على نبيّه محمد ﷺ على لسان جبريل عليه السلام لإتمام الرسالة الإلهيّة وتوحيد الأمة على جمعاء الديانة الإسلامية وهدايتهم لطريق الحق والصواب ودليلًا على صدق نبوة محمد ﷺ وقد عهد الله ﷻ بحفظه من التحريف إلى يوم القيامة، قال ﷻ: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ الحجر: ٩، قال ﷻ: ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾ فصلت: ٤٢ قال ﷻ: ﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾ ﴾ الإسراء: ١٠٦، وقال ﷻ: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ ﴾ الشعراء: ١٩٣ ــ ١٩٥

خامساً: الغاية من إنزال الكتب السماوية:

1. إقامة الحجّة على الخلق:

أنزل الله ﷻ الكتب السماويّة حتى يقيم الحجّة على خلقه، فلا يقولوا: ﴿ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ﴿١٩﴾ ﴾ المائدة: ١٩، فبَعْثُ الرسل عليهم السلام بما جاءوا به من البيّنات المكتوبةِ يقطع عن هذا العذر، فيحيا من حي عن بينة ويهلك من هلك عن بينة وتقوم الحجة على الخلق بالتكليف، قال ﷻ: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ ﴾ النساء: ١٦٥، **قال ابن قدامة** تعليقاً على هذه الآية: "نعلم أن لله ﷻ علينا

الحجة بإنزال الكتب وبعثة الرسل عليهم السلام"[1]، والآية السابقة بمفهومها تدلّ على هذه الحكمة، وإن لم تُذكر الكتب صراحةً، لأنه لا معنى لإرسال الرسل عليهم السلام إلا بما أُرسلوا به من الوحي في الكتب وغيرها، فالبشارة والنذارة المذكورتان في الآية قد تضمّنتها تلك الكتب المنزلة، وإن أعظم قضيّة تعلّقت بها إقامة الحجّة هي مسألة توحيد الخالق ﷻ، فإن الكتب ما أنزلت والرسل عليهم السلام ما أرسلت إلا لتحقيق هذه الغاية العظيمة، والتي أسهمت الكتب المنزلة في تقريرها وتأصيلها وتذكير الناس بها على نحوٍ لا لبسَ فيه ولا غموض، حتى لم يبقَ بعد ذلك عذرٌ لمعتذر.

2. تأييد الرسل وإظهار صدقهم:

أنزل الله ﷻ الكتب السماويّة لبيان صدق الرسل والأنبياء عليهم السلام في دعواهم المتعلّقة بالبعثة والاصطفاء، ونحن نرى كيف أنزل الله ﷻ على موسى عليه السلام تلك الألواح التي جاء وصفها القرآني: ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ ﴿١٤٥﴾ ﴾ الأعراف: ١٤٥، فكان في وجودها دليلٌ على صدق رسالته، ومما يُستشهد به في هذا المجال قول الحق ﷻ: ﴿ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾ ﴾ آل عمران: ١٨٤، فكُذِّب الرسل عليهم السلام بالرغم من التأييد

[1] لمعة الاعتقاد لابن قدامة ص 24

الإلهي بهذه الكتب المنزّلة التي تدلّ على صدق دعوى الاصطفاء، فدلّ على أن تأييدهم هو من الحكم الإلهيّة في إنزال الكتب.

3. الحكم بين الناس حين الاختلاف:

أنزل الله ﷻ الكتب السماويّة حتى يكون الكتابُ حَكَماً بينهم، وليُبيّن لهم الذي اختلفوا فيه، قال ﷻ: ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ﴿٢١٣﴾ ﴾ البقرة: ٢١٣، فكلّ ما اشتملت عليه الكتب السماويةٌ هي فصلٌ عند التنازع والاختلاف، لأنها أخبار صادقة، وأوامر عادلة، فهي حق، تفصل بين المختلفين في مسائل الأصول والفروع.

4. الحكم بين الناس بالعدل:

أنزل الله ﷻ الكتب السماوية حتى يقوم ميزان الحق بين الناس، فيأخذَ كلّ ذي حقٍّ حقّه، ولا يظلم أحدٌ أحداً، لأن تلك الكتب هي المرجعيّة الدائمة لهم لمعرفة الاستحقاقات واستنباط الواجبات، ولو تُركت الأمور للناس لفسدت الأرض وضاع الحقّ لوجود الأهواء الفاسدة التي تمنع من إقامة سلطان الحق، وفي ذلك يقول ﷻ: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ﴿٢٥﴾ ﴾ الحديد: ٢٥، فهذه الآية تبيّن أن قيام القسط علّةٌ لإنزال الكتاب والميزان معاً، **يقول أهل ابن حيان**: "لأن القسط هو العدل في جميع الأشياء من سائر التكاليف، فإنه لا ظُلم في شيء منها، ولذلك جاء قوله ﷻ:

﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾ آل عمران: ١٨"[1]

5. هدايةُ الناس وإرشادهم:

أنزل الله ﷻ الكتب السماويّة، لتكون مناراً للعلم ومنبعاً للحكمة، يقصده الناس فيجدوا فيه كلّ ما ينفعهم من أمور معاشهم ومعادهم، ودينهم ودنياهم، ولئن كان مثلُ ذلك متحقّقاً بمجرّد إرسال الرسل عليهم السلام، إلا أن ظهوره في الكتب أشدّ وضوحاً، لأن الكتب السماوية الأصل فيها البقاء بعد موت الأنبياء والرسل الذين أتوا بها، ثم بقيت مهمّة المحافظة على أتباعهم، لتستفيد الأجيال القادمة مما احتوتْه الكتب السماويّة، باستثناء الكتاب الذي أنزله الله ﷻ على هذه الأمة الخاتمة فقد تكفل الله ﷻ بحفظه.

والله ﷻ لم يترك الناس حيارى، بل رسم لهم معالم الطريق الذي يسلكونه لتحصل لهم النجاة والفوز في الدارين، كلّ ما ينبغي عليهم هو الرجوع إلى هذه الكتب السماويّة ليجدوا فيها بغيتهم، ألم يقل النبي ﷺ: "وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به: كتاب الله"[2]

والمنّة في إنزال الكتب السماوية واضحةٌ للتفاوت بين عقول البشر في إدراك الحسن والقبيح، ولقصور عقولهم عن الإحاطة الشاملة بكل الحقائق، ولذلك يقول ﷻ: ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ

[1] البحر المحيط في التفسير لابن حيان (10/ 113)
[2] رواه مسلم (2/ 886)

عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ ﴾ آل عمران: ١٦٤

سادساً: أهمية الإيمان بالكتب السماوية:

يعدُّ الإيمان بالكتب السابقة ركناً من أركان الإيمان، لا يتم الإيمان إلا به، ويؤكّد وحدة الرسالات الإلهية، وأنّ الإسلام جامعٌ لكلِّ الديانات السماوية، والمسلمون أولى الناس جميعاً بقيادة البشرية على نهج الإسلام، فالمؤمن يعتقدُ أنّ أي طائفة من أهل الكتاب يملكون أساساً وأصلاً لدينهم، وهذا ممّا يجعلُ أهل الكتاب قريبين من الإسلام والمسلمين لو أنصفوا، قال ﷻ: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ ﴾ الشورى: ١٣، إنَّ الإيمان بالكتب الإلهية جزءٌ من الإيمان بالقرآن الكريم، وجزءٌ من الإيمان بأنَّ الله ﷻ هو الهادي، فما مِنْ أمةٍ إلا وقد أنزل الله ﷻ بها هدًى، قال ﷻ: ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۚ وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٞ ﴿٢٤﴾ ﴾ فاطر: ٢٤، والمسلم يؤمن أنّ القرآن قد اشتمل على كلّ ما سبقه من كتب، وهو سليم من أي تحريف، فالقرآن يصدق بالكتب السابقة، وهو المرجع الوحيد لبيان ما فيها من حق، قال ﷻ: ﴿ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِ

﴿٤٨﴾ ﴿ المائدة: ٤٨، والموقف الذي ينبغي أن يتّخذه المسلم من تلك الكتب التوراة والإنجيل، أن يؤمن بما ورد فيها مما قرره القرآن الكريم، أمّا ما وردَ مخالفاً أصول القرآن العامة فلا يؤمن به، بل يعتقدُ في بطلانه، أما ماعدا ذلك من القصص والمواعظ التي لم يذكرها القرآن، ولا تناقض أصوله فلا يصدقها ولا يكذبها، وذلك اتباعاً لما ورد عن النبي ﷺ: "إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم، وقولوا امنا بالله وكتبه ورسله، فإن كان حقاً لم تكذبوهم، وإن كان باطلاً لم تصدقوهم"[1]

سابعاً: حاجة الناس للكتب السماوية:

لا تستقيم حياة البشر ولا تنتظم إلا ببعثة الرسل عليهم السلام ومعهم الكتب المنزلة إليهم، فهي النور الذي يشع على البشرية الخير والحق والهدى، ولا صلاح للبشرية إلا بهذا النور المشع إذ إن حاجة الناس إلى الكتب فوق حاجتهم إلى كل شيء، فهي روح البشرية ونور حياتهم، لذلك سمى الله ﷻ الوحي المنزل بالرسالة روحاً ونوراً، والإنسان لا يستغني عن الروح فهي سبب الحياة، ولا عن النور فهو سبب الهداية، قال ﷻ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٥٢﴾ ﴾ الشورى: ٥٢، "فالناس بحلجة ماسة إلى الكتب المنزلة، وذلك للأمور التالية:

[1] مسند أحمد (28/ 460)، المستدرك على الصحيحين للحاكم (3/ 404)

1. ليكون الكتاب المنزل على الرسول هو المرجع لأمته، مهما تعاقبت العصور، فيرجعون إليه في تحديد عقائد الدين وأسسه، ومبادئه، وغاياته، ويرجعون إليه في التعرف على أحكام شريعة الله ﷻ لهم.

2. ليكون الكتاب المنزل على الرسول هو الحكم العدل لأمته في كل ما يختلفون فيه، مما تتناوله أحكام شريعة الله ﷻ لهم، قال ﷻ: ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ ﴿٢١٣﴾ ﴾ البقرة: ٢١٣

3. ليصون الكتاب المنزل بعد وفاة الرسول عقائد الدين وشرائعه من التحريف والتغيير، فإن غيّر فيه وحرف، فيكون حجة يوم القيامة على من حرف وغير في كتاب الله ﷻ.

4. حتى يحفظ هذا الكتاب لدعوة الرسول ولرسالته تأثيرها وسريانها وقابليتها للاتساع والانتشار، مهما تباعدت الأمكنة أو الأزمنة عن مكان أو زمان نشأة الرسول صاحب الدعوة، خاصة إذا كانت دعوة الرسول دعوة عامة شاملة، كرسالة محمد ﷺ، فوجودها بين الناس بمثابة استمرار لوجوده بينهم"[1]

ثامناً: الأمور التي يتضمنها الإيمان بالكتب السماوية:

1. التصديق الجازم بأن جميعها منزَّل من عند الله ﷻ، وأن الله ﷻ تكلم بها حقيقة فمنها المسموع منه ﷻ من وراء حجاب بدون واسطة الرسول الملكي، ومنها ما بلغه الرسول الملكي إلى الرسول البشري، ومنها ما كتبه الله ﷻ بيده، قال ﷻ:

[1] العقيدة الإسلامية وأسسها للميداني ص 540

﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾ ﴾ الشورى: ٥١، وقال ﷻ:

﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ ﴾ النساء: ١٦٤

2. ما ذكره الله ﷻ من هذه الكتب تفصيلاً وجب الإيمان به تفصيلاً وهي الكتب التي سماها الله ﷻ في القرآن وهي: القرآن والتوراة والإنجيل والزبور وصحف إبراهيم وموسى عليهما السلام، وما ذكر منها إجمالاً وجب علينا الإيمان به إجمالاً فنقول فيه ما أمر الله ﷻ به رسوله ﷺ: ﴿ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ ﴿١٥﴾ ﴾ الشورى: ١٥

3. تصديق ما صح من أخبارها، كأخبار القرآن، وأخبار ما لم يُبدل أو يُحرف من الكتب السابقة.

4. الإيمان بأن الله ﷻ أنزل القرآن حاكماً على هذه الكتب ومصدقاً لها، قال ﷻ: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴿٤٨﴾ ﴾ المائدة: ٤٨، **قال أهل التفسير**: مهيمناً: مؤتمناً وشاهداً على ما قبله من الكتب، ومصدقاً لها يعني: يصدق ما فيها من الصحيح، وينفي ما وقع فيها من تحريف وتبديل وتغيير، ويحكم عليها بنسخ ـ أي رفع وإزالة ـ أحكام سابقة، أو تقرير وتشريع أحكام جديدة ؛ ولهذا يخضع له كل متمسك بالكتب المتقدمة ممن لم ينقلب على عقبيه، قال ﷻ: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ

﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾

﴿ القصص: ٥٢ ـ ٥٣"[1]

تاسعاً: ثمرات الإيمان بالكتب السماوية:

1. العلم بعناية الله ﷻ بعباده حيث أنزل لكل قوم كتاباً يهديهم به.

2. العلم بحكمة الله ﷻ في شرعه حيث شرع لكل قوم ما يناسب أحوالهم كما قال ﷻ: ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴿٤٨﴾ ﴾ المائدة: ٤٨

3. القيام بواجب شكر الله ﷻ على هذه النعمة العظيمة.

4. أهمية العناية بالقرآن العظيم، بقراءته وتدبره وتفهم معانيه والعمل به.

5. استشعار نعم الله ﷻ على عباده، فقد جعل لهم كتباً تهديهم سبل الرشاد، وتُخرجهم من الظلمات إلى النور، ولم يتركهم هملاً تتخطفهم الأهواء والشهوات، وتتقاذفهم الشبهات، بل هيّأ لهم من الأسباب ما يصلح أمرهم ويسدد وجهتم، ولابدّ للناس من مرجعٍ ثابتٍ للحق يثوبون إليه ويردون حياضه؛ ليكون حجّة دامغةً، ورحمةً واسعةً، ونوراً للأبصار والبصائر.

6. بيان أهميّة العقيدة، وبيانٌ ووحدة الرسالات في الأصول والأهداف، ليعلم المؤمن أن الغاية واحدة، والمنبع واحد، والدين واحدٌ مهما اختلفت مسميّاته، وهو دين الإسلام، قال ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴿١٩﴾ ﴾ آل عمران: ١٩، الإسلام هنا بمعناه العام "وهو الاستسلام لله ﷻ بتوحيده وطاعته"[2]؛ فقد اتفقت

[1] أعلام السنة المنشورة للحكمي ص 44
[2] تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص 124

الكتب السماوية كلها على رسالة التوحيد وتقرير أصول الإيمان، ونبذ الشرك والتحذير من مسالكه.

7. ظهور حكمة الله ﷻ حيث شرع في هذه الكتب لكل قومٍ ما يُناسب زمانهم ومكانهم وطباعهم، ففيما عدا الأصول والعقائد تختلف الكتب السماوية في الشرائع والأحكام، قال ﷻ: ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴿٤٨﴾ ﴾ المائدة: ٤٨، وكان من مقتضى ذلك أن يحدث النسخ بين الكتب السماوية المختلفة، فجاء نسخ الإنجيل لبعض شرائع التوراة؛ فعيسى عليه السلام يقول لقومه: ﴿ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ﴿٥٠﴾ ﴾ آل عمران: ٥٠، ونسخ القرآن الكريم الكتب السابقة.

8. اظهار تفاضل الأنبياء عليهم السلام، وعظمة الذين اختصّهم الله ﷻ بهذه الكتب عن غيرهم، وذلك فضل الله ﷻ يؤتيه من يشاء، قال ﷻ: ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴿٢٥٣﴾ ﴾ البقرة: ٢٥٣

9. أن الإيمان بالكتب يمنح المؤمن الشعور بالراحة والطمأنينة، وذلك بمعرفته أن الله ﷻ قد أنزل على كل قوم من الشرائع ما يناسب حالهم، ويحقق حاجتهم، ويهديهم لما فيه صلاح أمرهم في الدنيا والآخرة، فإذا كان المؤمن على بينة من هذه السنة الإلهية ازداد إيماناً مع إيمانه، ويقيناً فوق يقينه، فيزداد حباً لربه ﷻ ومعرفة له وتعظيماً لقدره، فتنطلق جوارحه عاملة بأوامر الله ﷻ، فتتحقق الغاية العظيمة من

الإيمان بالكتب، وهي العمل بما فيها، فينال ثمرة هذا الإيمان سعادة في الدنيا وفوزاً في الآخرة.

10. السعادة في الدنيا والفوز بالآخرة، ذلك أن من لم يؤمن بتلك الكتب فقد خالف أمر الله ﷻ، وضل ضلالاً بعيداً، قال ﷻ: ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ ﴾ النساء: ١٣٦

11. إظهار نعمة الله ﷻ العظيمة على هذه الأمة؛ حيث جعل كتابها المنزل عليها مشتملاً على إرث الكتب السابقة؛ فكل ما فيها من نور وهدى، وخير وصلاح، وحكمة ورشاد فللقرآن منها نصيبٌ وافرٌ، وزيادة فضل، وهذا من التوريث المذكور في قوله ﷻ: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴿٣٢﴾ ﴾ فاطر: ٣٢، **يقول القرطبي**: "يريد به معاني الكتاب وعلمه وأحكامه وعقائده وكأن الله ﷻ لما أعطى أمة محمد ﷺ القرآن وهو قد تضمن معاني الكتب المنزلة فكأنه ورث أمة محمد ﷺ الكتاب الذي كان في الأمم قبلنا"[1]

12. إظهار فضيلة هذه الأمة على من سبقها من الأمم؛ فالله ﷻ أوكل حفظ الكتب السابقة لأتباع الأنبياء عليهم السلام من الأحبار والرهبان، وهذا مذكورٌ في قوله ﷻ: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ ﴿٤٤﴾ ﴾ المائدة: ٤٤؛ **قال السعدي**: "﴿ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ ﴾ أي: بسبب أن الله

[1] تفسير القرطبي (14/ 347)

ﷻ استحفظهم على كتابه، وجعلهم أمناء عليه، وهو أمانة عندهم، أوجب عليهم حفظه من الزيادة والنقصان والكتمان، وتعليمه لمن لا يعلمه"[1]

[1] تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص 232

الفصل الرابع
الإيمان بالأنبياء والرسل عليهم السلام

أولاً: تعريف الإيمان بالرسل عليهم السلام:

هو التصديق الجازم برسالة الأنبياء والمرسلين عليهم السلام والإقرار بنبوتهم، وتصديقهم فيما جاءوا به عن ربهم ﷻ، وتبلغيهم رسالاتهم للناس جميعاً دون زيادة ونقصان.

ثانياً: وجوب الإيمان بالرسل عليهم السلام:

الإيمان بالأنبياء والمرسلين عليهم السلام ينبغي أن يعمهم جميعاً، فمن كفر بنبي أو رسول واحد فهو في عداد الكافرين بجميع الأنبياء والرسل عليهم السلام؛ لأن الكل مرسل من الله ﷻ، فلا يصح إيمان العبد إلا به، والأدلة الشرعية في كتاب الله ﷻ كثيرة على وجوب الإيمان بالرسل عليهم السلام والإقرار بنبوتهم، نذكر منها:

1. قد أمر الله ﷻ بالإيمان بهم، وقرن ذلك بالإيمان به، فقال ﷻ: ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ﴿١٧١﴾﴾ النساء: ١٧١

2. قرن الله ﷻ الكفر بالرسل عليهم السلام بالكفر به، فقال ﷻ: ﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾

النساء: ١٣٦

3. جاء الإيمان بهم في المرتبة الرابعة من التعريف النبوي للإيمان، كما في حديث جبريل عليه السلام: "أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله"[1]

4. قال ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ١٥٠ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ١٥١ ﴾ النساء: ١٥٠ - ١٥١، تدل هذه الآية الكريمة على منزلة الإيمان بالرسل عليهم السلام ، وأنها بمنزلة الإيمان بالله ﷻ، وضرورة الإيمان برسل الله عليهم السلام جميعهم، دون التفرقة بينهم، ودون الإيمان بأحدهم والكفر بآخرين.

ثالثاً: الحكمة من إرسال الرسل عليهم السلام:

أرسل الله ﷻ الأنبياء والمرسلين عليهم السلام على الأقوام لحكم وأهداف عظيمة وهي:

1. تعريف الناس بخالقهم ﷻ وبيان أسمائه وصفاته، وإقامة الحجة عليهم في وجوب الإيمان بخالقهم ﷻ بعد معرفتهم إياه.

2. تنظيم أمور الناس وتسيير شؤون حياتهم؛ وذلك ببيانهم بأمور الحلال والحرام.

3. تعريف الناس بكيفية العبادة والتقرب لله ﷻ خالقهم، ولولا الرسل عليهم السلام لابتدع كل إنسان طريقة في التقرب لله ﷻ وتخبطوا في ذلك.

[1] رواه مسلم (1/ 36)

4. إقامة العدل بين الناس؛ فمن المعلوم أن الإنسان منذ الزمن الأول كان فيه ظالم ومظلوم، وحاكم ومحكوم، وأبيض وأسود، فجاء الرسل عليهم السلام من الله ﷻ ليوحّدوا الناس تحت راية واحدة هي الإيمان بالله ﷻ.

5. تخليص الناس والأمم من المعتقدات والموروثات الخاطئة التي كانوا يعتقدونها ويؤمنون بها، وتصحيح مسار أفكارهم.

رابعاً: وظائف الرسل عليهم السلام:

أوكل الله ﷻ رسله عليهم السلام حين كلفهم بالنبوة بوظائف عديدة كما سيأتي ذكره:

1. تبليغ رسالة الله ﷻ للناس، قال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ ٦٧﴾ المائدة: ٦٧، وتبليغ الرسالة أمر ليس بالعين، فهو يحتاج شجاعة وإخلاصاً؛ لأن الرسول عليه السلام يعلم أنه سيواجه من قومه وسيكذّب.

2. الدعوة إلى الله ﷻ، وتوجيه الناس إلى ما فيه صلاحهم.

3. تبشير الناس وإنذارهم، حيث إنّ وظيفة الرسل عليهم السلام هي أن يبشروا من آمن بالله ﷻ بالجنة والمغفرة، وينذروا من كذّب وعاند ويحذّروه من غضب الله ﷻ ومن نار جهنم.

4. تزكية نفوس المؤمنين وإصلاحها، حيث إنّ الرسل عليهم السلام يبلغون من آمن معهم بكل ما يُزكّي نفوسهم ويقرّبها من خالقهم ﷻ، ويدلّونهم على الأعمال التي تقربهم منه.

5. بيان معاني ما أنزل عليهم من الوحي، قال ﷻ: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ النحل: ٤٤

6. التعريف بالغاية التي خلق الله ﷻ الخلق لأجلها، وهي عبادته وتوحيده ﷻ والتي لا تعرف إلا عن طريق الرسل عليهم السلام الذين اصطفاهم الله ﷻ من خلقه، قال ﷻ: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴿٣٦﴾ ﴾ النحل: ٣٦

7. إقامة الحجة على الخلق، لئلا يبقى لإنسان حجة عند الله ﷻ، فلا أحد أحب إليه العذر من الله ﷻ، قال ﷻ: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ ﴾ النساء: ١٦٥

8. الشهادة على الأمة بأنه بلغ إليهم رسالة ربهم ﷻ، قال ﷻ: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ ﴾ النساء: ٤١، قال ﷻ: ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ النحل: ٨٩، فالرسل عليهم السلام هم شهود الله ﷻ على الناس، من آمن به وطاع، وشاهداً على من خالف وعصى.

9. قيادة الأمة وسياستها الدينية والدنيوية، فالرسل عليهم السلام يحكمون بين الناس، ويقودون الأمة في السلم والحرب، ويقومون على رعاية الناس، قال ﷻ: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ ﴿٦٤﴾ ﴾ النساء: ٦٤، وقال ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴿٥٩﴾ ﴾ النساء: ٥٩

10. الدعوة إلى الإصلاح بالحكمة والقدوة الحسنة، فالرسول في قومه معلم ومؤدب، يقوم تربية الناس بأقوم أساليب التربية والتهذيب، قال ﷻ: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ النحل: ١٢٥، قال ﷻ: ﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ﴿٢١﴾ ﴾ الأحزاب: ٢١

خامساً: أعداد الرسل عليهم السلام وتعدادهم:

1. اقتضت حكمة الله ﷻ أن يرسل لكل قوم نذير، لذلك كان عدد الرسل والأنبياء عليهم السلام عدد كبير، وهناك رسل وأنبياء ذُكروا في القرآن، وأنبياء لم يقصص الله ﷻ قصصهم، ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلٗا مِّن قَبۡلِكَ مِنۡهُم مَّن قَصَصۡنَا

عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾

غافر: ٧٨

2. ذكر القرآن الكريم خمسة وعشرين نبياً ورسولاً وهم آدم، وإدريس، ونوح، وهود، وصالح، وإبراهيم، ولوط، وإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، ويوسف، وأيوب، وشعيب، وموسى، وهارون، ويونس، وداود، وسليمان، وإلياس، واليَسَع، وزكريا، ويحيى، وعيسى عليهم السلام، وكذا ذو الكفل عند كثير من المفسرين، وخاتم النبين والمرسلين محمد ﷺ.

سادساً: أوصاف الرسل عليهم السلام:

هناك صفات يجب أن نؤمن أن كل الأنبياء والرسل عليهم السلام يتصفون بها وهي:

1. **الصدق:** إن أول ما يجب أن يتصف به النبي عليه السلام هو الصدق إذ يستحيل على الله عز وجل أن يبعث كذاباً، فيستحيل على الرسول عليه السلام أن يكذب، لقوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ ۚ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ ﴾ مريم: ٤١، وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾ ﴾ مريم: ٥٦، وأعظم مثال يضرب صدقه وأمانته هو خاتم النبين محمد ﷺ حيث كان يلقب بالصادق الأمين.

2. **الأمانة:** فهذا الخلق لا يمكن ألا أن يكون ملازماً للصدق فالصادق يجب أن يكون أميناً والأمين يجب أن يكون صادقاً، والأمانة صفة تشتمل على الكثير من الفضائل ككتمان الأسرار والحفاظ على حقوق العباد وتبليغ الرسالة كما كلفه الله

ﷻ والالتزام التام بكل ما يدعو الناس إليه، قال ﷻ: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾﴾ الأعراف: ٦٨، وقال ﷻ: ﴿إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾﴾ الشعراء: ١٠٧، وقال ﷻ: ﴿أَنْ أَدُّوٓا۟ إِلَىَّ عِبَادَ ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٨﴾﴾ الدخان: ١٨

3. **الفطنة**: أي أن يكون الرسول عليه السلام فطناً ذكياً يُدرك ما يدور حوله من الأمور إدراكاً سريعاً ويتصرف فيه على حسب ما يقتضي العقل الحكيم وهي لازمة للرسول عليه السلام حتى تكون لديه القدرة على إقناع من يدعوهم.

4. **العصمة**: وهي الحصانة التي تحاط بها الأنبياء عليهم السلام حتى يبقوا بمأمن من الانزلاق إلى الخطيئة، وحتى لا تمس الشرور والأثام نفوسهم، وحتى يظلوا منذ بعثتهم إلى الأمم وحتى وفاتهم مبرئين من أي نقص وعيب.

سابعاً: أثر الإيمان بالرسل عليهم السلام:

أهمية الايمان بالرسل عليهم السلام يترتب عليه آثار حميدة على الإنسان منها:

1. العلم برحمة الله ﷻ وعنايته بخلقه، فهو الذي أرسل إليهم هذه الرسل عليهم السلام لهدايتهم وإرشادهم وليتبعوا طريق الحق الذي ينجيهم من الهلاك ويأخذهم الى دار النعيم المقيم.

2. شكر الله ﷻ على نعمة الرسل عليهم السلام المنذرين الذين أرسلوا إلينا من رحمة الله ﷻ في خلقه.

3. محبة الرسل عليهم السلام، وتوقيرهم والثناء عليهم بما يليق بهم، لأنهم حملوا هذه الرسالة العظيمة، وأدوا الأمانة وصبروا على الأذى في سبيل إيصال الرسالة.

ثامناً: الفرق بين الرسول والنبي والأمور المشتركة بينهما:

أولاً: الفرق بين الرسول والنبي:

يوجد العديد من الاختلافات الجزئية بين النبيّ والرسُول، فكلُّ رسولٍ نبيّ وليس العكس، ودليل ذلك ما جاء في القرآن الكريم من عطف النبي على الرسول في قوله ﷻ: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ ﴿٥٢﴾ ﴾ الحج: ٥٢، وفيما يأتي بيانٌ لهذه الاختلافات:

1. الرسول أعلى درجة من النبيّ، فهو نبيّ وزيادة، حيث إنّ الرسول يُبعث بِرسالةٍ جديدة، وشريعةٍ جديدة، وكِتابٍ مُستقل، ويكون له أُمّةٌ كبيرة، وأمّا النبيّ فلا يكون له كتاباً خاصاً به، وقد يُوحى إليه بِحُكمٍ جديدٍ يكونُ ناسخاً أو غير ناسخ لما قبله من شريعةِ الرُّسل.
2. الرسول يكون قومه تابعين لرسالتهِ وشريعته، وأمّا أتباع النبيّ فهم يتّبعون شريعة مَن سبقهم مِن الرُّسل عليهم السلام.
3. الرسول يُوحى إليه بِرسالةٍ ويُؤمرُ بتبليغها، وأمّا النبيّ فيوحى إليه ولا يُؤمرُ بتبليغها، فالرسالةُ أعمُ من النُّبوة.
4. الرسول يأتيه الوحيّ في اليقظة، وأمّا النبيّ فيأتيهِ في المنام، أو عن طريق الإلهام.

ثانياً: ما يشترك فيه الرسول والنبي:

يشتركُ الأنبياءُ والرُسل عليهم السلام في العديد من الصفات والخصائص، وفيما يأتي ذكرها:

1. رِجالٌ مِنَ البشر، اختارهم الله ﷻ من بين الناس، وفضّلهم بِالرسالةِ والنُّبوةِ، لِقوله ﷻ: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۖ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٧ ﴾ الأنبياء: ٧

2. جميعُهم من البشر، ولهم صفاتٌ كصِفاتِهِم؛ من الأكلِ، والشُربِ، والمرضِ، والموتِ، ولا يملكون النفع أو الضُّر، ولا يعلمون من الغيب إلا ما يُخبِرُهم به الله ﷻ، لِقوله -ﷻ على لسان نبيه مُحمد ﷺ: ﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۚ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ٥٠ ﴾ الأنعام: ٥٠

3. العِصمة فيما يُبلّغونه للنّاسِ من أحكامِ الدّين، لِقوله ﷻ: ﴿ وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ ٥ ﴾ النجم: ١ - ٥

4. يُخيّرون عند موتهم بين الدُنيا والآخرة، كما أنّهم يُقبرون حيثُ يموتون، ويَبقون أحياءً في قُبورهم يُصلون، لِقولِ النبيّ ﷺ عن موسى عليه السلام: " وقد رأيتني في جماعة من الأنبياء، فإذا موسى قائم يصلي"[1]

[1] رواه مسلم (1/ 156)

5. حُرمةِ الزواج بنسائهم من بعدهم، لِقوله ﷻ: ﴿ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾ ﴾ الأحزاب: ٥٣

6. تأييد الله ﷻ لهم بِالمعجِزات.

7. أفضلُ الناس خُلُقاً، وعِلماً، وعبادةً، وأخلاقاً، وأطهرهم قُلوباً، وأحسنهم عُقولاً وذكاءً، وأشرفهم نسباً.

تاسعاً: أولو العزم من الرسل عليهم السلام:

أولاً: التعريف بأولي العزم من الرسل عليهم السلام:

يُعرف أُولوا العزّم مِنَ الرُّسل: بأنّهم أصحابُ الحزم والصّبر، لِقولهِ ﷻ: ﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ ﴿٣٥﴾ ﴾ الأحقاف: ٣٥، وسُمّوا بذلك؛ لِشدَّتهم في الدّين، وتمسُّكهم بأوامر الله ﷻ، وتبليغهم للدّين على أكمل وجهٍ من غيرهم من الأنبياء عليهم السلام ، فهم أصحابُ القوّة والعزيمة في أمر الدّين، وهم أفضلُ من غيرهم من الرُّسل عليهم السلام ، لِقوله ﷻ: ﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ۚ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ﴿٢٥٣﴾ ﴾ البقرة: ٢٥٣، ويبلغ عددُهم خمسة، وذكرهم الله ﷻ في عددٍ من الآيات.

ثانياً: أسماء أولو العزم من الرسل عليهم السلام:

أولو العزم من الرُّسل هم خمسة رُسلٍ، جاء ذِكرُهم في قولهِ ﷻ: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾ ﴾ الأحزاب: ٧،وهم: محمد ﷺ، ونوح، وموسى، وإبراهيم، وعيسى عليهم السّلام، وذهب بعضُ العُلماء إلى أنهم جميعُ الرُّسل عليهم السّلام إلا يونس عليه السلام، لِقولهِ ﷻ: ﴿ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ ﴾ القلم: ٤٨ وقيل أيضاً آدم عليه السلام ليس منهم، لِقولهِ ﷻ:

﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ ﴾ طه: ١١٥

وقيل: إنَّهم بعض الرُّسل عليهم السّلام ، مع اختلافهم في تحديدهم على عشرةِ أقوال، أشهرُها أنّهم الخمسة الذين تمّ ذكرهم.

ثالثاً: تفاضل الأنبياء والرسل عليهم السلام:

يُعدُ الأنبياء عليهم السلام متساوين في الفضل من جِهةِ النُّبوة، ولكنّ التَّفاضل بينهم يكون في زيادة الأحوال، والخصائص، والمعجزات، فمنهم من هو نبيٌّ، ومنهم من هو رسولٌ، ومنهم من هو من أولي العزم من الرُّسل، وجاء في القُرآن والسُّنة بعضُ الأدلّة التي تُثبتُ هذا التّفاضل، كقولهِ ﷻ: ﴿ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾ ﴾ الإسراء: ٥٥، وقولهِ ﷻ: ﴿ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾ ﴾ النساء: ١٢٥، وأمّا في السُّنة

فقد قال النبيّ ﷺ: "فضلت على الأنبياء بست: أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وأحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض طهوراً ومسجداً، وأرسلت إلى الخلق كافة، وختم بي النبيون"[1]، فالرُّسل أفضل من الأنبياء، وأولو العزم أفضلُ الرُّسل، فمثلاً فُضّل داودُ عليه السلام بكتاب الزّبور، وموسى عليه السلام بالتّوراة، وسمّى الله سبحانه وتعالى نوحاً عليه السلام بالعبد الشّكور، واختصّ آدم عليه السلام بأنّه أبو البشر، وفضّله الله سبحانه وتعالى فخلقه بيده، ونفخ فيه من روحه، وأمر الملائكة بالسجود له، وأمّا عيسى عليه السلام فهو رسول الله عزّ وجلّ، وكلمته ألقاها إلى أُمّه، وروحٌ منه؛ وقد يكون التّفاضل من ناحية النُّبوة والعُبوديّة، والنُّبوة والملك، فالنبيّ العبد -أي غير الملِك- أفضل من النبيّ الملك، كما أنّ التّفاضل قد يكون من ناحية أعداد أُمّتهم، وأظهر وأشهر مُعجِزاتِهم، وغير ذلك ممّا اختصّهم الله سبحانه وتعالى به من الكرامات.

عاشراً: واجبنا اتجاه نبينا محمد ﷺ:

الإيمان بنبوته ﷺ أصل عظيم من أصول الإيمان، ولا يتحقق الإيمان إلا به، قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾ ﴾ الفتح: ١٣، ولا يتم الإيمان به ﷺ إلا بأمور منها:

1. **معرفة نبينا محمد ﷺ**، وهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم، وهاشم من قريش، وقريش من العرب، والعرب من ذرية إسماعيل بن إبراهيم عليهم السلام.

[1] رواه مسلم (1/ 371)

2. محبته ﷺ:

إن محبة النبي ﷺ ليست مسألة ميلٍ قلبيٍّ فقط بل هي أعظم من ذلك بكثير إذ يجب على المسلم محبة النبي ﷺ، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين"[1]، ومحبةُ النبي ﷺ لا يصح أن ينافسه فيها أحدٌ من الخلق أبداً مهما كانت منزلته ودرجته، ويجب أن تكون محبة النبي ﷺ مُقدمةً على النفس والمال والولد والناس أجمعين فمن فعل ذلك فقد غدا مُحباً للنبي ﷺ، وعلى المسلم أن يُحب نبيه ﷺ طاعةً وامتثالاً لأمر الله سبحانه وتعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾ آل عمران: ٣١، ونبي الله محمد ﷺ يستحق من أمته الحب، وذلك لكمال صورته وجماله، ولكمال أخلاقه التي اتصف بها، ثم لكمال إحسانه على أمّة الإسلام، فكل هذا يقود إلى الشوق إليه وإيثاره على سائر الخلق.

3. طاعته ﷺ:

تجب علينا طاعة النبي ﷺ وهي من حقوقه التي أُمرنا بتنفيذها، وقد قرن الله سبحانه وتعالى طاعته بطاعة نبيه ﷺ في مواضع عديدة من القرآن الكريم، كقوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾ ﴾ الأنفال: ١، وفي هذا دليل على ضرورة وأهمية طاعة النبي ﷺ وهذه الطاعة خاصةٌ بالنبي ﷺ دون كل الخلائق، وعلى المسلم أن يُطيع النبي ﷺ استجابةً لأمر الله سبحانه وتعالى في قوله: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ

[1] رواه البخاري (1/ 12)، رواه مسلم (1/ 67)

﴿وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ ﴿٧﴾﴾ الحشر: ٧، ومن صور الطاعة للنبي ﷺ؛ الالتزام بهديه وسنته والتمسك بها، وعدم تقديم عادات الناس وتقاليدهم على سنة رسول الله ﷺ، والحرص على السير على نهجه في شؤون الحياة كلها كالمأكل والمشرب والملبس وغيره.

4. الاقتداء به واتباعه ﷺ:

مما أكرم الله ﷻ على نبيه محمد ﷺ أنه جعل اتباع النبي ﷺ وطاعته طريقاً مؤدياً لحب الله ﷻ لعباده، قال ﷻ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ آل عمران: ٣١، فبقدر اتباعك للنبي ﷺ واقتدائك به يكون حب لله ﷻ لك، ويؤدي ذلك إلى مغفرة ذنوب العباد، والاقتداء بالنبي ﷺ واتباعه يكون في كلّ ما نقدر عليه فنقتدي بمكارم أخلاقه كالكرم والشجاعة والعطف والرفق واللين وغيرها، ونقتدي بأسلوب عبادته وسائر أحواله وشؤون حياته.

5. محبة آل بيته ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم:

من الواجب علينا حب آل بيت النبي ﷺ إذ وصّانا بهم فقال: "وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي"[1]، وهم أزواجُ النبي ﷺ وذريَّتُه، وكلُّ مسلمٍ ومسلمةٍ من بنُو هاشِم بن عبد مَناف نَسْل عبد المطلب، ومن صور محبة النبي ﷺ محبة آلهِ وإنزالهم منازلهم التي تليق بهم، والثناء

[1] رواه مسلم (4/ 1873)

عليهم، ومعرفة فضلهم، ومحبة صحابة النبي ﷺ واجبةٌ؛ لأنه يجب على المسلم حب من أحبه النبي ﷺ، وصحابة رسول الله ﷺ أول من حمل هذا الدين، وقاموا بنشر الدين الى مشارق الأرض ومغاربها، وضحوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الإسلام ورسالته، لذا كان ثواب الصحابة ﷺ يفوق ثواب غيرهم من البشر بأضعافٍ كثيرةٍ لقوله ﷺ: "لا تسبوا أصحابي، فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد، ذهباً ما بلغ مد أحدهم، ولا نصيفه"[1]

6. نصرته والدفاع عنه ﷺ:

ويكون ذلك بنصرة سنة النبي ﷺ؛ بالدفاع عنها، والتمسك بها، ونشرها، وإحياء ما نُسي وهُجر منها، ونشر الأحاديث الصحيحة فيها والإعراض عن المكذوب منها، وعلى المسلم دفع الشبهات عن نبيه ﷺ وعن سيرته وعن آل بيته، قال -ﷻ:

﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ ﴿٤٠﴾ ﴾ التوبة: ٤٠، والنبي ﷺ غنيٌّ عن نصرة العباد له فإن تقاعس المسلم عن نصرته فالله ﷻ ناصر نبيه ﷺ لا محالة.

7. كثرة الصلاة عليه ﷺ:

اصطفى الله ﷻ نبيه محمد ﷺ وشرّفه على جميع خلقه بأنّه ﷻ صلّى عليه هو وملائكته، وقد ذكر الله ﷻ ذلك في كتابه الكريم: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ الأحزاب: ٥٦، والصلاة عليه واجبةٌ وهي حق من حقوقه علينا ولا يصح التهاون بها

[1] رواه البخاري (5/ 8)، رواه مسلم (4/ 1967)

أبداً، إذ نتقرب بها إلى الله -ﷻ وصلاتُنا عليه فيها احترام له، وإظهارٌ للمحبة له ولآلِهِ الكرام، ويجب على المسلم أن يحرص على الإكثار من الصلاة على النبي ﷺ والمداومة عليها، فالصلاة عليه ﷺ علامةٌ من علامات صدق الإيمان، وعلامةٌ على صدق محبة النبي ﷺ.

الحادي عشر: ثمرات الإيمان بالرسل عليهم السلام:

1. العلم برحمة الله ﷻ وعنايته بعباده بإرسال الرسل عليهم السلام ليدعوهم إلى عبادة الله ﷻ ويُعرِّفوهم كيفيَّتها.

2. شُكر الله ﷻ على هذه النِّعمة وهي إرسالُ الرسل عليهم السلام لهداية الناس إلى عِبادة الله ﷻ التي هي سببُ السعادة في الدارين: ﴿ كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ ١٥١ ﴾ البقرة: ١٥١

3. العمل لله ﷻ على بصيرةٍ عملاً بالكتاب المنزل، وتأسِّيًا بالنبي المرسَل.

4. محبَّة رسل الله عليهم السلام لما يعلم من حبِّ الله ﷻ إيَّاهم واصطفائهم لرسالاته لما فيهم من اتِّباع الحق والرحمة والنُّصح للخلق.

5. التأسِّي بهم في الدعوة إلى الله ﷻ في حُسن بَيانهم وعظم حِلمهم وكَمال صَبرهم على أذى قومهم ونُصحهم لهم في سائر الأحوال.

6. اليقين بحُسن العاقبة للمتَّقين وجزيل المثوبة للصابرين المحسنين، كما تبيَّن ذلك من قصص دَعوتهم وما آلَ إليه أمرُهم وأتْباعهم وأمر خُصومهم.

7- الاغتباط بأنْ خصَّ الله ﷻ هذه الأمَّة بأشرف رسله وخاتمهم وسيِّدهم وأنْ هدَى الله ﷻ المسلم للدُّخول في دِينه على شَريعته، فجعَلَه بذلك من خير أمَّة أُخرِجتْ للناس.

8. محبة الرسل عليهم السلام وتعظيمهم، والثناء عليهم بما يليق بهم؛ لأنهم رسل الله ﷻ، ولأنهم قاموا بعبادته، وتبليغ رسالته، والنصح لعباده.

الفصل الخامس
الإيمان باليوم الآخر

أولاً: تعريف الإيمان باليوم الآخر:

1. اليوم الآخر:

هو يوم القيامة الذي يبعث الناس فيه للحساب والجزاء، وسمي بذلك لأنه لا يوم بعده، حيث يستقر أهل الجنة في منازلهم، وأهل النار في منازلهم.

2. الإيمان باليوم الآخر:

هو الإيمان بكل ما أخبر به الله ﷻ في كتابه، وأخبر به رسوله ﷺ، مما يكون بعد الموت، من فتنة القبر وعذابه ونعيمه، والبعث، والحشر، والصحف، والحساب، والميزان، والحوض، والصراط، والشفاعة، والجنة، والنار، وما أعد الله ﷻ لأهلهما جميعاً."[1]

ثانياً: حكم الإيمان باليوم الآخر:

إنّ الإيمان باليوم الآخر هو أحد أركان الإيمان الستة، وقد وردت الكثير من الأدلّة التي تُبيّن وجوب وفريضة الإيمان باليوم الآخر، حيث قُرن بين الإيمان باليوم الآخر والإيمان بالله ﷻ في الكثير من الآيات القرآنية، ومن الأدلة على ذلك قوله ﷻ:

﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ ﴿١٧٧﴾ ﴾ البقرة: ١٧٧، وجاء في

[1] الإيمان لمحمد نعيم ياسين ص 111

حديث جبريل عليه السلام الطويل قول رسول الله ﷺ لما سُئل عن الإيمان: "أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره"[1]

وتأتي أهميّة الإيمان باليوم الآخر من تكرار ربْط الله سبحانه وتعالى الإيمان به بالإيمان باليوم الآخر، كقوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ﴿١٧٧﴾ ﴾ البقرة: ١٧٧

وكذلك من كثرة ذكر هذا اليوم في القرآن الكريم؛ حيث لا يكاد قارئ القرآن يمرّ على صفحةٍ من القرآن إلّا ويجد لليوم الآخر فيها ذكراً، ولا يستوي إيمان العبد إلا إذا صدّق بهذا اليوم، فهو أحد أركان الإيمان، كما أن لهذا اليوم أثراً كبيراً على سلوك المسلم؛ فهو سببٌ في تقوى الله عز وجل، واستقامة سلوك العبد، وعدم التشبّث بالدنيا.

إنّ الإيمان باليوم الآخر هو أحد أصول الإيمان التي لا يتمّ إيمان العبد ولا يستقيم إلّا بها جميعًا، وممّا يدلّ على أهميته؛ كثرة ذكره في كتاب الله عز وجل وربطه بالإيمان بالله سبحانه وتعالى، وللإيمان باليوم الآخر فوائد عظيمة ومنافع جليلة تعود على الفرد بالخير.

ثالثاً: مكانة الإيمان باليوم الآخر:

زخرت نصوص القرآن الكريم والسنّة النبوية بالحديث عن اليوم الآخر وأحداثه ومقدّماته؛ حيث يبدأ هذا اليوم بحدوث تغيّراتٍ كبيرةٍ في الكوْن، فتنشقّ السماء، وتتصادم الكواكب ببعضها، وتتناثر النجوم، وتذوب الجبال، ويتدمّر كلّ ما اعتاد الناس على شَكله، وكلّ ذلك يكون بعد أن يأمر الله سبحانه وتعالى الملَك إسرافيل عليه السلام بالنّفخ في الصور، فيموت ويُصعق جميع من في السماوات والأرض، قال سبحانه وتعالى:

[1] رواه مسلم (1/ 36)

﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفۡخَةٞ وَٰحِدَةٞ ١٣ وَحُمِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةٗ وَٰحِدَةٗ ١٤ فَيَوۡمَئِذٖ وَقَعَتِ ٱلۡوَاقِعَةُ ١٥ ﴾ الحاقة: ١٣ - ١٥، وقال ﷻ: ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ فَإِذَا هُمۡ قِيَامٞ يَنظُرُونَ ٦٨ ﴾ الزمر: ٦٨، ودلّت الكثير من آيات القرآن الكريم والسنّة النبويّة على أن الإيمان باليوم الآخر واحدٌ من أركان الإيمان، فتارة يُقرن الإيمان باليوم الآخر مع أركان الإيمان الأخرى؛ كقول النبي ﷺ: "أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره"[1]، وتارة يُقرن بالإيمان بالله ﷻ، كقوله ﷻ: ﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ ٢٩ ﴾ التوبة: ٢٩

رابعاً: مضامين الإيمان باليوم الآخر:

يتضمّن الإيمان باليوم الآخر عدّة أمورٍ لا يتمّ إلّا بها، وهي:

1. أن يؤمن العبْد بمقدّمات اليوم الآخر؛ كالموت، وعذاب القبر، وعلامات الساعة.
2. أن يؤمن ببعث الله ﷻ للناس من القبور.
3. الإيمان بأحداث اليوم الآخر نفسه؛ كالحشر، والحساب، والجزاء، والشفاعة، والحوض، والصراط، ونحوه.

[1] رواه مسلم (1/ 36)

4. الإيمان بوجود الجنّة ونعيمها والنار وعذابه، وأن الناس مصيرهم إمّا إلى الجنّة أو إلى النار، وكل ما أخبر الله ﷻ وأخبر رسوله ﷺ من أحداث اليوم الآخر أو ما يتّصل به واجبٌ على المسلم الإيمان به على وجه اليقين، والتصديق بأن ما ورد من الأشراط والأحداث لا بدّ أن يظهر ويأتي حقيقةً، دون تأويلٍ شخصيّ، بل يؤمن العبد بما جاء بالنصوص الشّرعية وما فسّره أهل العلم الثقات، ويحرص على تذكّر قرب يوم القيامة باستمرار؛ ليزداد صلةً وتقرّباً لله ﷻ.

وقد قسّم العلماء علامات اليوم الآخر إلى علاماتٍ صغرى وأخرى كبرى:

1. **العلامات الصغرى:** هي ما دلّت على اقتراب يوم القيامة، ووقع أغلبها؛ كبِعثة الرسول ﷺ، وكثرة القتل، وضياع الأمانة، وغيرها من العلامات الواردة في النّصوص الشّرعية الصحيحة.

2. **العلامات الكبرى:** فهي أقرب للساعة من الصغرى، وتُنذر ببدء الساعة؛ ومنها خروج المهدي، وظهور الدجّال، ونزول نبي الله عيسى عليه السلام، وخروج يأجوج ومأجوج، والدخان، وطلوع الشمس من مغربها، وغيرها من العلامات الواردة في النصوص الشّرعية الصحيحة، وهذه الأمارات تأتي مُتتابعةً وراء بعضها، فإن انتهت بعث الله ﷻ العباد من القبور.

خامساً: مظاهر اهتمام القرآن باليوم الآخر:

الإيمان باليوم الآخر من أركان العقيدة الإسلامية، ولقد حفل القرآن الكريم بذكر اليوم الآخر، واهتم بتقريره في كل موقع ونبه إليه في كل مناسبة، وأكد وقوعه بشتى الأساليب، ومن مظاهر هذا الاهتمام بهذا اليوم العظيم في كتاب الله ﷻ:

1. أنه كثيراً ما ربط الإيمان به بالإيمان بالله ﷻ دون فاصل، فعقيدة الإيمان بالله ﷻ لا تنفك عن الإيمان باليوم الآخر؛ لأن من مقتضى الإيمان بالله ﷻ تصديقه في جميع ما يخبرنا به، وقد أخبرنا باليوم الآخر في وعده ووعيده، وما أعد الله ﷻ في هذا اليوم من نعيم للمؤمنين المتقين، وما أعد فيه من عذاب للمجرمين، قال ﷻ:

﴿ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ﴿٢٣٢﴾﴾ البقرة: ٢٣٢

2. إكثار القرآن من ذكر اليوم الآخر، حتى أنك لا تكاد تمر على صحيفة من صحائف القرآن إلا تجد فيها حديثاً عن اليوم الآخر، وما سيكون فيه من الأحداث والأهوال، بأساليب كثيرة ومتنوعة، كذلك نجد القرآن يفصل أحوال ذلك اليوم تفصيلاً قلما تجده في أمور الغيب الأخرى.

3. إطلاق القرآن أسماء كثيرة على اليوم الآخر التي يدل كل اسم منها على ما سيقع فيه من أحداث وأهوال، فمن أسمائه: يوم البعث، ويوم القيامة، والساعة، ويوم الدين، ويوم الحساب، ويوم الفتح، ويوم التلاق، ويوم الجمع، ويوم التغابن، ويوم الخلود، ويوم الخروج، ويوم الحسرة، ويوم التناد، والآزفة، والطامة، والصاخة، والحاقة، والغاشية، والواقعة، والزلزلة وغيرها."[1]

وكان من اهتمام القرآن باليوم الآخر لعدة أسباب:

1. أن الإيمان باليوم الآخر له من أثر عظيم في حياة الإنسان، ذلك أن الإيمان به وبما فيه من جنة، ونار، وحساب، وعقاب، وثواب له أثر بالغ في توجيه الإنسان وتصحيح سلوكه وانضباطه، والتزامه بالعمل الصالح وتقوى الله ﷻ.

[1] العقائد الإسلامية لسيد سابق ص 232 - 235

2. أن المشركين من العرب كانوا ينكرونه أشد الإنكار وكان يثير وما يزال استغراب الكافرين وتعجبهم لما يرونه من مخالفة البعث لما يرونه من تحول رفات وعظام بعد الموت، قال ﷻ: ﴿ قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ ۝١ بَلۡ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡ فَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَيۡءٌ عَجِيبٌ ۝٢ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗاۖ ذَٰلِكَ رَجۡعُۢ بَعِيدٞ ۝٣ ﴾ ق: ١ – ٣، وقال ﷻ: ﴿ وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا نَمُوتُ وَنَحۡيَا وَمَا يُهۡلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهۡرٞۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنۡ عِلۡمٍۖ إِنۡ هُمۡ إِلَّا يَظُنُّونَ ۝٢٤ ﴾ الجاثية: ٢٤، فبين لهم الله ﷻ في كثير من الآيات أن أمثال البعث في حياة الإنسان كثيرة.

3. أن أهل الكتاب وإن كانوا يؤمنون باليوم الآخر إلا أن تصورهم له قد بلغ منتهى الفساد، فالنصارى يعتمدون فيه على وجود يسوع المخلص الذي يفدي الناس بنفسه، وأما عقيدة اليهود في الله ﷻ واليوم الآخر فلا تقل فساداً عن عقيدة النصارى.

4. ولعل الحكمة من اهتمام القرآن باليوم الآخر كثرة نسيان العباد له، وغفلتهم عنه، بسبب تثاقلهم إلى الأرض، وحبهم للدنيا ومتاعها، فيكون الإيمان باليوم الآخر مخففاً من الغلو في حب الدنيا، لأن الإنسان إذا تذكر اليوم الآخر وما يحصل فيه فإنه يعلم أن شهوات الدنيا الفانية لا تستحق منه كل هذا الجهد والطلب والاهتمام، قال ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ۝٣٨ ﴾ التوبة:

٣٨، والمؤمن إذا تذكر اليوم الآخر فإنه يكثر من الخير وابتغاء ثوابه، ويبتعد عن الشر ما استطاع خوف عذابه."[1]

إنّ الإيمان باليوم الآخر يعني اليقين بوجود يوم يقوم فيه العباد للجزاء والحساب، وهذا الإيمان واجب فهو أحد أركان الإيمان، وللإيمان باليوم الآخر أهمية كبرى، وقد دلّ على هذا الكثير من الآيات والأحاديث، كما أنّ للإيمان باليوم الآخر أسماء عديدة؛ مثل يوم القيامة ويوم البعث.

سادساً: تفصيل الإيمان باليوم الآخر:

المطلب الأول: الحياة البرزخية:

أولاً: تعريف حياة البرزخ:

تعرّف حياة البرزخ على أنّها الحياة التي تكون ما بين حياة الإنسان الدنيا وحياته الآخرة، وهي تكون بعد موت الإنسان وتستمر حتى يوم القيامة حسب المعتقدات في المنهج الإسلامي، وفي هذه المرحلة تبدأ عمليّة الحساب على كل ما عمله الإنسان في حياته الدنيا، والبرزخ في اللغة هو عبارة عن الحاجز بين الشيئين مصداقاً لقوله تعالى: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾﴾ الرحمن: ١٩ – ٢٠، وتبدأ الحياة البرزخيّة منذ اللحظة الأولى من قبض الروح وحتى العروج بها والرحيل من الحياة الدنيا للوصول إلى الحياة الأخرى، ولعل أول منازل هذه الحياة هي القبر وأهواله وأحواله المختلفة والتي تبدأ بقبضة القبر، وسؤال الملكين لتحديد مصير العبد، حيث يرى مقعده من الجنّة في حال كان على العقيدة الصحيحة،

[1] العقائد الإسلامية لسيد سابق ص 236، الإيمان لمحمد نعيم ياسين ص 65

ويضيق على الإنسان في قبره ويكون عليه حفرة من حفر النيران في حال كان عاصياً لله ﷻ.

ثانياً: اختلاف حياة البرزخ عن حياة الدنيا والآخرة:

تختلف الحياة البرزخية اختلافاً تامّاً عن الحياة الدنيا وعن الحياة الأخرويّة، فللحياة البرزخيّة سمات وصفات خاصّة، حيث تسمو النفس على كلٍ من الجسد والروح، وهنا يشار إلى أنّ الروح تختلف اختلافاً كاملاً عن النفس، فهي تتعلق بالبدن تعلّقاً خاصّاً، وإن فارقت الجسد وانسلخت عنه عند قبضها، فإنّها لا تفارقه بشكل كلي، وإنما تعود إليه أحياناً وفي بعض الأوقات، كعودتها في اللحظة التي يبدأ فيها الملكان بسؤال الإنسان واختباره في قبره، كما وتعود الروح إلى الجسد عندما يقوم الأصدقاء أو الأقارب بزيارة الميّت في قبره، ومن الجدير بالذكر بأنّ عودة الروح إلى الجسد في هذه الحالات، لا يعني بأنّ الميت قد عاد إلى قيد الحياة، بل هي عملية ارتدادٍ مؤقتة تكون بإرادة الله ﷻ، يقال بأنّ عذاب القبر هو نفسه عذاب البرزخ، فالإنسان عندما يموت سواء دُفن أم لم يُدفن، وسواء تم تقطيعه، أو أكلته السباع، أو صار رماداً ونسف في الهواء، يصل إلى روحه وبدنه من العذاب ما يصل تماماً إلى المدفون، ولا بدّ أن يُسأل عن أعماله التي عملها في الدنيا، وهنا يرى مقعده حسب أعماله، عبر عن ذلك النبي ﷺ بقوله: "إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، فيقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة"[1]، **قال ابن أبي**

[1] رواه البخاري (2/ 99)

العز: " واعلم أن عذاب القبر هو عذاب البرزخ، فكل من مات وهو مستحق للعذاب ناله نصيبه منه، قبر أو لم يقبر، أكلته السباع أو احترق حتى صار رماداً ونسف في الهواء، أو صلب أو غرق في البحر، وصل إلى روحه وبدنه من العذاب ما يصل إلى المقبور، وما ورد من إجلاسه واختلاف أضلاعه ونحو ذلك، فيجب أن يفهم عن الرسول ﷺ مراده من غير غلو ولا تقصير"[1]

ومما يقع في الحياة البرزخية، ويجب الإيمان به ما يلي:

أولاً: فتنة القبر وسؤال الملكين:

1. فتنة القبر:

جعل الله ﷻ الموت مكتوباً على جميع مخلوقاته، فكان يوم القيامة هو اليوم الذي تموت فيه جميع المخلوقات قبل أن تُبعث من جديد إلى الحساب، إلّا أنّ موت أي إنسان يعد بداية يوم القيامة بالنسبة له وبداية حسابه، فيبدأ حساب الإنسان على أعماله منذ اللحظة التي يدخل فيها إلى القبر، وهو ما يعرف بفتنة القبر.

والمراد بفتنة القبر: السؤال في البرزخ بين الموت والبعث، سواء كان ذلك في القبر وغيره، وقد أضيف السؤال إلى القبر بالنظر إلى أكثر الناس الموتى من الناس يقبرون، وحكم الإيمان بفتنة القبر وسؤال الملكين واجب والتصديق به لازم حسب ما أخبر به النبي ﷺ.

[1] شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (2/ 579 -580)

2. سؤال الملكين في القبر:

ثبت سؤال الملكين للإنسان في قبره في النصوص الشرعية الصحيحة، ووردت به أحاديث كثيرة بلغت حدَّ التواتر، وهي أسئلة يسألها المَلكان مُنكر ونكير للميت بعد دفنه في القبر، فإن أجاب جواباً حسناً يُنَعَّم، وإن لم يُجب جواباً حسناً يعذَّب وقد ورد في سؤال القبر أحاديث كثيرة منها: أنَّ النبي ﷺ كان إذا فرغَ مِن دَفنِ الميِّتِ وقفَ وقالَ: "استغفروا لأخيكم، وسلوا الله له التثبيت، فإنه الآن يسأل"[1]، أمَّا الأسئلة التي يسألها الملكان للميت فهي: من ربّك؟ ما دينك؟ من نبيّك؟ وجواب المؤمن عن الأسئلة الثلاثة التي تُنجِّيه من عذاب القبر هي: ربِّي الله، ديني الإسلام، هو عبد الله ورسوله، أمَّا عن جواب الكافر فيكون: هاه، هاه، لا أدري، وجواب المنافق: لا أدري سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته، وذلك ثابت في الأحاديث، وفيما يأتي الأدلَّة من القرآن والسنَّة على ما سبق:

قوله ﷻ: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾ ﴾ إبراهيم: ٢٧، وقوله الله ﷻ: ﴿ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ ﴾ غافر: ٤٦، وعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: خرَجْنا معَ رسولِ اللَّهِ ﷺ في جِنازةِ رجلٍ منَ الأنصارِ، فانتَهينا إلى القبرِ، فجلسَ رسولُ اللَّهِ ﷺ وجَلَسنا حولَهُ كأنَّما على رؤوسِنا الطَّيرُ، وفي يدِهِ عودٌ ينْكتُ

[1] المستدرك على الصحيحين للحاكم (1/ 526)

بِهِ في الأرضِ، فرفعَ رأسَهُ، فقالَ: "استَعيذوا باللَّهِ من عذابِ القبرِ مرَّتينِ، أو ثلاثًا، قالَ: فيأتيه ملكان، فيجلسانه، فيقولان له: من ربك؟ فيقول: ربي الله، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله ﷺ، فيقولان له: وما علمك؟ فيقول: قرأت كتاب الله، فآمنت به وصدقت، فينادي مناد في السماء: أن صدق عبدي، فأفرشوه من الجنة، وألبسوه من الجنة، وافتحوا له باباً إلى الجنة"، وفي نفس الحديث يقول الرسول ﷺ عن الكافر: "ويأتيه ملكان، فيجلسانه، فيقولان له: من ربك؟ فيقول: هاه، هاه لا أدري، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: هاه، هاه لا أدري، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هاه، هاه لا أدري، فينادي مناد من السماء أن كذب، فافرشوا له من النار، وافتحوا له باباً إلى النار، فيأتيه من حرها، وسمومها"[1]

➢ أسباب الثبات عند السؤال:

هناك عِدَّة أمور يستطيع المرء فعلها في حياته كي تُعينه على الثبات عند سؤال القبر، منها:

1. معرفة العبد ربَّه ﷻ فيؤمن أنَّ الله ﷻ خلقه وخلق الكون، وأنعم عليه بنعمٍ باطنة وظاهرة.

2. معرفة النبي ﷺ وهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم، ويجب اتّباع سُنته والاقتداء به ﷺ.

[1] مسند أحمد (30/ 499)

3. معرفة دينه وهو الإسلام أي التسليم بوحدانية الله ﷻ، وطاعته، وترك الشرك بالله ﷻ.

4. المحافظة على الصلوات، فهي نجاة له من عذاب القبر.

5. العمل الصالح، قال ﷺ: "يتبع الميت ثلاثة، فيرجع اثنان ويبقى معه واحد: يتبعه أهله وماله وعمله، فيرجع أهله وماله ويبقى عمله"[1]

6. الدعاء بالنَّجاة من عذاب القبر، كي يعصمه الله ﷻ منه.

➢ أسباب عدم القدرة على إجابة الملكين:

إنّ عدم الإيمان بالله ﷻ وعدم تطبيق أوامره واجتناب نواهيه مما يُسبّب عدم القدرة على جواب الملكين في القبر، فمن أبرز الأسباب التي تؤدي إلى عدم التمكّن من الجواب على سؤال الملكين في القبر والتي تمّ استنباطها من الأحاديث السابقة التي تخصّ سؤال الملكين منكر ونكير:

1. عدم الإيمان بالله ﷻ.

2. عدم الإيمان بالنبي ﷺ.

3. النفاق؛ بإظهار الإسلام وإبطان الكفر.

ثانياً: عذاب القبر ونعيمه:

1. نعيم القبر وعذابه:

يجب التصديق والإيمان بنعيم القبر وعذابه، وأنّ الروح تُردّ إلى الجسد في القبر؛ لأنّ الله ﷻ أخبر بذلك، ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾ ﴾ النساء: ١٢٢، كما أنّ

[1] رواه البخاري (8/ 107)، رواه مسلم (4/ 2273)

رسول الله ﷺ وهو الذي لا ينطق عن الهوى، إنّ هو إلّا وحيٌ يوحى أخبر بذلك أيضاً، حيث قال: "ما رأيت منظراً قط إلا والقبر أفظع منه"[1]، ومن الجدير بالذكر أنّ الله ﷻ يرسل إلى الميت ملكان فيسألانه عن ربّه ﷻ، وعن دينه، وعن نبيّه ﷺ، فإذا كان من أهل الصلاح أجابهم إجابة خير، وكان عاقبته خيراً؛ إذ تأتيه ملائكة بيضاء الوجوه، وأمّا إذا كان من أهل الفساد فلا يستطيع الإجابة، ثمّ تأتيه ملائكة سوداء الوجوه، يضربونه ضرباً شديداً، وبعد السؤال والفتنة يتحدّد مصير الإنسان في قبره، إمّا في العذاب، وإمّا في النعيم، كما يتنوع العذاب في القبر بحسب الذنوب التي كان يقترفها الإنسان في الدنيا، وبيان ذلك على النحو الآتي:

1. العذاب النفسيّ: حيث إنّ الكافر في قبره يرى مقعده من الجنة لو أنّه أطاع الله ﷻ، فتصيبه الحسرة على ما ضيّع من النعيم.

2. تضييق القبر: والضرب بمطرقةٍ عظيمةٍ لو ضُربت بها الجبال لتفتت، ثمّ فتح بابٌ من النار على المعذّب، فيصبح لباسه من النار، ويُفرش قبره ناراً، ثمّ يُبشّر بالعذاب في الآخرة، فيتمنّى ألّا تقوم الساعة.

3. خسف الأرض: حيث قال رسول الله ﷺ: "بينما رجل يجر إزاره من الخيلاء، خسف به، فهو يتجلجل في الأرض إلى يوم القيامة"[2]

4. رضخ الرأس بالحجارة.

5. الضرب بالحجارة أثناء السباحة بنهرٍ من دمٍ.

6. الحرق بتنورٍ من النار.

---

[1] مسند أحمد (1/ 503)، سنن ابن ماجه (2/ 1426)، المستدرك على الصحيحين للحاكم (4/ 366)
[2] رواه البخاري (4/ 177)

7. شقّ الفم.

8. إشعال المال المسروق من الغنائم على صاحبه.

9. الضرب بمطرقٍ من حديدٍ، حيث إنّ رسول الله ﷺ بعد أن ذكر سؤال الملائكة لمن في القبر عن الرسول ﷺ الذي بُعث إليهم، قال: "وأما الكافر أو المنافق فيقول: لا أدري، كنت أقول ما يقول الناس، فيقال: لا دريت ولا تليت، ثم يضرب بمطرقة من حديد ضربة بين أذنيه، فيصيح صيحة يسمعها من يليه إلا الثقلين"[1]

وأمّا المؤمن فينعم في قبره إلى قيام الساعة، ومن صور نعيمه:

1. يُفتح له باب من الجنة، فتقرّ عينه بما يرى منها، ويأتيه من رِيحها ونسيمها، ويشمّ من طِيبها.

2. يُفرش له من فرش الجنة، ويلبس من لباسها.

3. يُبشّر بالجنة، فيشتاق إلى قيام الساعة.

4. يُفسح له في قبره.

2. أسباب عذاب القبر ونعيمه:

أ. أسباب عذاب القبر:

يوجد الكثير من الأفعال والأقوال التي تكون سبباً من أسباب حصول عذاب القبر، بيان بعضها كما يلي:

[1] رواه البخاري (2/ 90)

1. الشرك بالله ﷻ:

إن الشرك بالله ﷻ والكفر والجحود به رأس المعاصي وأم الخطايا، حيث إن الكفر لا يغفره الله ﷻ أبداً، مهما قدّم الإنسان من الأعمال الحسنة، حيث قال ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ ﴾ النساء: ٤٨، ومما يدل على أن للكافر نصيب من عذاب القبر، قوله ﷻ: ﴿ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَضۡرِبُونَ وُجُوهَهُمۡ وَأَدۡبَٰرَهُمۡ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ﴾ الأنفال: ٥٠، وهذا العذاب يحصل في القبر قبل أن يأتي عذاب يوم القيامة.

2. أكل الربا:

إن الربا من أعظم الكبائر والذنوب، ولذلك كانت عقوبة المرابي من أعظم العقوبات عند الله ﷻ، حيث شدّد ﷻ الوعيد على آكلي الربا، وآذنهم بالحرب في الدنيا والآخرة، قال ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ ﴿٢٧٩﴾ ﴾ البقرة: ٢٧٨ - ٢٧٩، ومن تلك الحرب أنه أعد للمرابي العذاب في القبر، قال ﷺ: "رأيت الليلة رجلين أتياني، فأخرجاني إلى أرض مقدسة، فانطلقنا حتى أتينا على نهر من دم فيه رجل قائم وعلى وسط النهر رجل بين يديه حجارة، فأقبل الرجل الذي في النهر، فإذا أراد الرجل أن يخرج رمى الرجل بحجر في فيه، فرده حيث كان، فجعل

كلما جاء ليخرج رمى في فيه بحجر، فيرجع كما كان، فقلت ما هذا؟ فقال: الذي رأيته في النهر آكل الربا"[1]

ب. أسباب نعيم القبر:

يوجد جملة من الأعمال الصالحة والعبادات التي تؤدي إلى النعيم في القبر، وتنجّي من عذابه، بيان منها كما يلي:

1. الشهادة في سبيل الله ﷻ:

إن الشهادة في سبيل الله ﷻ والموت مرابطاً في سبيله هي من أسباب التنعيم في القبر وعدم تعرضه لعذابه، قال ﷺ: " رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه، وإن مات جرى عليه عمله الذي كان يعمله، وأجري عليه رزقه، وأمن الفتان"[2]، فالحديث يدل على أن المرابط يأمن فتنة القبر، وسؤال الملكين في القبر، أو أن الملكين لا يضرانه، ولا يزعجانِه.

2. قراءة سورة الملك:

إن المحافظة على قراءة سورة الملك من الأسباب الموجبة للنجاة من عذاب القبر، قال ﷺ: "إن سورة من القرآن، ثلاثون آية، شفعت لرجل حتى غفر له، وهي:

﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ ﴿١﴾ ﴾ الملك: ١ "[3]

---

[1] رواه البخاري (3/ 59)
[2] رواه مسلم (3/ 1520)
[3] مسند أحمد (13/ 353)، سنن الترمذي (5/ 164)، المستدرك على الصحيحين للحاكم (1/ 753)

المطلب الثاني: أشراط الساعة:

أولاً: تعريف أشراط الساعة:

معنى الشرط:

"الشَّرَط – بالتحريك–: هو العلامة، جمعه أشراط، وأشراط الشيء: أوائله، ومنه: شرط السلطان، وهم نخبة أصحابه الذين يقدمهم على غيرهم من جنده، ومنه: الاشتراط الذي يشترطه الناس بعضهم على بعض، فالشرط علامة على المشروط"[1]

معنى السَّاعة في اللغة:

هي جزء من أجزاء الليل والنهار، جمعها: ساعات وساع، والليل والنهار معًا أربع وعشرون ساعة.

معنى السَّاعة في الاصطلاح الشرعي:

والمراد بالسَّاعة في الاصطلاح الشرعي: "الوقت الذي تقوم فيه القيامة، وسُمِّيت بذلك لسرعة الحساب فيها، أو لأنها تفجأ الناس في ساعة، فيموت الخلق كلهم بصيحة واحدة"[2]

فأشراط السَّاعة: هي علامات القيامة التي تسبقها وتدلُّ على قربها.

ثانياً: أقسام أشراط الساعة:

1. العلامات الصغرى: هي ما دلّت على اقتراب يوم القيامة، ووقع أغلبها؛ كبِعثة الرسول ﷺ، وكثرة القتل، وضياع الأمانة، وغيرها من العلامات الواردة في النّصوص الشّرعية الصحيحة.

---

[1] النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (2/ 460)
[2] النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (2/ 422)

2. العلامات الكبرى: فهي أقرب للساعة من الصغرى، وتُنذر ببدء الساعة؛ ومنها خروج المهدي، وظهور الدجّال، ونزول نبي الله عيسى عليه السلام، وخروج يأجوج ومأجوج، والدخان، وطلوع الشمس من مغربها، وغيرها من العلامات الواردة في النصوص الشّرعية الصحيحة، وهذه الأمارات تأتي مُتتابعةً وراء بعضها، فإن انتهت بعث الله سبحانه وتعالى العباد من القبور.

القسم الأول: علامات الساعة الصغرى:

ممّا ينبغي التطرّق إلى ذِكره أنّ علامات الساعة الصغرى كثيرة جداً يضيق المجال لحصرها، ولم يرد دليل ثابت فيما يتعلّق بترتيبها، إذ إنّ كلّ ما ورد في كتب أهل العلم إنّما هو اجتهاد في ترتيبها حسب ما وجدوه أكثر وضوحاً لديهم، أو بحسب واقع الحال وما اقتضته الحوادث بتقديم إحدى العلامات على غيرها.

ويمكن تقسيم علامات الساعة الصُّغرى إلى أقسام؛ قسمٌ للعلامات التي لم تظهر بعد، وقسمٌ وقع وحصل، وقد يكون مُتكرّر الوقوع، بحيث إنّه قد يتكرّر في المستقبل، وقسم تدريجيّ الظهور؛ بمعنى أنّه وقع وما زال مستمرّاً بالظهور.

➢ العلامات الصغرى التي ظهرت وانقضت:

1. بعثة النبي محمد ﷺ وموته:

فلما بُعث النبي محمد ﷺ، دلّ ذلك على اقتراب الساعة، كما قال ﷺ: "بعثت أنا والساعة كهاتين، ويقرن بين إصبعيه السبابة، والوسطى"[1]، كما دلّ على اقتراب

[1] رواه مسلم (2/ 592)

الساعة موته ﷺ فقد قال: " اعدد ستاً بين يدي الساعة: موتي، ثم فتح بيت المقدس"[1]

2. معجزة انشقاق القمر:

في عهد النبي ﷺ انشقّ القمر بمعجزة لم يشهد لها العرب مثيلاً، وقد ذُكر ذلك في القرآن في قوله ﷻ: ﴿ ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوۡاْ ءَايَةٗ يُعۡرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحۡرٞ مُّسۡتَمِرّٞ ۝٢ ﴾ القمر: ١ - ٢، وعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: "بينما نحن مع رسول الله ﷺ بمنى إذا انفلق القمر فلقتين، فكانت فلقة وراء الجبل، وفلقة دونه، فقال لنا رسول الله ﷺ: اشهدوا"[2]

3. فتح بيت المقدس:

قد قال عوف بن مالك الأشجعي ﷺ: " اعدد ستاً بين يدي الساعة: موتي، ثم فتح بيت المقدس"[3]، وقد فُتح بيت المقدس في عهد عمر بن الخطاب ﷺ، حيث ذهب بنفسه إلى هناك وبنى فيها مسجداً وصالح أهل المنطقة.

4. نار عظيمة تخرج من أرض الحجاز:

يقول ﷺ: "لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء أعناق الإبل ببصرى"[4]، وفي عام ستّمائة وأربعة وخمسين للهجرة، ظهرت هذه النار العظيمة، وقد أفاض أهل العلم في الكتابة عنها آنذاك، وهذه غير النار التي ستظهر آخر الزمان لتطرد الناس إلى محشرهم.

---

[1] رواه البخاري (4/ 101)
[2] رواه مسلم (4/ 2158)
[3] رواه البخاري (4/ 101)
[4] رواه البخاري (9/ 58)، رواه مسلم (4/ 2227)

5. ولادة الأمَة ربّتها:

قد جاء جبريل عليه السلام إلى النبي ﷺ بهيئة رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر فجلس عند النبي ﷺ وأخذ يسأله إلى أن قال: " فأخبرني عن الساعة، قال: ما المسئول عنها بأعلم من السائل، قال: فأخبرني عن أمارتها، قال: أن تلد الأمة ربتها"[1]، وقد اختلف أهل العلم في معنى ذلك على عدّة أقوال لخّصها ابن التين فيما يأتي:

1. أن تتّسع رقعة الدولة الإسلامية، وتُسبى نساء البلدان التي فتحها المسلمون، فتكثر الجواري، فإذا ولدت الجارية ولداً لمالكها، كان بمثابة ربِّها؛ لأنّه ولد سيّدها.

2. أن يبيع ملّاك الجواري أمّهات أولادهم، فيكثر تداولهنّ بين الملّاك حتى يشتريها ولدها وهو لا يشعر بذلك.

3. أن تلد الجارية حرّاً من غير سيّدها، كأن تزني أو يتمّ وطؤها بشبهة أو بنكاح، ثمّ تُباع بيعاً صحيحاً، إلى أن يشتريها ولدها.

4. أن يكثر عقوق الأولاد لأمّهاتهم، فيمتهنَ الولد أمّه ويَسبّها ويضربها، فأُطلِق عليه اسم ربُّها مجازاً.

➢ العلامات الصغرى التي ظهرت ولم تنقضِ:

1. كثرة المال والاستغناء عن الصدقة:

إذ يقول النبي ﷺ: "لا تقوم الساعة حتى يكثر فيكم المال، فيفيض حتى يهم رب المال من يقبل صدقته، وحتى يعرضه، فيقول الذي يعرضه عليه: لا أرب لي"[2]؛ فبيّن

---

[1] رواه مسلم (1/ 36)

[2] رواه البخاري 2/ 108)، رواه مسلم (2/ 701)

الحديث أن الله ﷻ سيعطي الأمة الكثير من الكنوز حتى لا تجد رجلاً محتاجاً يقبلها، وقد حدث ذلك في زمن الصحابة ﭫ؛ إذ كَثُرت الفتوحات الإسلامية وفاضت الكنوز عليهم من اقتسام أموال الفرس والروم، وحدث ذلك أيضاً في زمن عمر بن عبد العزيز ﭬ حتى أصبح الرجل يعرض الصدقة فلا يجد من يقبلها منه، وهذا سيتكرّر وقوعه في زمن المهدي وعيسى ﷺ.

2. ظهور الفتن:

المقصود بالفتن هنا ما يقع في الناس من أمور يكرهونها من كفرٍ وقتلٍ وعصيانٍ وما شابه ذلك من الأمور، وقد حذّر النبي ﷺ أمته من الفتن العظيمة التي ستظهر فيهم، ووجّههم إلى الالتزام بجماعة المسلمين والإيمان بالله ﷻ، قال ﷺ: "بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً، أو يمسي مؤمناً ويصبح كافراً، يبيع دينه بعرض من الدنيا"[1]

3. انتشار الأمن:

ذلك بأن يسود الأمنُ البلادَ الإسلامية، فينتقل المسلم ويسافر من مكانٍ إلى آخر لا يخشى على نفسه ولا أهله ولا ماله ولا عقله ولا دينه شيئاً، فقد قال عدي ابن حاتم الطائي ﭬ: " بينا أنا عند النبي ﷺ إذ أتاه رجل فشكا إليه الفاقة، ثم أتاه آخر فشكا إليه قطع السبيل، فقال: "يا عدي، هل رأيت الحيرة؟" قلت: لم أرها، وقد أنبئت عنها، قال "فإن طالت بك حياة، لترين الظعينة ترتحل من الحيرة، حتى تطوف بالكعبة لا تخاف أحدا إلا الله"[2]، وقد حدث ذلك في زمن الصحابة ﭫ،

[1] رواه مسلم (1/ 110)
[2] رواه البخاري (4/ 197)

وذلك حين فتحوا البلدان وانتشر الإسلام فيها، وسيعود ذلك حين يظهر المهدي وعيسى عليه السلام.

4. ضياع الأمانة:

الأمانة هي التكليف، بأن يتّبع الإنسان ما أمر الله عز وجل به، ويجتنب ما نهى عنه، وهي ضدّ الخيانة، وقد بيّن النبي ﷺ أن الأمانة ستُنتزَع من القلوب، فيصير الرجل من أهل الخيانة بعد أن كان من الصالحين؛ وذلك لزوال خشية الله عز وجل من قلبه، وفي تلك الفترة يضيّع الناس دينهم فيُسنَد الأمر إلى غير أهله، يقول ﷺ: " فإذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة"، قال: كيف إضاعتها؟ قال: "إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة"[1]

5. انتشار الزنا:

ذلك بأن يشيع الزنا بين الناس، بل إنّهم يستحلّونه، وذلك زمان تكون فيه الذمم قد فسدت حتى إنّ الرجل قد يفعل ذلك جهاراً نهاراً بين الخلائق كما أخبر ﷺ في قوله: "إن من أشراط الساعة: أن يرفع العلم ويثبت الجهل، ويشرب الخمر، ويظهر الزنا"[2]

6. انتشار الربا:

يشيع الربا بين الناس، فلا يبالي أحدهم بالمال الذي يأخذه حلال أم حرام، ويُرى ذلك جلياً في هذا الزمان، يقول النبيّ ﷺ: "ليأتين على الناس زمان، لا يبالي المرء بما أخذ المال، أمن حلال أم من حرام"[3]

---

[1] رواه البخاري (1/ 21)
[2] رواه البخاري (1/ 27)، رواه مسلم (4/ 2056)
[3] رواه البخاري (3/ 59)

7. كثرة شرب الخمر واستحلالها:

ذلك بأن تنتشر هذه الخمور بين الناس، ويظهر من يعتقد حلَّها، وقد انتشر ذلك في الزمن الحاضر بشكل كبير، حتى أصبحت تُشرب وتُباع جهاراً، وسُمّيت بالمشروبات الروحية، يقول النبي ﷺ: "يشرب ناس من أمتي الخمر يسمونها بغير اسمها"[1]، وقال ﷺ:"إن من أشراط الساعة: أن يرفع العلم ويثبت الجهل، ويشرب الخمر، ويظهر الزنا"[2]

8. التطاول في البيان:

هذه الأمارة بدأت بالظهور منذ عصر النبوّة تقريباً، حين بدأت رقعة الدولة الإسلامية بالاتّساع والظهور، وأخذت الأموال تُغدَق على المسلمين، وبعد مدّة من الزمان وكثرة المال، أصبح الناس يتنافسون في الدنيا حتى وصل ذلك إلى أهل البادية، وأشباههم من أهل الفقر، فأخذ الناس بالمباهاة في بناء البيوت والمباني، حتى أنّ الشخص ليريد أن يبني ما هو أكبر وأعلى ممّا بنى غيره، إلى أن وصل بهم الحال في عصرنا إلى بناء ما يُسمّى بناطحات السحاب، وقد ذكر ذلك النبيّ ﷺ بقوله: "وإذا تطاول رعاء البهم في البنيان، فذاك من أشراطها"[3]، وقال ﷺ: " من أشراط الساعة إذا تطاول رعاء البهم في البنيان"[4]

---

[1] سنن النسائي (8/ 312)
[2] رواه البخاري (1/ 27)، رواه مسلم (4/ 2056)
[3] رواه مسلم (1/ 39)
[4] رواه البخاري (8/ 66)

9. كثرة القتل:

يقول النبي ﷺ: "لا تقوم الساعة حتى يكثر الهرج، قالوا: وما الهرج يا رسول الله؟ قال: "القتل، القتل"[1]، ويقول ﷺ: "إن بين يدي الساعة لأياماً، ينزل فيها الجهل، ويرفع فيها العلم، ويكثر فيها الهرج[2]"[3]، وقد ظهر هذا منذ مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه، وما زال مُستمرّاً إلى يومنا هذا؛ فقد فسدت النفوس، وخفّت العقول، وانتشرت الأسلحة الفتّاكة، وكثرت الحروب، لا يدري القاتل فيمَ قَتل، ولا المقتول فيمَ قُتِل.

10. رفع العلم وانتشار الجهل:

إذ يقول النبي ﷺ: "إن بين يدي الساعة لأياماً، ينزل فيها الجهل، ويرفع فيها العلم، ويكثر فيها الهرج"[4]، والمقصود هنا ليس غياب العلم، فإنّ العلم موجود، ولكن قلّة العلماء الصالحين الذين يُعلّمون الناس أمور شرعهم، فالجامعات حاليّاً أبوابها مفتوحة، ولكن قلّما تجد عالماً مع تُوفّر كلّ السُّبل لذلك.

11. السلام للمعرفة فقط:

ذلك بأن لا يسلّم المرء إلّا على من يعرفه، فيترك الناس السلام بينهم بحجّة أنّهم لا يعرفون بعضهم، يقول النبي ﷺ: "إن من أشراط الساعة أن يسلم الرجل على الرجل، لا يسلم عليه إلا للمعرفة"[5]، وهذا الفعل مخالف لسنة النبي ﷺ الذي أمر

---

[1] رواه مسلم (4/ 2215)
[2] الهرج: القتل
[3] رواه البخاري (9/ 48)
[4] رواه البخاري (9/ 48)
[5] مسند أحمد (6/ 398)

بإفشاء السلام بين الناس، سواءً المعروفين أو غير المعروفين؛ لنشر الألفة، والمحبّة بينهم.

12. شهادة الزور وكتمان الحق:

يقول النبي ﷺ: "أن بين يدي الساعة تسليم الخاصة، وفشو التجارة، حتى تعين المرأة زوجها على التجارة، وقطع الأرحام، وشهادة الزور، وكتمان شهادة الحق، وظهور القلم"[1]، وذلك بأن يشهد الرجل الشهادة فيكذب فيها، وهي من أكبر الكبائر عند الله ﷻ.

13. زخرفة المساجد والتباهي بذلك:

يقول النبي ﷺ: "لا تقوم الساعة حتى يتبَاهى الناس في المساجد"[2]، وقال ﷺ: "إن من أشراط الساعة أن يتباهى الناس في المساجد"[3]، إنّ المساجد أماكن للعبادة وليست أماكن للزخرفة والتباهي والمبالغة في تزيينها.

14. رفض السنّة:

يقول ﷺ: "يوشك الرجل متكئاً على أريكته، يحدث بحديث من حديثي، فيقول: بيننا وبينكم كتاب الله ﷻ، فما وجدنا فيه من حلال استحللناه، وما وجدنا فيه من حرام حرمناه، ألا وإن ما حرم رسول الله ﷺ مثل ما حرم الله"[4]، حيث ظهر في زماننا أناس يدّعون الأخذ من القرآن ويحثّون على ترك السنّة، يطلقون على أنفسهم مسمّى القرآنيّين؛ فالسنّة هي المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي، تأتي

---

[1] مسند أحمد (6/ 415)
[2] مسند أحمد (21/ 420)، سنن ابن ماجه (1/ 244)، سنن أبي داود (2/ 348)
[3] السنن الكبرى للنسائي (1/ 383)
[4] سنن ابن ماجه (1/ 6)

مفسرة وموضحة ومبنية ومقيدة ومخصّصة ومضيفة لما ورد في القرآن الكريم، فلا يمكن الاستغناء عنها بحال من الأحوال.

كثرة الظالمين الذين يضربون الناس بالسياط، يقول النبي ﷺ: "إن طالت بك مدة، أوشكت أن ترى قوما يغدون في سخط الله، ويروحون في لعنته، في أيديهم مثل أذناب البقر"[1]

15. ظهور الكاسات العاريات:

قال ﷺ: "صنفان من أهل النار لم أرهما، قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات، رءوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة، ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا"[2]، فهنّ نساء مائلات عن طاعة الله ﷻ، مُميلات لمن رافقهنّ عن صواب الطريق، يلبسن من اللباس ما لا يستر عوراتهنّ بل ويشفّ عنها، ويضعن فوق رؤوسهن ما يجعل رؤوسهن كأسنمة الإبل، وهذا يحصل في المجتمع في الوقت الحاضر.

16. كثرة الكذب:

يقول النبي ﷺ: "إن بين يدي الساعة كذابين فاحذروهم"[3]، فقد كثر الكذب في أزمان خلت، ولكن تجلّى هذا الأمر وزاد في الزمن الحالي، فقد يكذب الوالد على ولده، أو الزوج على زوجه، أو البائع على المشتري، وأمثلة ذلك كثيرة من صور الكذب.

---

[1] رواه مسلم (4/ 2193)
[2] رواه مسلم (3/ 1680)
[3] رواه مسلم (3/ 1453)

17. انتشار التجارة:

يقول ﷺ: ""أن بين يدي الساعة تسليم الخاصة، وفشو التجارة، حتى تعين المرأة زوجها على التجارة، وقطع الأرحام، وشهادة الزور، وكتمان شهادة الحق، وظهور القلم"[1]"، وذلك ظاهر جليّ في زماننا، فلا تكاد تجد مكاناً إلّا وفيه من التجّار ومَحالِّهم الكثير.

18. قطع الأرحام:

يقول النبي ﷺ: "أن بين يدي الساعة تسليم الخاصة، وفشو التجارة، حتى تعين المرأة زوجها على التجارة، وقطع الأرحام، وشهادة الزور، وكتمان شهادة الحق، وظهور القلم"[2]، وقد ساد هذا الأمر في زماننا.

19. اختلال المقاييس:

يقول النبي ﷺ: "إنها ستأتي على الناس سنون خداعة، يصدق فيها الكاذب، ويكذب فيها الصادق، ويؤتمن فيها الخائن، ويخون فيها الأمين، وينطق فيها الرويبضة، قيل: وما الرويبضة يا رسول الله، قال: "السفيه يتكلم في أمر العامة"[3]، وهذا الأمر واضح حالياً.

20. ظهور المعازف واستحلالها:

قال ﷺ: "ليكونن من أمتي أقوام، يستحلون الحر[4] والحرير، والخمر والمعازف[5]"[6]

---

[1] مسند أحمد (6/ 415)
[2] مسند أحمد (6/ 415)
[3] مسند أحمد (13/ 291)
[4] الحر: الفرج وأصله الحرح والمعنى أنهم يستحلون الزنا.
[5] المعازف: آلات اللهو
[6] رواه البخاري (7/ 106)

➢ العلامات الصغرى التي لم تظهر بعد:

1. عودة جزيرة العرب جنات وأنهاراً:

قِيل بسبب الزراعة وحفر الآبار، ودليل ذلك قول النبي ﷺ: "لا تقوم الساعة حتى يكثر المال ويفيض، حتى يخرج الرجل بزكاة ماله فلا يجد أحداً يقبلها منه، وحتى تعود أرض العرب مروجاً وأنهاراً"[1]

2. انحسار الفرات عن جبلٍ من ذهب:

حيث يقتتل الناس عليه، فيُقتل من كل مئةٍ تسعةٌ وتسعون، وقد يكون انحسار النهر بسبب تحوّل الماء عن مجراه لسببٍ من الأسباب، أو لذهاب مائه فيكشف عن ذلك الجبل، قال ﷺ: "لا تقوم الساعة حتى يحسر الفرات عن جبل من ذهب، يقتتل الناس عليه، فيقتل من كل مائة، تسعة وتسعون، ويقول كل رجل منهم: لعلي أكون أنا الذي أنجو"[2]

3. خروج القحطاني والجهجاه:

يقول النبي ﷺ: "لا تقوم الساعة، حتى يخرج رجل من قحطان، يسوق الناس بعصاه"[3]، ويقول ﷺ: "لا تذهب الأيام والليالي، حتى يملك رجل يقال له الجهجاه"[4]، فيظهر في آخر الزمان رجل من قحطان لم يُذكَر في الأحاديث اسمه، ويظهر آخر من المماليك يُسمّى بالجهجاه، وكلّ واحد منهما يحكم ويمسك بزمام

---

[1] رواه مسلم (2/ 701)
[2] رواه مسلم (4/ 2219)
[3] رواه البخاري (4/ 183)، رواه مسلم (4/ 2232)
[4] رواه مسلم (4/ 2232)

الحُكم، وقد ضُرب المثل بعصى القحطاني؛ كنايةً عن شدّة طاعة الناس له أو خشونته عليهم.

4. ريح تقبض المؤمنين:

في الحديث الذي تكلّم عن الدجال، يقول ﷺ: "إذ بعث الله ريحاً طيبة، فتأخذهم تحت آباطهم، فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم، ويبقى شرار الناس، يتهارجون فيها تهارج الحمر، فعليهم تقوم الساعة"[1]، دل الحديث على أنّ الريح تكون بعد يأجوج ومأجوج وخروج الدجال ونزول عيسى عليه السلام، بل وبعد خروج الدابة وطلوع الشمس من مغربها، حيث إنّ الدابة تخرج لتُفرّق بين المؤمنين والكافرين، وطلوع الشمس مصاحب لذلك، فلو كانت الدابة قبل الريح، لما بقي مؤمن على الأرض.

5. هدم الكعبة:

يُعَدّ هدم الكعبة من علامات اقتراب الساعة، وذلك من قِبل رجل من الحبشة يُدعى ب(ذي السويقتين)؛ لصغر ساقيه، ورقّتهما، قال رسول الله ﷺ: "يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة"[2]، وقد وصفه بأنّه أسود مُتَباعد ما بين ساقَيه، يهدم الكعبة حجراً حجراً، لقوله ﷺ: "كأني به أسود أفحج[3]، يقلعها حجراً حجراً"[4]، ويُشار إلى أنّ ما سيَحدُث للكعبة من خراب لا يتنافى مع قوله ﷻ:

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا ﴿٦٧﴾ ﴾ العنكبوت: ٦٧، إذ إنّه يبقى آمناً إلى قُرب قيام الساعة، لا إلى قيامها الفِعليّ، أمّا المدينة المنورة فسيخرج الناس منها –

---

[1] رواه مسلم (4/ 2250)
[2] رواه البخاري (2/ 148)، رواه مسلم (4/ 2232)
[3] أفحج: من الفحج وهو تباعد ما بين الساقين ونصبه على الحالية.
[4] رواه البخاري (2/ 149)

وذلك من علامات الساعة-، فيتركونها حتى تُصبح خاوية على الرغم من طِيب عَيشها وثمارها، إذ قال رسول الله ﷺ: " يتركون المدينة على خير ما كانت، لا يغشاها إلا العواف[1]"[2]

6. كثرة الزلازل:

يقول النبي ﷺ: "لا تقوم الساعة حتى يقبض العلم، وتكثر الزلازل"[3]، وهذا يكون مع نزول الخلافة إلى الأرض المقدَّسة، إذ تكثر الزلازل.

فهذه بعضُ من علامات الساعة الصغرى التي أخبرنا عنها النبي ﷺ، وهي بمجموعها تنطبق أشد المطابقة على هذا العصر الذي نعيش فيه، غير أن قتامة هذه الصورة التي نعيشها لا تدفعنا إلى اليأس والقنوط، بل إن ما تحقق من علامات الساعة يزيدنا إيماناً ويقيناً أن بقية العلامات التي أخبر عنها النبي ﷺ آتية، مثل خروج المهدي، ونزول عيسى بن مريم عليه السلام، وعودة الحكم إسلامياً ربانياً، والأعظم والأهم قيام الساعة التي يفصل الله عز وجل فيها بين عباده.

القسم الثاني: علامات الساعة الكبرى:

1. ظهور المهدي:

يُعَدّ تصنيف ظهور المهديّ أمراً مختلفاً فيه بين العلماء؛ إذ إنّ منهم من اعتبره من العلامات الكُبرى، ومنهم من قال إنّه من العلامات الصغرى؛ وذلك نتيجة لأنّ الروايات لم يرد فيها نصٌّ واضح على تصنيفه ضمن العلامات الكُبرى، أو الصُّغرى.

---

[1] العوافي: هي الطير والسباع.
[2] رواه البخاري (3/ 21)
[3] رواه البخاري (2/ 33)

حيث ينتشر في آخر الزمان الفساد، والظلم، وتَكثُر المنكَرات، فيأذن الله ﷻ بخروج رجل صالح يجتمع له المؤمنون، فيكون قائداً حاكماً يُصلِح اللهُ ﷻ على يديه أحوالَ الأمّة، ويكون اسمه **محمد بن عبد الله**، ويُعرَف عند أهل السنّة بالمهديّ، وهو يخرج من قِبَل المشرق، وتحديداً من مكّة المكرَّمة، فيُبايعه الناس عند الكعبة على السمع، والطاعة، والاتِّباع، فيحكم المسلمين بضع سنين يَنعمون فيها بالعدل والخيرات، ويعظُم أمر الأمة، وقد ذكر رسول الله ﷺ المهديّ في العديد من الأحاديث، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنّه قال: " يخرج في آخر أمتي المهدي يسقيه الله الغيث، وتخرج الأرض نباتها، ويعطي المال صحاحاً، وتكثر الماشية وتعظم الأمة، يعيش سبعاً أو ثمانياً"[1]، وقد تحدّث رسول الله ﷺ أيضاً عن صفاته الخَلقيّة بقوله: " المهدي منّي أجلى الجبهة، أقنى الأنف، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً يملك سبع سنين"[2]

2. خروج المسيح الدجال:

أ. التعريف بالمسيح الدجال:

الدجّال هو رجل من بني آدم يدّعي أنّه ربّ العالمين؛ فقد مكّنه الله ﷻ بقدرات خارقة؛ لامتحان إيمان الناس، ويُسمّى بالمسيح الدجّال؛ لأنّ عينَه اليسرى ممسوحة؛ أي أعور، قال رسول الله ﷺ: "الدجال ممسوح العين مكتوب بين عينيه كافر، ثم تهجاها ك ف ر يقرؤه كل مسلم"[3]، وقِيل لأنّه يمسح الأرض كلّها، ويسير فيها، أمّا دجّال؛ فلأنّه كذّاب، ومُحتال، وقد وصف رسول الله ﷺ فتنة الدجّال بأنّها أخطر

[1] المستدرك على الصحيحين للحاكم (4/ 601)
[2] سنن أبي داود (11/ 375)
[3] رواه مسلم (4/ 2248)

فتنة تمرّ على البشريّة، إذ قال: "ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة خلق أكبر من الدجال"[1]

ب. صفات الدجّال ومكوثه في الناس:

يُوصَف الدجال بأنّه رجل قصير القامة مُتَباعد ما بين ساقَيه، مُمتلئ الجسم، شعره كثيف أجعد، وهو أبيض البشرة، وذو جبهة عريضة، مكتوب بين عينيه كافر، لا يقرأها إلّا المؤمن؛ لقول رسول الله ﷺ: "وإن الدجال ممسوح العين، عليها ظفرة غليظة، مكتوب بين عينيه كافر، يقرؤه كل مؤمن، كاتب وغير كاتب"[2]، ويجول الدجّال الأرضَ خلال أربعين يوماً، وهي المدّة التي يَمكُثها في الأرض، فقد سُئِل رسول الله ﷺ عن ذلك، فقال: "أربعون يوماً، يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة، وسائر أيامه كأيامكم"[3]، حيث يتحرّك بسرعة كبيرة في الأرض، قال رسول الله ﷺ واصفاً إيّاه: "كالغيث استدبرته الريح"[4]؛ أي كالمطر النازل الذي تدفعه الريح في كلّ اتّجاه، ممّا يمكّن الدجّالَ من التجوُّل في أقطار الأرض قاطبة، باستثناء مكّة، والمدينة المنوّرة؛ حيث لن يتمكّن من دخولهما؛ لقول رسول الله ﷺ: "ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال، إلا مكة، والمدينة، ليس له من نقابها نقب، إلا عليه الملائكة صافين يحرسونها، ثم ترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات، فيخرج الله كل كافر ومنافق"[5]

---

[1] رواه مسلم (4/ 2266)
[2] رواه مسلم (4/ 2249)
[3] رواه مسلم (4/ 2250)
[4] رواه مسلم (4/ 2250)
[5] رواه البخاري (3/ 22)، رواه مسلم (4/ 2265)

ج. فتنة الدجال وهلاكه:

للدجّال عدّة أساليب في فتنة الناس، وإضلالهم، واقناع الناس بألوهيّته، فقد قال رسول الله ﷺ فيه: "إن معه ماء وناراً، فناره ماء بارد، وماؤه نار"[1]، وإن من فتنته أن يقول لأعرابي: "أرأيت إن بعثت لك أباك وأمك، أتشهد أني ربك؟ فيقول: نعم، فيتمثل له شيطانان في صورة أبيه، وأمه، فيقولان: يا بني، اتبعه، فإنه ربك"[2]، إلّا أنّ أهل الإيمان لا يفتتنون به؛ فالله ﷻ يُنجّيهم منه.

➢ ومن سُبل النجاة من فتنته:

أن يكون القلب عامراً بالإيمان، ثابتاً عليه؛ لقوله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ فصلت: ٣٠ ، والعمل بوصيّة رسول الله ﷺ، إذ قال: "من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال"[3]، واللجوء إلى أحد الحرمَين الشريفَين؛ لأنّ الدجّال لن يتمكّن من دخولهما كما ذُكِر سابقاً، **أمّا هلاكه:** فيكون على يد عيسى بن مريم عليه السلام؛ لقول رسول الله ﷺ: "يقتل ابن مريم الدجال بباب لد"[4]

---

[1] رواه البخاري (9/ 60)، رواه مسلم (4/ 2249)
[2] سنن ابن ماجه (2/ 1359)
[3] رواه مسلم (1/ 555)
[4] سنن الترمذي (4/ 515)

3. نزول عيسى عليه السلام:

من علامات الساعة الكُبرى نزول عيسى عليه السلام؛ لقول رسول الله ﷺ: "لا تقوم الساعة حتى ينزل عيسى ابن مريم حكماً مقسطاً، وإماماً عدلاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد"[1]، وهو مربوع القامة، سَبِط الشَّعر؛ أي طويل لين ليس بأجعد، أبيض يميل إلى الحمرة، عريض الصدر، وقد وصفه رسول الله ﷺ بقوله: "ورأيت عيسى رجلاً مربوعاً[2]، مربوع الخلق[3] إلى الحمرة والبياض، سبط الرأس[4]"[5]، ويمكث في الأرض أربعين سنة يملأ الأرض خلالها عدلاً وأماناً، ويقتل الدجّالَ، ويَكثُر المال في عهده حتى يَفيض.

4. خروج يأجوج ومأجوج:

أ. التعريف بيأجوج ومأجوج وصفاتهم:

يأجوج ومأجوج قبيلتان من البشر من ذريّة يافث، وهو من ولد نوح عليه السلام، وقد جاء أصل تسميتهم من أجيج النار إذا التهبت، أو من الأُجاج؛ وهو الماء المالح الحارق؛ لشدّة ملوحته، وخروجهم آخر الزمان من علامات الساعة الكُبرى؛ إذ دلّ على ذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ٩٦ وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبۡصَٰرُ ٱلَّذِينَ

---

[1] سنن ابن ماجه (2/ 1363)
[2] مربوعاً: لا قصيراً ولا طويلاً.
[3] مربوع الخلق: معتدل الخلقة مائلاً إلى الحمرة.
[4] سبط الرأس: مسترسل الشعر.
[5] رواه البخاري (4/ 116)

﴿ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٩٧﴾ ﴾

الأنبياء: ٩٦ - ٩٧

ومن صفاتهم الخَلقيّة: أنّهم صغار العيون، وجوههم عريضة، وشَعرهم أصهب اللون، وقد وصفهم رسول الله ﷺ بقوله: "إنكم تقولون لا عدو وإنكم لا تزالون تقاتلون عدواً حتى يأتي يأجوج ومأجوج عراض الوجوه، صغار العيون، صهب الشعاف من كل حدب ينسلون كأن وجوههم المجان المطرقة"[1]

ب. سدّ يأجوج ومأجوج:

بنى ذو القرنَين سدّ يأجوج ومأجوج؛ وهو مَلِكٌ مؤمنٌ طاف الأرض من شرقها إلى غربها؛ أي من مطلع قرنَي الشيطان إلى المغرب؛ ولهذا سُمِّي ب(ذي القرنَين)، حيث إنّه في رحلته وصل مع جنوده إلى جبلَين عظيمَين في المشرق، بينهما ثغرة يخرج من خلالها يأجوج ومأجوج، فيقتلون ويُفسدون فيها، فاستغاث الناس بذي القرنَين؛ لما رَأوا فيه من قوّةٍ وصلاحٍ، وذلك من خلال بناء سدٍّ يَحجُب يأجوج ومأجوج عنهم، وعرضوا عليه المال مقابل ذلك، فتطوّع لبنائه دون أجر، وأمر بردم الثغرة بقِطَعٍ من الحديد والحطب، وساوى بها بين الجبلين، ثمّ أشعلها فصارت ناراً، وصَبّ النحاس المذاب عليها، فأصبح سدّاً عالياً لم يتمكّن يأجوج ومأجوج من تسلُّقه، وشديد الصلابة لم يتمكّنوا من ثَقبه، ويستمرّ ذلك إلى أن يأذن الله ﷻ بخروجهم إلى الناس؛ لقوله ﷻ: ﴿ قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿٩٨﴾ ﴾ الكهف: ٩٨، ويُشار إلى أنّه إذا اقتربت الساعة، فإنّ الله ﷻ يُمكّنهم من

[1] مسند أحمد (37/ 19)

ثقب السدّ، فيخرجون على الناس يملؤون الأرض فساداً، وقتلاً، وهَتكاً للحُرمات، ولشدّة غرورهم، وكفرهم، يرمون السماء بسهامهم؛ ليغلبوا أهلها، قال رسول الله ﷺ: "فيخرجون على الناس، فيستقون المياه، ويفر الناس منهم، فيرمون بسهامهم في السماء فترجع مخضبة بالدماء، فيقولون: قهرنا من في الأرض وعلونا من في السماء، قسوة وعلواً"[1]

ج. هلاك يأجوج ومأجوج:

يستمرّ يأجوج ومأجوج بالإفساد في الأرض، فلا يأمن شرَّهم إلّا مَن كان مُختبئاً، ومُتحصّناً بالحصون، ومنهم عيسى عليه السلام ومجموعة من المؤمنين معه، فيشتدّ بلاؤهم على المؤمنين، فيتضرّعون إلى الله عز وجل بالدعاء، فيُنجّيهم الله عز وجل بإرسال دود تأكل رقاب يأجوج ومأجوج، فيموتون، ثمّ يبعث الله عز وجل طيراً أعناقها طويلة، فتحمل أجسادهم إلى حيث يشاء الله سبحانه وتعالى، قال رسول الله ﷺ: "فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه، فيرسل الله عليهم النغف في رقابهم، فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة، ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض، فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملأه زهمهم ونتنهم، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله، فيرسل الله طيراً كأعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله"[2]

5. الدخان:

ثبت شرعاً أنّ الدخان علامة من علامات السّاعة الكبرى، حيث قال سبحانه وتعالى:

---

[1] سنن الترمذي (5/ 313)
[2] رواه مسلم (4/ 2250)

﴿ فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ ١٠ يَغۡشَى ٱلنَّاسَۖ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٞ ١١ رَّبَّنَا ٱكۡشِفۡ عَنَّا ٱلۡعَذَابَ إِنَّا مُؤۡمِنُونَ ١٢ ﴾ الدخان: ١٠ - ١٢، وقد أكّد النبيّ ﷺ أنّ الدخان الوارد في الآية الكريمة السّابقة هو من علامات الساعة، وذلك في قوله ﷺ: "إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات فذكر الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى ابن مريم عليه السلام، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن، تطرد الناس إلى محشرهم"[1]، ويهرع النّاس حين ظهور الدّخان إلى الله سبحانه وتعالى، يسألونه كشف هذه الغُمّة عنهم كما جاء بآيات سورة الدخان؛ وأنّهم قد آمنوا بما أخبرهم به سبحانه وتعالى من الأمور الغيبية التي ستقع بعد ذلك، وفي هذا إشارة إلى إمكانية استدراك المرء نفسه بالتوبة والإنابة.

أمّا تأثير ظهور الدخان على النّاس حينها؛ فقد أشارت بعض الروايات أنّ المؤمنين يعتريهم بسببه الزّكام، بينما يأخذ الكافرين كلَّ مأخذ، فعن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال: "وربكم أنذركم ثلاثاً: الدخان، يأخذ المؤمن منه كالزكمة، ويأخذ الكافر فينتفخ ويخرج من كل مسمع منه، والثانية الدابة، والثالثة الدجال"[2]، إنّ رفع القرآن لهو من أعظم الأمور التي ستحصُل ومن أشدّ الفتن؛ فإنّه لا تَبقى كلمةٌ منه في صدر أحدٍ من الخلق، ولا يبقى حرفٌ منه في مصحف، وإنَّ الله سبحانه وتعالى هو الوحيد القادر على رفعه؛ فهو محفوظٌ بقدرته إلى أن يشاء الله عز وجل رفعه، قال

[1] رواه مسلم (4/ 2225)
[2] المعجم الكبير للطبراني (3/ 292)

ﷻ: ﴿ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾ ﴾ الإسراء: ٨٦

6. طلوع الشمس من المغرب:

طلوع الشمس من مغربها من العلامات العظيمة الدالّة على اقتراب الساعة؛ لقول رسول الله ﷺ: "لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون، وذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها"[1]، وقد بيّن رسول الله ﷺ أنّه في اليوم الذي تَطلع فيه الشمس من مغربها، لن ينفع النفس إيمانها إن لم تكن قد آمنت من قبل؛ وذلك لقوله ﷺ: "ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل، أو كسبت في إيمانها خيراً: طلوع الشمس من مغربها، والدجال، ودابة الأرض"[2]، والسبب في عدم قبول الإيمان في ذلك اليوم أنّ طلوع الشمس من مغربها أمر عظيم يراه كلّ من يكون في ذلك الزمان؛ فتَذهَلُ العقول، وتَخضَع القلوب مُعترَفة بخالقها ﷻ.

7. الدابة:

أخبر رسول الله ﷺ عن خروج علامة من علامات الساعة الكُبرى في اليوم الذي تَطلع فيه الشمس من مغربها، ألا وهي دابّة تُكلّم الناس، إذ قال ﷺ: "إن أول الآيات خروجاً، طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة على الناس ضحى، وأيهما ما كانت قبل صاحبتها، فالأخرى على إثرها قريباً"[3]، فتُكَلّم الناس بكلام واضح،

---

[1] رواه البخاري (6/ 58)
[2] رواه مسلم (1/ 137)
[3] رواه مسلم (4/ 2260)

وتُخبرهم أنّ الناس كانوا لا يوقنون بآيات الله ﷻ، وتُميّز المؤمن عن الكافر، بوضع علامة على أنف المؤمن، فيعُرف أنّه مؤمن، لقول رسول الله ﷺ: " تخرج الدابة فتسم الناس على خراطيمهم، ثم يغمرون فيكم حتى يشتري الرجل البعير فيقول: ممن اشتريته؟ فيقول: اشتريته من أحد المخطمين"[1]، وبعد خروجها إلى الناس لا ينفع الإيمان لمن لم يكن مؤمناً من قَبل؛ لقول رسول الله ﷺ: "ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل، أو كسبت في إيمانها خيراً: طلوع الشمس من مغربها، والدجال، ودابة الأرض"[2]

8. الخسوفات الثلاثة:

تُعَدّ لفظة (الخَسْف) مصدراً للفعل (خَسَفَ)، فَخَسَفَت الأرض؛ أي غارت بمَن عليها، وخَسَفَت به الأرض؛ أي اختفى بداخلها، ومن علامات الساعة الكُبرى حدوث ثلاثة خسوف في الأرض؛ لقول رسول الله ﷺ: "إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات فذكر الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى ابن مريم عليه السلام، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن، تطرد الناس إلى محشرهم"[3]، وهذه الخسوف الثلاثة ليست كغيرها ممّا يَحدُث الآن، فهي أعظم مكاناً وقدراً، وتكون في المشرق، وفي المغرب، وفي جزيرة العرب كما أخبر رسول الله ﷺ.

---

[1] مسند أحمد (36/ 646)
[2] رواه مسلم (1/ 137)
[3] رواه مسلم (4/ 2225)

9. الريح الباردة:

أخبر رسول الله ﷺ أنّ الساعة لا تقوم إلّا على شرار الخلق، أمّا المؤمنون منهم فيُنجّيهم الله ﷻ من أهوالها؛ وذلك بإرسال ريح طيّبة تقبض أرواحهم، فلا تظلّ على الأرض نَفْس في قلبها مثقال ذرّة من إيمان؛ لقوله ﷺ: "ثم يرسل الله ريحاً باردة من قبل الشأم، فلا يبقى على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان إلا قبضته، حتى لو أن أحدكم دخل في كبد جبل لدخلته عليه، حتى تقبضه"، قال: سمعتها من رسول الله ﷺ قال: "فيبقى شرار الناس"[1]، وقد ورد عن رسول الله ﷺ في رواية أخرى أنّ هذه الريح تأتي من اليمن، وذلك بقوله ﷺ: "إن الله يبعث ريحاً من اليمن ألين من الحرير، فلا تدع أحداً في قلبه – قال أبو علقمة مثقال حبة، وقال عبد العزيز: مثقال ذرة – من إيمان إلا قبضته"[2]، ويحتمل الجمع بين الروايتَين وَجهَين: **الأوّل** أنّهما ريحان؛ شاميّة، ويمانيّة، **والثاني** أنّ الريح تبدأ من إحدى المنطقتَين لتصلَ الأخرى.

10. خروج النار:

اتّفق العلماء على أنّ خروج النار هي آخر علامات الساعة الكُبرى؛ لقول رسول الله ﷺ: "إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات فذكر الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى ابن مريم عليه السلام، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة

[1] رواه مسلم (4/ 2258)
[2] رواه مسلم (1/ 109)

العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن، تطرد الناس إلى محشرهم"[1]، ويُفهَم من حديث رسول الله ﷺ أنّ هذه النار تَخرُج من اليمن، وتَسوق الناس إلى مَحشرهم وهو بلاد الشام؛ لقوله ﷺ: "ستخرج نار من حضرموت أو من بحر حضرموت، قبل يوم القيامة تحشر الناس"، قال: قلنا: يا رسول الله فماذا تأمرنا قال: "عليكم بالشام"[2]، وهذه النار ليس الهدف منها إحراق الناس، وإنّما سَوقهم إلى مَحشرهم، فتبقى مُلازمة لهم ليلاً ونهاراً، تبيت معهم وترحل معهم، وتبقى هكذا حتى تَصل بهم إلى الشام، وقد ورد ذلك عن رسول الله ﷺ بقوله: "ويحشر بقيتهم النار، تقيل معهم حيث قالوا، وتبيت معهم حيث باتوا، وتصبح معهم حيث أصبحوا، وتمسي معهم حيث أمسوا"[3]

➢ الحكمة من إخفاء وقت الساعة:

يُعَدّ الإيمان باليوم الآخر أصلاً من أصول الإيمان؛ لقوله ﷻ: ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴿١٧٧﴾ ﴾ البقرة: ١٧٧، وقد أكّد القرآن على وقوع الساعة في مواضع كثيرة بسياقات متعدّدة، ومنها قوله ﷻ: ﴿ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ ﴿٨٥﴾ ﴾ الحجر: ٨٥، إلّا أنّ الله ﷻ لم يُطلِع أحداً على وقتها، لا نبيّاً مُرسَلاً، ولا مَلَكاً مُقرَّباً؛ فهي من الأمور الغيبيّة الخمسة التي تُعَدّ من مكنونات علم الله ﷻ؛ إذ قال ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ

---

[1] رواه مسلم (4/ 2225)
[2] مسند أحمد (9/ 276)، سنن الترمذي (4/ 498)
[3] رواه البخاري (8/ 109)

ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ لقمان: ٣٤

وحكمة الله ﷻ عظيمة في إخفاء وقت الساعة؛ حيث إنّ النفس البشريّة مجبولة على الترقُّب المستَمرّ لكلّ ما هو مجهول، خاصّة إذا كان هذا المجهول أمراً عظيماً واقعاً لا محالة، فتبقى حذرة مُستعِدّة، فتَصلُح وتستقيم، أمّا من فسدت فطرته فإنّه يغفل عن حقيقة وقوع الساعة، فيتّبع هواه ويَضِلّ، وعلى الرغم من أنّ الله ﷻ قد أخفى وقت الساعة، إلّا أنّه أنذر في كتابه العزيز باقتراب وقتها، إذ قال ﷻ:

﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴿١﴾ ﴾ القمر: ١، فهي قريبة بتقدير الله ﷻ لا بمقاييس البشر، فقد قال ﷻ: ﴿ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾ ﴾ المعارج: ٦ - ٧، أخفى الله ﷻ وقت الساعة عن جميع خلقه، فلا يعلم وقتها إلا هو ﷻ؛ وفي ذلك حكمة بالغة بأن يُصلح المرء نفسه ويستقيم لأنّ الساعة آتية لا محالة.

سابعاً: تفصيل أحداث اليوم الآخر:

اتفق العُلماء على أنّ أحداث يوم القيامة تبدأ بالبعث، ثُمّ النشور، ثُمّ الحشر، ثُمّ الحساب وفي الحساب يكون تطاير الصُحف والكُتب والميزان، ثُمّ الصراط، وقد اختلف العُلماء في الحوض هل يكون قبل الصراط أو بعده بناءً على الأدلة الواردة فيهما.

أولاً: النفخ في الصور:

تعيش في هذه الحياة الكثير من الكائنات المشاهدة وغير المشاهدة والتي هي في حركةٍ دائمةٍ لا تتوقّف، وتبقى على هذه الحال إلى أن يأمر الله ﷻ بالنفخ في الصور؛ فيتنهي كلّ حيّ في هذه الحياة سواءً في الأرض أو في السماء؛ قال ﷻ:

﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ فَإِذَا هُمۡ قِيَامٞ يَنظُرُونَ ٦٨ ﴾ الزمر: ٦٨

والصور في لُغة العرب هو عبارة عن قرن، وقد بيّن النبي ﷺ بأنّه كذلك، قال ﷺ: "إن الله ﷻ لما فرغ من خلق السموات والأرض خلق الصور وأعطاه إسرافيل فهو واضعه على فيه شاخص ببصره إلى العرش ينتظر متى يؤمر فقال أبو هريرة رضي الله عنه قلت: يا رسول الله وما الصور؟ قال: قرن فقلت: وكيف هو؟ قال: هو عظيم والذي نفسي بيده إن عظم دارة فيه لكعرض السماء والأرض فينفخ فيه ثلاث نفخات الأولى، نفخة الفزع، والثانية: نفخة الصعق، والثالثة: نفخة القيام لرب العالمين، يأمر الله ﷻ إسرافيل بالنفخة الأولى فيقول: انفخ نفخة الفزع فيفزع أهل السماء والأرض إلا ما شاء الله ويأمره فيمدها ويديمها ويطولها"[1]، وقد بيّن ﷺ أنّ الملك الموكل بالنفخ فيه هو إسرافيل عليه السلام، وبعد النفخ لا يستطيع الإنسان أن يوصي أو أن يرجع إلى أهله، وقد أخبر النبي ﷺ عن أوّل من يسمع صوت الصور؛ فقال ﷺ: "وأول من يسمعه رجل يلوط حوض إبله، قال: فيصعق، ويصعق

[1] التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة للقرطبي ص 507

الناس"[1]، وتكون سريعة بأخذ الناس؛ حتى يكاد الرجل يرفع اللقمة إلى فمه فلا يأكُلها، واليوم الذي تقوم فيه الساعة، ويكون فيه النفخ هو يوم الجمعة، قال ﷺ: "خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم، وفيه أهبط، وفيه تيب عليه، وفيه قبض، وفيه تقوم الساعة، ما على الأرض من دابة إلا وهي تصبح يوم الجمعة مصيخة حتى تطلع الشمس شفقاً من الساعة إلا ابن آدم"[2]، ويكون هُناك أصناف من المخلوقات لا تتأثر بالصعق، وقد اختلف العُلماء في بيانهم؛ **فذهب ابن حزم** إلى أنّهم الملائكة، **وذهب مُقاتل** إلى أنهم جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت عليهم السلام، وقد **ذهب الإمام أحمد بن حنبل** إلى أنهم الولدان والحور العين الذين في الجنّة.[٥] **وذهب القُرطبي** إلى أنّهم الموتى، وجاء عن ابن عباس وأبي هُريرة رضي الله عنهما إلى أنّ الأنبياء والشُهداء لا يُصعقون يوم القيامة، وقد جاء عن بعض أهل العلم ومنهم **القرطبيّ** أنّ الأصل التوقّف فيمن استثناهم الله ﷻ من الصعق؛ لعدم وجود حديث صريح بأصنافهم.

ثانياً: البعث والنشور:

يُعرف البعث في اللُغة بأنه الإرسال، وأمّا في الاصطلاح الشرعيّ فهو إحياء الله ﷻ للناس بعد موتهم من قبورهم لحسابهم، ويكون البعث بالروح والجسد كما جاء عن السيّد سابق، ومما يدل على ذلك قوله ﷻ: ﴿ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ الأنعام: ٣٦

[1] رواه مسلم (4/ 2258)
[2] سنن النسائي (3/ 113)

وأمّا النشور في اللُغة فهو الانتشار والتفرّق، وفي الاصطلاح الشرعي هو انتشار الناس وتفرّقهم بعد خروجهم من قبورهم إلى مكان الحساب، وقد جاء ذكر النشور في قوله –ﷻ: ﴿ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾ ﴾ عبس: ٢٢، ويكون النشور بعد أن يُنزل الله ﷻ المطر، فتنبت الأجساد كالزرع، ثُمّ يُنفخ في الصور ليقوم الناس للحساب، قال النبي ﷺ في وصف البعث: " ثم يرسل الله – أو قال ينزل الله – مطرا كأنه الطل أو الظل فتنبت منه أجساد الناس، ثم ينفخ فيه أخرى، فإذا هم قيام ينظرون"[1]

ثالثاً: الحشر:

يُحشر الناس يوم القيامة على أرضٍ بيضاء خالصة، وجاء وصف أرض المحشر في أحاديث كثيرة عن النبي ﷺ، ومنها قوله ﷺ: " يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء، كقرصة نقي ليس فيها معلم لأحد"[2]، ويكون لكل إنسان فيها موضع قدميه فقط، ولا يوجد فيها جبال أو زرع، ويكون الناس فيها حُفاة، عُراةٌ، خائفين، ويجتمع مع ذلك الجوع والعطش والتعب، ويأتون الناس إليها أفواجاً، فيأتي بعضهم كالذرّ وهم المتكبرون، وبعضهم يشتعل جسده ناراً وهم المجرمون، وهكذا كُلٌ حسب عمله، ويبقى الناس في أرض المحشر يوماً واحداً ومقداره خمسون ألف سنة، وفيها تدنو الشمس من الناس ويغرق الناس في العرق بمقدار أعمالهم، ويكون هُناك أصناف من الناس يجلسون بظل عرش الرحمن ﷻ، مثل الشاب الذي ينشأ في طاعة ربه ﷻ، والذي يكفل اليتيم وغيرهم، كما تأتي الملائكة بالنار، وتُعرض على النّاس ترمي باللهب كالمدائن.

---

[1] رواه مسلم (4/ 2258)
[2] رواه البخاري (8/ 109)، رواه مسلم (4/ 2150)

رابعاً: العرض وتسلم صحائف الأعمال:

أ. **العرض:** الجزاء يكون بعد محاكمة عادلة، يعرض فيها الناس على ربهم ﷻ، وتقام فيها الحجج عليهم ولهم، ويطلعون على أعمالهم التي عملوها، وأقوالهم التي قالوها، وما كانوا عليه في حياتهم من إيمان وكفر، واستقامة وانحراف، وطاعة وعصيان، وما يستحقونه على ما قدموه من إثابة أو عقوبة، قال ﷻ: ﴿ وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾ ﴾ الكهف: ٤٨، وقال ﷻ: ﴿ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾ ﴾ الحاقة: ١٨، فكل عبد يعرض على ربه ﷻ، فيتولى حسابه بنفسه، وبدون وساطة، فعن عدي بن حاتم ﷺ قال: قال النبي ﷺ: "ما منكم من أحد إلا وسيكلمه الله يوم القيامة، ليس بين الله وبينه ترجمان، ثم ينظر فلا يرى شيئاً قدامه، ثم ينظر بين يديه فتستقبله النار، فمن استطاع منكم أن يتقي النار ولو بشق تمرة"[1]، وعرض الناس هذا يكون بحسب أعمالهم في الدنيا، فالمؤمن يعرض عليه عمله، فيطلعه الله ﷻ على سيئاته بحيث لا يطلع عليها أحد، ثم يعفو عنه، ويأمر به إلى الجنة، أما الكفار والمنافقون فينادي بهم على رؤوس الخلائق هؤلاء الذي كذبوا على الله ﷻ، ثم يؤمر بهم إلى النار، فع عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إن الله يدني المؤمن، فيضع عليه كنفه ويستره، فيقول: أتعرف ذنب كذا، أتعرف ذنب كذا؟ فيقول: نعم أي رب، حتى إذا قرره بذنوبه، ورأى في

[1] رواه البخاري (8/ 112)

نفسه أنه هلك، قال: سترتها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم، فيعطى كتاب حسناته، وأما الكافر والمنافقون، فيقول الأشهاد: ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ١٨ ﴾ هود: ١٨

ب. تسلّم صحائف الأعمال: المراد بالصحف، كتب الأعمال التي يسجل بها أعمال الإنسان من خير أو شر، فيطلع العباد على ما قدموه بإعطائهم صحائف أعمالهم، وقراءتهم لها، فقد أخبرنا ربنا ﷻ أنه وكّل بكل واحد منا ملكين يسجلان عليه صالح أعماله وطالحها، فإذا مات ختم على كتابه، فإذا كان يوم القيامة أعطي العبد كتابه، وقيل له: ﴿ ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا ١٤ ﴾ الإسراء: ١٤، وهو كتاب شامل لجميع الأعمال كبيرها وصغيرها، قال ﷻ:

﴿ وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُشۡفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيۡلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَاۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرٗاۗ وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا ٤٩ ﴾ الكهف: ٤٩، ويُسلَّم المكلفون كتب أعمالهم يوم القيامة بأيمانهم، إذا كانوا من أهل اليمين في الحياة الدنيا، وهم الذين آمنوا وعملوا الصالحات، أو بشمائلهم ومن وراء ظهورهم إذا كانوا من أصهل الشمال في الحياة الدنيا، وهم الذين كفروا وعملوا السيئات، قال ﷻ: ﴿ فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ٧ فَسَوۡفَ يُحَاسَبُ حِسَابٗا يَسِيرٗا ٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورٗا ٩ وَأَمَّا

﴿مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾﴾ الانشقاق: ٧ - ١٢

خامساً: الحساب والجزاء:

بعد البعث يجمع الله ﷻ الناس؛ ليحاسبهم على أعمالهم، فتُخبر الأرض بما حصل عليها، ويشهد اللسان واليدين والرجلين والجلد بما عمل به صاحبه، قال ﷻ:

﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾﴾ النور: ٢٤

ويكون الناس حُفاة عُراة، ويكون نبي الله إبراهيم عليه السلام أول من يُكسى من الخلائق، وتأتي الملائكة بالكُتب التي سجّلتها على الناس في الدُنيا؛ لتعرِضَ كُلَ كتاب على صاحبه، وقد سُجِّل فيه كُلّ حركة وفعل قام به الشخص، ومن الناس من يأخذ كتابه بيمينه وهم أصحاب الجنّة، ومنهم من يأخُذه بشماله وهم أصحاب النار، ثُمّ توزّن هذه الصحف بما فيها من أعمال، ويكون الجزاء حسب وزن أعماله، قال ﷻ: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ المؤمنون: ١٠٢ - ١٠٣، والله ﷻ هو من يتولى حساب الناس دون حجاب أو واسطة، فالمؤمن لا يُناقش في حسابه؛ رحمةً به، وأمّا الكافر فيفضحه الله ﷻ؛ فينادي عليه أمام الناس جميعاً بكذبه وظُلمه، ويكون المؤمن فرحاً مسروراً بما قدّم، ويكون حسابه يسيراً، وأمّا الكافر فيُصاب بالذُل، ويلجأ إلى إنكار ما هو موجود في كتابه؛ فتتوقف ألسنتهم عن الكلام وتتكلم أعضائه بما عمل بها من حرام، فيكون حسابه شديداً عسيراً.

سادساً: الميزان:

يُعد الميزان من القضايا الخطيرة التي يجب على المؤمن الإيمان بها، وقد جاء ذكره في قوله ﷻ: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ الأنبياء: ٤٧ ، ويُعدّه الله –ﷻ، ليوزن به أعمال العباد، أو لتوزن به صُحفهم، أو ليوزن به العبد، ولا يُعلم مقداره إلا الله ﷻ، ومما جاء عن عظمته أنّه يوزن السماوات والأرض، فمن كانت حسناته أكثر من سيئاته فقد فاز ودخل الجنة، ومن كانت سيئاته أكثر فقد خسر، ومن تساوت حسناته وسيئاته فهو من الأعراف يكون بين الجنة والنار، وبعد الميزان يقف الناس حسب تشابه أعمالهم؛ فالظالم مع الظالم، والكاذب مع الكاذب، قال ﷻ في ذلك: ﴿ ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ ﴾ الصافات: ٢٢ - ٢٣، ثُم يُقام لواءٌ لكلّ نبي؛ لتقف كُلّ أُمّة تحت لواء نبيّها، وبعدها يحجب الله ﷻ النور عن الناس، فيمشي كُل شخص بما معه من نور عمله، فيضرب السور بين المؤمن والمنافق فلا يرى المنافق شيئاً لشدّة الظُلمة فيقع في جهنم.

سابعاً: الحوض:

يكون لكلّ نبي يوم القيامة حوض خاصّ به وبأُمّته، ويكون قبل الصراط؛ لما يعانيه الناس من العطش في أرض المحشر، ويَرِدُ الناس إلى حوض النبي ﷺ وتطرد الملائكة

بعضهم عنه بسبب ردّتهم، ويكون ماؤه من نهر الكوثر الذي في الجنّة، ومن يشرب منه لا يعطش بعد ذلك أبداً، والشرب بعدها يكون بقصد التلذذ.

صفات حوض:

1. لون ماء الحوض أبيض من اللبن، قال رسول الله ﷺ: "ماؤه أشد بياضاً من اللبن"[1]

2. طعم ماء الحوض أحلى من العسل وريحه أحلى من المسك، قال رسول الله ﷺ: "ماؤه أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل"[2]

3. طول الحوض وعرضه متساويان ومسيرته كشهر، قال ﷺ: "حوضي مسيرة شهر، وزواياه سواء"[3]

4. آنية الحوض كالنجوم من حيث العدد والهيئة، متلألأةً من شدة لمعانها، بدليل قول رسول الله ﷺ: "وكيزانه كنجوم السماء"[4][5]

5. مصبُّ الحوض يأتي من نهر الجنة فيه ميزاب ذهب وميزاب فضَّة، قال ﷺ: "فيها مزرابان ينثعبان من الجنة من ورق وذهب"[6]

ثامناً: الصراط:

يقف من اجتاز الصراط في ساحات الجنّة؛ ليُقتصّ لهم من بعضهم وليُزال الحقد من قلوبهم، وذلك ما يُسمى بالقنطرة، لقول النبي ﷺ: "يخلص المؤمنون من النار،

---

[1] رواه مسلم (4/ 1798)
[2] رواه مسلم (4/ 1798)
[3] رواه مسلم (4/ 1793)
[4] كنجوم السماء: المختار الصواب إن هذا العدد للآنية على ظاهره وأنها أكثر عدداً من نجوم السماء ولا مانع عقلي ولا شرعي يمنع من ذلك بل ورد الشرع به مؤكداً كما قال ﷺ: "والذي نفس محمد بيده لآنيته أكثر من عدد نجوم السماء"، **وقال القاضي عياض:** هذا إشارة إلى كثرة العدد وغايته الكثيرة من باب قوله ﷺ لا يضع العصا عن عاتقه وهو باب من المبالغة معروف في الشرع واللغة ولا يعد كذباً إذا كان المخبر عنه في حيز الكثرة والعظم ومبلغ الغاية.
[5] رواه مسلم (4/ 1793)
[6] صحيح ابن حبان (14/ 371)

فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار، فيقص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة، فوالذي نفس محمد بيده، لأحدهم أهدى بمنزله في الجنة منه بمنزله كان في الدنيا"[1]، وأوّل من يدخل الجنة بعد النبي ﷺ فقراء المهاجرين، ثُم فقراء الأنصار، ثُمّ فقراء الأمة، وأمّا الأغنياء فيؤخرهم الله ﷻ لمحاسبتهم، ويكون القصاص بين جميع الخلائق حتى الحيوانات؛ فيُقتصّ المظلوم من الظالم، سواءً كان مسلماً أو غير مسلم، ويُقتص للشاة التي لا قرون لها من الشاة صاحبة القرون، **قال ابن حجر:** "أنّه يُقتص للحيوانات من الإنسان الذي يجوّعها ويُحمّلها ما لا تُطيق"

تاسعاً: الشفاعة:

بيّن العُلماء أنّ الشفاعة العُظمى تكون للنبي ﷺ، وهي المقام المحمود الخاصّ به، وتكون عندما تقترب الشمس من المخلوقات بمقدار ميل حتى يغشاهم العرق، فيأتي الناس إلى آدم عليه السلام، وإلى نوح عليه السلام، وإلى إبراهيم عليه السلام، وإلى عددٍ من الأنبياء، وكُلهم يعتذر ويقول: نفسي نفسي، حتى يأتون إلى النبي مُحمد ﷺ فيقول: "أنا لها، فأستأذن على ربي، فيؤذن لي، ويلهمني محامد أحمده بها لا تحضرني الآن، فأحمده بتلك المحامد، وأخر له ساجداً، فيقول: يا محمد ارفع رأسك، وقل يسمع لك، وسل تعطَ، واشفع تشفع، فأقول: يا رب، أمتي أمتي"[2]، ويشفع لمن يشفع له في أرض المحشر؛ ليبدأ بعدها الحساب والعرض.

[1] رواه البخاري (8/ 111)
[2] رواه البخاري (9/ 146)، رواه مسلم (1/ 182)

عاشراً: الجنة والنار:

جعل الله ﷻ يوم القيامة الجنة والنار، حسب العمل، وهما من حيث العدد فُكلٌ منهما واحدة، ولكن جعل للجنّة درجات، وللنار دركات، وذلك حسب أعمال أهلهما، وبيان ذلك فيما يأتي:

➢ الجنة:

جاء ذكرها في القُرآن الكريم وفي السنّة النبويّة بصيغة الجمع؛ للدلالة على عِظمها، ونوعها، ودرجاتها، وليس من باب أنها أكثر من واحدة، ولم يأتي دليلٌ صريحٌ ببيان عدد درجاتها، ولكن ذهب بعض العُلماء كالخطابي إلى أنها بعدد آيات القُرآن، وأعلى وأفضل درجاتها الفردوس وهذا معلومٌ باتّفاق، وقد جاء في بعض الأحاديث بيانٌ لبعض الأعمال التي تُدخل الجنّة وتثبت درجاتها، **ومن الأعمال التي تدخل الجنّة** الإيمان بالله ﷻ وتصديق أنبيائه عليهم السلام، قال النبي ﷺ: "إن أهل الجنة يتراءون أهل الغرف من فوقهم، كما يتراءون الكوكب الدري الغابر في الأفق، من المشرق أو المغرب، لتفاضل ما بينهم، قالوا يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم، قال: "بلى والذي نفسي بيده، رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين"[1]، ومن هذه الأعمال أيضاً الجهاد في سبيل الله ﷻ، وكذلك الإنسان الصادق في دعائه بتحصيل الشهادة، والمنفق في سبيل الله ﷻ، وكلّهم لهم الدرجات العالية، ومن ذلك أيضاً إسباغ الوضوء، وإكثار المشي إلى المساجد، وانتظار الصلوات، وكذلك حفظ القُرآن الكريم.

[1] رواه البخاري (4/ 119)

➢ النار

تختلف دركاتها بحسب أعمال الناس الذين يدخلونها، ولكنّ المنافقين يكونون في أسفل درجة منها، وتُسمى بالدرك الأسفل، قال ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ ﴾ النساء: ١٤٥، وأسهل دركاتها من يكون له حذاءين من نار يغلي منهما دماغه، قال ﷺ: "إن أهون أهل النار عذاباً من له نعلان وشراكان من نار، يغلي منهما دماغه كما يغل المرجل، ما يرى أن أحداً أشد منه عذاباً وإنه لأهونهم عذاباً"[1]

ثامناً: أثر الإيمان باليوم الآخر في حياة المسلم:

1. زيادة إيمان العبد وجعله من المتقين، فإن الإيمان باليوم الآخر والإكثار من ذكره دليل على إيمان العبد في قلبه وعلامة على تقواه.

2. الاستعداد التام والتهيؤ الكامل لهذا اليوم العظيم، ومواقفه العظيمة، فمصيره متعلق بهذا اليوم، فالعبد سوف يقف بين يدي الله ﷻ، سوف يحاسب ويعاقب، وسوف يعبر الصراط، وغير ذلك من الأحداث العظيمة.

3. استشعار مراقبة الله ﷻ، فيما يصدر منه من أقوال وأفعال، ومراجعة تصرفاته وسلوكياته.

4. المداومة على الإكثار من الطاعات والأعمال الصالحة، فالإيمان باليوم الآخر يجعل العبد أكثر إقبالاً على الله ﷻ خوفاً ورهبة منه، ورجاءً وطمعاً لنيل رحمته ﷻ في ذلك اليوم العظيم، والفوز بالثواب والأجر.

---

[1] رواه مسلم (1/ 196)

5. الحذر من ارتكاب الذنوب والمعاصي، والتوبة إلى الله ﷻ والرجوع إليه، وضبط النفس عن الشهوات، وعدم التعلق بالدنيا وملذاتها، فكل هذا ما هو إلا متاع الحياة الدنيا الزائل، قال ﷻ: ﴿ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ ﴾ التوبة: ٣٨

6. إيثار الآخرة على الدنيا، فالمؤمن باليوم الآخر يعرف ما أعده الله ﷻ للمؤمنين من النعيم، وما أعد للكافرين من العذاب، فسيعمل جاهداً حتى يفوز في الآخرة.

7. توجيه حياة المسلم واستقامتها، فيحرص المؤمن باليوم الآخر على الالتزام بأوامر الله ﷻ واجتناب نواهيه، فتكون حياته مستقيمة متوازنة بما شرع الله ﷻ.

8. الرضا بقضاء الله ﷻ وقدره، والصبر على الابتلاءات والمصائب التي تحدث له في الحياة الدنيا، فالمؤمن باليوم الآخر يوقن أن الله ﷻ سيعوضه خيراً في الآخرة.

9. أن الإيمان باليوم الآخر من علامات الصدق والتقوى، قال ﷻ: ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴿١٧٧﴾ ﴾ البقرة: ١٧٧

10. الزهد في الدنيا، وذلك حين يعلم المسلم حق العلم أن وراء هذه الدنيا داراً أخرى يحصل فيها الجزاء والحساب وفيها المنتهى إما إلى الجنة أو النار، فتزهد نفسه في هذه الدنيا الفانية المليئة بالمكدرات والمشاق والمتاعب.

11. إيثار الآخرة على الدنيا، والصبر على الشدائد، فإن مصائب الدنيا وشدائدها ومرارة العيش وشظفه، ولهفة النفس على المغريات كل ذلك من البلاء الذي يتعرض

له الإنسان، فالمؤمن يستعين على ذلك بالله ﷻ، ويعلم أن ما عند الله ﷻ خير وأبقى، فيكون إيمانه باليوم الآخر حافظاً له ومعيناً، قال ﷻ: ﴿ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾ ﴾ الأعلى: ١٦ - ١٧

12. التأني في الأعمال والأقوال، فإن المؤمن باليوم الآخر الذي يعلم أنه سيحاسب على كل شيء، سوف يتأنى ويتروى في أعماله وأقواله، فلا يعمل ولا يقول إلا خيراً.

13. الإكثار من العمل الصالح، فإن الذي يعلم ما يحدث في ذلك اليوم العصيب، وأنه لا ينجيه إلا العمل الصالح، سيبادر إليه بكل أنواعه من صلاة وصيام وصدقة ومعاملة حسنة للناس.

14. التهيُّؤ الكامل والاستعداد لهذا اليوم العظيم وما فيه من أهوال وأحوال، وما تنتهي به حالُ النّاس من خلود في الجنة أو في نار جهنم فيحرِص العبدُ على السَّعيِ لما هو خير والابتعاد عن كلِّ ما يضرُّه ولا ينفعُه.

15. ضبْطُ النفْسِ عن الشَّهَوات، ومنْعُها من الوقوع بالمعاصي والآثام والذُّنوب، بالابتعاد عن الانغماس بمُلْهيات الحياة رهبةً وخشيةً لله ﷻ ممّا يؤثِّرُ إيجاباً على حياةِ العبد فيحظى بالحياة الكريمة الطَّيِّبة في طاعة الله ﷻ.

تاسعاً: ثمرات الإيمان باليوم الآخر:

يجب على كل مسلم الإيمان بأركان الإيمان الستة إيمانًا جازمًا، وللإيمان ثمراته في الدنيا والآخرة، ومن أركان الإيمان هو الإيمان باليوم الآخر الذي له من الثمرات الكثير في دنيا الإنسان وآخرته، ومن هذه الثمرات ما يأتي:

1. الثواب الكبير والأجر العظيم، فالإيمان باليوم الآخر هو الإيمان بالغيبيات الذي وعد الله ﷻ من يؤمن بها بالفوز والفلاح في الدنيا والآخرة.

2. العمل الصالح والاجتهاد في الطاعات وفق ما شرع الله ﷻ، وذلك بغية تثقيل الميزان بالحسنات، وحطّ السيئات والخطايا.

3. الحذر من ارتكاب المعصية، واتباعها بالتوبة النصوح في حال ارتكابها، وذلك خوفًا من العقوبة في يوم الحساب.

4. التسلية عن قلب المؤمن في كلّ ما لا يستطيع الحصول عليه في هذه الدنيا لما يتمناه ويرجو الوصول إليه من العاقبة الحسنة في الآخرة.

5. الاهتمام بأحوال القبر والبرزخ، وذلك بأخذ أسباب الثبات عند فتنة القبر، وذلك بالإخلاص في توحيد الله ﷻ، والعمل بما تأمر به الشريعة الإسلامية واتباع سنة رسول الله ﷺ، والحذر الشديد من الضلال والعذاب المترتب عليه.

6. زيادة إقبال العبد على الطاعات، قال ﷻ: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ۝٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٥﴾ البقرة: ١ - ٥، فقد علّق الله ﷻ حصول الفوز والفلاح بإيمان العبد بالأمور الغيبيّة، ومنها اليوم الآخر الذي خصّه الله ﷻ بالذّكر بياناً لأهميّته الكبيرة ولأثره العظيم على سلوك المسلم.

7. الحرص على الاستعداد لليوم الآخر، حرص العبد على الزيادة من الأعمال الصالحة، وتجنّب الأعمال المنكرة، وزيادة استعداده لهذا اليوم العظيم، قال ﷻ:

﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ ﴾ النازعات: ٣٧ - ٣٩، والاستعداد لمواقف اليوم الآخر؛ من الوقوف للحساب أمام الله ﷻ، وعبور الصراط، وتطاير الصحف، وغيرها، والتأثّر والخشية عند ذكر الآخرة، والرجوع والتوبة إلى الله -ﷻ.

8. تحقيق التقوى، فمراقبة العبد لأفعاله وأقواله، ومراجعة نفسه عليها، فلا يصدر منه إلّا الخير في سلوكه وتصرّفاته، والإيمان باليوم الآخر يجعل المسلم أكثر إقبالاً على الطاعات، وأكثر خوفاً ورهبةً من الله ﷻ، وأكثر رجاءً في ثوابه ورضاه، وتذكّر هذا اليوم سببٌ في مواساة الإنسان مما يقع به من المصائب، فيرجو التعويض من الله ﷻ بنعيم الآخرة وجنّتها، ويحفزّ عنده الصبر على ما يصيبه، والطمع بالأجر على ذلك.

9. محبَّة ما يحبُّه الله ﷻ من الأشخاص والأماكن والأقوال والأعمال والأحوال؛ لكَوْن ذلك عَوْنًا على الأعمال الصالحة وممَّا يُثاب عليه المرءُ في الآخِرة، وكراهة ما يكرَهُه الله ﷻ من هذه الأمور والبُعد عنها؛ لكونها من أسباب المخالَفة وممَّا يُعاقَب عليه المرء في الآخِرة.

10. أن العبد إذا علم أنه على موعد للإنصاف، وانتصار الحق، وخذلان الباطل، فإن هذا يكون له أثر كبير في تهذيب غرائزه الإنسانية، وتوسيع آفاق الحياة أمامه، فالإنسان إذا استشعر أن عمله محسوب عليه، وأنه مسؤول عنه خيراً أو شراً يكون ذلك كابحاً عن التمادي في الغي، وتنبيهاً لغرائزه أن تقف عند حدّ.

الفصل السادس
الإيمان بالقضاء والقدر

أولاً: تعريف الإيمان بالقضاء والقدر:

قد ذهب أهل العلم في تفسير معنى القضاء والقدر إلى عدة تعريفات فمنهم من قال بالفرق بين القضاء والقدر ومنهم من جمع بينهما، منها:

القدر: هو علم الله ﷻ وإدراكه وإعجاز مخلوقاته وتسخير كل شيء بما تكون عليه الدنيا والأحوال في المستقبل.

القضاء: هو تقدير الله ﷻ للأشياء والحوادث حسب علمه وإرادته وتيسيره للأمور.

وقال الطحاوي في تعريفه للقضاء والقدر: "أن هذه الدنيا تسير بمشيئة الله ﷻ النافذة على عباده فلا غالب لأمر الله ﷻ إلا هو"

القضاء والقدر: هو تقدير الله ﷻ للأمور من القِدَم، وعلمه بوقوعها ومآلها في أوقات معلومة عنده ﷻ على الصفات التي شاء أن تكون، وإرادته لها وكتابته له، والرضى والتسليم لله ﷻ في كل ما قدر وقضى سواء كان خيراً أو شراً.

ثانياً: حكم الإيمان بالقضاء والقدر:

لا يؤمن المرء ولا يصح إسلام المؤمن إلا بالإيمان بالقضاء والقدر، فما ورد عن رسول الله ﷺ في إجابة جبريل عليه السلام عن معنى الإيمان أنه قال: "ما الإيمانُ؟ قالَ: "أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره"[1]، وعلى ذلك فإن الإيمان بالقضاء والقدر واجب.

[1] رواه مسلم (1/ 36)

ثالثاً: أهمية الإيمان بالقضاء والقدر:

1. الإقدام على عظائم الأمور:

يعد الإيمان بالقدر في حياة المؤمن أقوى حافز للعمل الصالح والإقدام على عظائم الأمور بثبات وعزم وثقة، وظهرت الصورة الصحيحة للإيمان بالقدر في حياة الأجيال الأولى للمسلمين والتي صنعت العجائب التي سجلها التاريخ، والتي استطاعت تثبيت الدعوة في الأرض وانتشارها على نطاق واسع في فترة زمنية وجيزة، وهي التي أقامت هذا البناء الشاهق في مختلف ميادين الحياة.

2. القضاء على التواكل والكسل:

لقد فهم بعض الناس من معنى أنه لا يحدث في الكون إلا ما يريده الله ﷻ، أنه لا حاجة للإنسان أن يعمل، فإن قدر الله ﷻ ماض سواء عمل الإنسان أو لم يعمل، فلا ضرورة للكد في طلب الرزق لأن: ما لك سوف يأتيك، ولا ضرورة للنشاط والحركة لأنها في اعتقادهم ضد التوكل الصحيح، كما فهموا من معنى التسليم لقدر الله ﷻ القعود عن تغيير ما أصاب الإنسان من فقر أو مرض أو جهل أو حتى معصية، لأن كل ذلك مقدر من عند الله ﷻ فلا ينبغي مقاومته إنما ينبغي الاستسلام له، لكن هذا التواكل وهذه السلبية ليست من الإسلام في شيء، وإلا فلو كانت من الإسلام، فكيف غابت عن الرسول ﷺ وعن أصحابه رضي الله عنهم الذين تلقوا عنه المفاهيم الصحيحة لهذا الدين.

3. الثبات في مواجهة الطغيان:

فهو يهب صاحبه ثباتًا ورسوخًا في مقاومة الباطل ومواجهة الظلم والطغيان، وإنكار المنكر، لا يهاب فرعوناً متألهاً ولا طاغوتاً متجبراً، وذلك أن الناس عادة يخافون على أمرين نفيسين عندهم وهما: العمر والرزق، فالعمر محتوم، والرزق مقسوم، ولهذا وقف المؤمنون في وجه الطغاة والجبارين، ولم يعبأوا بجبروتهم ولم يهنوا أمام قوتهم وطغيانهم.

4. الصبر عند نزول المصائب:

فالمؤمن بالقدر لا يسيطر عليه الجزع، والفزع، ولا يستبد به السخط والهلع، بل يستقبل مصائب الزمن بثبات، كثبات الجبال فقد استقر في أعماقه، قول الله ﷻ: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ٢٢ لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ ٢٣ ﴾ الحديد: ٢٢ - ٢٣، فيعد الإيمان بالقدر من أعظم الأدوية التي تعين المؤمن على الشدائد والمصائب والبلايا، فهو ثمرة من أعظم ثمرات الإيمان بالقدر، وكان رسول الله ﷺ يعزز في نفوس أفراد الأمة الإسلامية هذا الإيمان ويرشدهم ويعلمهم كيف يتعاملوا مع المصائب والشدائد، فعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما، قال: "كنا عند النبي ﷺ فأرسلت إليه إحدى بناته تدعوه وتخبره أن صبياً لها أو ابناً لها في الموت، فقال

للرسول: أرجع إليها فأخبرها أن لله ما أخذ وله ما أعطى وكل شيء عنده بأجل مسمى، فمرها فلتصبر ولتحتسب"[1]

5. الرضا والقناعة بما قسمه الله ﷻ:

رضا المؤمن بما قسم الله ﷻ، وقناعته بما رزق الله ﷻ، وهذه ثمرات طيبة في نفسية المؤمن وحياته، والرضا والقناعة تتجلى في القلب، فمن الناس من لو أوتي وادياً من ذهب لابتغى ثانياً، ولو أوتي ثانياً لتمنى ثالثاً، ومثله كجهنم يقال لها: هل امتلأت؟ وتقول: هل من مزيد؟

لذلك على المؤمن ألا يتطلع إلى ما ليس في وسعه وليس من شأنه ويرضى بما وهب الله ﷻ له مما لا يستطيع تغييره وفي حدود ما قدر له يجب أن يكون نشاطه وطموحه، وذلك كتمني الشيخ أن يكون له قوة الشباب، وتطلع المرأة الدميمة إلى الحسناء في غيرة وحسد، وطموح البدوي الذي يعيش في أرض فقراء بطبيعتها إلى رفاهية الحياة وأسباب النعيم.

6. السكينة وهي راحة القلب والنفس:

تعد السكينة هدف منشود، فكل من على وجه الأرض يبتغيها ويبحث عنها، وإنك لتجد عند خواص المسلمين من العلماء العاملين، والعباد القانتين المتبعين، من سكون القلب وطمأنينة النفس ما لا يخطر على بال ولا يدور حول ما يشبهه خيال، فلهم في ذلك الشأن النصيب الأوفى، فهذا أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه يقول: "أصبحت ومالي سرور إلا في مواضع القضاء والقدر"[2]

---

[1] رواه البخاري (9/ 115)، رواه مسلم (2/ 635)
[2] جامع العلوم والحكم لابن رجب (1/ 487)

ثالثاً: فوائد الإيمان بالقضاء والقدر:

أولاً: الرضا واليقين بالعوض، قَالَ ﷻ: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾ التغابن: ١، **قال ابن كثير:** "أي: ومن أصابته مصيبة فعلم أنها بقضاء الله ﷻ، وقدره فصبر، واحتسب، واستسلم لقضاء الله ﷻ، هدى الله ﷻ قلبه، وعوضه عما فاته من الدنيا هدًى في قلبه، ويقينًا صادقًا، وقد يخلف عليه ما كان أُخذ منه، أو خيرًا منه"[1]، قال ابن عباس رضي اللهُ عنهما: "يهد قلبه لليقين، فيعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه"[2]، وقال علقمة رضي الله عنه: "هو الرجل تصيبه المصيبة، فيعلم أنها من عند الله ﷻ، فيرضى ويسلم "[3]، وعن صهيب رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: "عجباً لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر، فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء، صبر فكان خيراً له"[4]، قال سعيد بن جبير رضي الله عنه:"﴿ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ﴾ يسترجع، يقول: ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ ﴾ البقرة: ١٥٦ " ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ

ثانياً: انشراح الصدر، وسعادة القلب، وطمأنينة النفس، وراحة البال، قال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: "أصبحت ومالي سرور إلا في مواضع القضاء والقدر"[6]، قال ﷻ:

---

[1] تفسير ابن كثير (8/ 137)
[2] تفسير الطبري (23/ 421)
[3] تفسير ابن كثير (8/ 138)
[4] رواه مسلم (4/ 2295)
[5] تفسير ابن كثير (8/ 138)
[6] جامع العلوم والحكم لابن رجب (1/ 487)

﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ التوبة: ٥١

ثالثاً: الحصول على الأجر الكبير، قال ﷻ: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ البقرة: ١٥٥ - ١٥٧، قال عمر بن الخطاب ﷺ: "نعم العدلان، ونعمت العلاوة؛ ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ﴾ فهذان العدلان، ﴿ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ هذه العلاوة، وهي ما توضع بين العدلين وهي زيادة في الحمل، فكذلك هؤلاء أعطوا ثوابهم وزيدوا أيضًا"[1]

رابعاً: غنى النفس، فعن أبي هريرة ﷺ: أن النبي ﷺ قال: "وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس"[2]

خامساً: عدم الخوف من ضرر البشر، فعن ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال: "إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا

[1] تفسير ابن كثير (1/ 468)
[2] سنن الترمذي (4/ 551)

على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف"[1]

سادساً: الشجاعة والإقدام، فالذي يؤمن بالقضاء والقدر ويعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، وأن الأجل مقدر لا يزيد فيه حرص حريص، ولا يرده كراهية كاره، لا يهاب الموت، قال ﷻ: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ﴿١٤٥﴾ ﴾ آل عمران: ١٤٥، وقال ﷻ: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ الأعراف: ٣٤

سابعاً: عدم الندم على ما فات، والتحسر على الماضي، فعن أبي هريرة ﷺ: أن النبي ﷺ قال: "المؤمن القوي، خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء، فلا تقل لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان"[2]

ثامناً: أن الخيرة فيما اختاره الله ﷻ، فقد يقدر على المؤمن مصيبة فيحزن ولا يدري كم من المصالح العظيمة التي تحصل له بسببها وكم صُرف عنه من شرور، والعكس كذلك، وصدق الله ﷻ إذ يقول: ﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ ﴿٢١٦﴾ ﴾ البقرة: ٢١٦

---

[1] سنن الترمذي (4/ 667)
[2] رواه مسلم (4/ 2052)

قال ابن عون: "ارضَ بقضاء الله ﷻ عَلَى ما كان من عسر ويسر؛ فإن ذلك أقل لهمك، وأبلغ فيما تطلب من أمر آخرتك، واعلم أن العبد لن يصيب حقيقة الرضا حتى يكون رضاه عند الفقر والبلاء كرضاه عند الغنى والرخاء، كيف تستقضي الله ﷻ في أمرك؟ ثم تسخط إن رأيت قضاءه مخالفًا لهواك! ولعل ما هويت من ذلك لو وفق لك لكان فيه هلاكك، وترضى قضاءه إذا وافق هواك وذلك لقلة علمك بالغيب! وكيف تستقضيه إن كنت ذلك؟ ما أنصفت من نفسك ولا أصبت باب الرضا"[1]

تاسعاً: النجاة من النار، فعن أُبي بن كعب ﷺ: رفعه إلى النبي ﷺ أنه قال: "لو أن الله عذب أهل سماواته وأهل أرضه، لعذبهم وهو غير ظالم لهم، ولو رحمهم، كانت رحمته لهم خيراً من أعمالهم، ولو أنفقت جبل أحد ذهباً في سبيل الله، ما قبله الله منك حتى تؤمن بالقدر، وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، ولو مت على غير ذلك، لدخلت النار"[2]

عاشراً: من الإيمان بالقدر الإيمان بكتابة المقادير قبل إيجادها، فإذا وُجِدت تبين مدى الإيمان بذلك، فَقَوِيُّ الإيمان لا يفرح بما أُوتي، ولا يحزن على ما فات، وعكسه بعكسه بهذا المعنى، وردت الآية الكريمة: ﴿ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ﴿٢٣﴾ ﴾ الحديد: ٢٣

[1] مجموع رسائل ابن رجب (3/ 147)
[2] مسند أحمد (35/ 465)

رابعاً: مراتب الإيمان بالقضاء والقدر:

الإيمان بالقدر له مراتب أربع ينبغي معرفتها وإدراكها وهي فيما يأتي:

المرتبة الأولى: العلم:

العلم هنا يعني إحاطة الله ﷻ بكل شيءٍ كان في السماوات وفي الأرض، فهو ﷻ يعلم ما كان ويعلم ما سيكون وما لم يكن كيف كان يمكن أن يكون، وعلِم أهل الجنة قبل أن يخلق الجنة، وعلِم أهل النار قبل أن يخلق النار، قال ﷻ: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ ﴾ الحشر: ٢٢

المرتبة الثانية: الكتابة:

يجب على كل مسلم الإيمان بأن الله ﷻ قد كتب المقادير كلها، ولم يفرّط من ذلك في شيء، قال ﷻ: ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ﴿٣٨﴾ ﴾ الأنعام: ٣٨، وقال ﷻ: ﴿ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ كِتَٰبًا ﴿٢٩﴾ ﴾ النبأ: ٢٩، ويدخل في كتابة المقادير خمسة أمور:

الأمر الأول: التقدير الأزلي وهو تقدير الله ﷻ الأمور قبل خلق السماوات والأرض.

الأمر الثاني: كتابة الميثاق، قال ﷻ: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ

﴿وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعۡدِهِمۡۖ أَفَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ١٧٣﴾ الأعراف: ١٧٢ - ١٧٣

الأمر الثالث: تقدير الأعمار والأرزاق في الرحم وتقدير النطفة قبل الخلق هل هو ذكر أم أنثى، وهل هو شقي أم سعيد، لا يزيد عن ذلك ولا ينقص.

الأمر الرابع: التقدير السنوي في ليلة القدر حيث تقدّر فيها الأمور إلى السنة التي تليها.

الأمر الخامس: التقدير اليومي وهو جعل الله ﷻ الأمور في وقتها الذي قدّر لها في وقتها، كإفراج الكرب، وغفران الذنب، قال ﷻ: ﴿يَسۡـَٔلُهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ ٢٩﴾ الرحمن: ٢٩

المرتبة الثالثة: المشيئة:

يجب الإيمان بمشيئة الله ﷻ النافذة التي لا رادّ لها، فما شاء الله ﷻ له أن يكون كان، أما عدم حصول الشيء فهو لأن الله ﷻ لم يشأ لهذا الشيء أن يكون، وليس لعجز منه ﷻ، قال ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعۡجِزَهُۥ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمٗا قَدِيرٗا ٤٤﴾ فاطر: ٤٤

المرتبة الرابعة: الخلق:

هو الإيمان بأن الله ﷻ خلق كل شيء، حيث خلقه من العدم، ولم يشاركه في ذلك أحد، فهو خالق العباد وأفعالهم، وخالق السماوات والأرض، ولا صغيرة ولا كبيرة

ولا متحرك ولا ساكن إلا هو خالقه ومقدّره ﷻ علواً كبيراً، قال ﷻ: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ٦٢ ﴾ الزمر: ٦٢

خامساً: الخوض بالعقل في مسائل القدر:

الإيمان بالقدر هو مقياس حقيقي لقوة ثبوت الإيمان ورسوخه، فمتى ثبت هذا الأساس ثبتت باقي أمور العقيدة، ولا شك أن موضوع القدر تم التساؤل والخوض فيه ما ليس في غيره، وتطاوَلت عليه العقول القاصرة والآراء الناقصة؛ من تأويلٍ خاطئٍ للآيات، ووضع بعض النصوص في غير محلّها في سبيل توفيقٍ ليس في محلّه، والأمر الصواب في هذا الأمر هو الإيمان والتصديق بأن الله ﷻ كما بيّن من الغيبيّات في كتابه وسنة نبيّه ﷺ ما لم نكن لنعلمه لولاه ﷻ، فهو أيضاً أخفى علينا أموراً استأثر عليها في علم الغيب عنده، فلا سبيل لمعرفة هذه الأمور إلا من خلال عالم الغيب والشهادة، ولا يسع المسلم إلا الإيمان بها والتسليم؛ لينتج عن ذلك قلباً ثابتاً مطمئناً بعيداً عن الاضطراب والشك، وبهذا تبرز أهمية هذا الركن في ثبات المؤمن في وجه أعداء الدين والمبلبلين بغير علم، فهو ثابتٌ لا يتأثّر بأي موجة عدوانية صدرت من كافرين أو منافقين، والناس في القدر على أنواع؛ فمنهم شرهم الذي يجعل القدر حجة لمعاصيه وذنوبه، ومدعاة لسخطه عند وقوع المصائب، وفي المقابل نجد خير الخلق الصابر على المصائب، والمستغفر من الذنوب، والمؤمن يعلم أن كل ما يصيبه هو من عند الله ﷻ فيرضى، كما قال ﷻ: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن

﴿مُّصِيبَةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ٢٢﴾ الحديد: ٢٢

سادساً: مقومات الإيمان بالقضاء والقدر:

يُبنى إيمان العبد بالقضاء والقدر على إيمانه بأسماء الله ﷻ وصفاته لا سيّما تلك التي تقوم عليها عقيدة الإيمان بالقضاء والقدر كصفتَي العِلم والقُدرة فقد قال ﷻ:

﴿يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ إِذۡنِهِۦۚ ٣﴾ يونس: ٣، وقال ﷻ:

﴿فَسُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٨٣﴾ يس: ٨٣، وحتى يكون إيمانه بالقضاء والقدر مُكتملاً لا بدّ أن يوقنَ ويُقرّ بأربعة مقوّمات يتحتّم على العبد أن يُدرك أهمية هذه المقوّمات التي يُعدّ الإخلال بأحدها إخلالاً بعقيدة القضاء والقدر، وهي التي يُراد بها العناصر والأركان والعوامل الأساسية التي يُبنى عليها إيمانه، وبيان هذه المقوّمات فيما يأتي:

المقاوم الأول: الإيمان بشمولية علم الله ﷻ:

فعلم الله ﷻ شامل ومحيط بكل شيء في هذا الوجود، فهو يعلم كيف كانت الموجودات وما سيكون عليه شأنها في المستقبل، ويعلم المعدوم لو كان كيف يكون، ويعلم الممكن والمستحيل من الأمور، وهناك العديد من الآيات القرآنية الدّالة على شمولية علم الله ﷻ، ومنها قوله ﷻ: ﴿لِّتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ١٢﴾ الطلاق: ١٢، وصور هذه الشمولية متعددة منها ما يأتي:

1. علم الله ﷻ بكل ما يتعلق بعباده من وقت آجالهم، وسعة أو ضيق أرزاقهم، وكدرة أو سعادة معيشتهم.

2. علم الله ﷻ بعباده الذين سيدخلون الجنّة ويَغمرهم نعيمها، وعباده الذين سيدخلون النار وذلك كله قبل خَلْقهم وخَلْق السماوات والأرض.

3. علم الله ﷻ بكذب الكفار الذين لن ينفكوا من تمنّي العودة إلى الدنيا يوم القيامة للإيمان به ﷻ وتصديق رسله عليهم السلام لقوله ﷻ: ﴿ وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ الأنعام: ٢٨

4. علم الله ﷻ بإعراض الكافرين عن الهدى والإيمان حتى لو أسمعهم وأراهم براهين وحدانيته لقوله ﷻ: ﴿ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ الأنفال: ٢٣

المقاوم الثاني: الإيمان بأنّ كل شيء مكتوب في اللوح المحفوظ:

هناك العديد من النصوص الشرعية التي دلّت على أنّ الله ﷻ كتب كل شيء في اللوح المحفوظ إلى يوم القيامة فمن القرآن الكريم قوله ﷻ: ﴿ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ البروج: ٢١ - ٢٢، ومن السنة النبويّة قول رسول الله ﷺ: "إن أول ما خلق الله القلم، فقال: اكتب، فقال: ما أكتب؟ قال: اكتب القدر ما كان وما هو كائن إلى الأبد"[1]، ولا بدّ من الإشارة إلى أنّ الله ﷻ سمّى اللوح المحفوظ بعدّة أسماء منها: الكتاب، أمّ الكتاب، الكتاب المبين، الإمام المبين، لقوله

[1] سنن الترمذي (4/ 457)

ﷻ: ﴿ وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ ﴿١٢﴾ ﴾ يس: ١٢، والكتاب المسطور لقوله ﷻ: ﴿ وَٱلطُّورِ ﴿١﴾ وَكِتَٰبٖ مَّسۡطُورٖ ﴿٢﴾ ﴾ الطور: ١ - ٢

المقام الثالث: الإيمان بنفاذ مشيئة الله ﷻ وإرادته في كل شيء:

مشيئة الله ﷻ وإرادته نافذة في كل شيء في هذا الوجود، فما أراده الله ﷻ يكن وما لم يرده لم يكن، سواءً كان ذلك في أفعاله ﷻ من خلقٍ وتدبيرٍ وإحياءٍ وإماتةٍ دلّ على ذلك قوله ﷻ: ﴿ وَرَبُّكَ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخۡتَارُۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ القصص: ٦٨ ، أو كان في أفعال العباد وأقوالهم وأحوالهم دلّ على ذلك قوله ﷻ: ﴿ وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ﴿١١٢﴾ ﴾ الأنعام: ١١٢

المقام الرابع: الإيمان بوحدانية الله ﷻ في خلق كل شيء:

لا بدّ من الإشارة إلى أنّ الإيمان الكامل بهذا المقوّم يستلزم أمرين:

الأمر الأول: أن يؤمن العبد بأنّ الله ﷻ خلق كل شيء في السموات وفي الأرض، فخلق العامل وعمله، والمتحرك وحركته، والساكن وسكونه، وقد دلّ على ذلك العديد من الآيات القرآنية منها قوله ﷻ: ﴿ قَالَ أَتَعۡبُدُونَ مَا تَنۡحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ الصافات: ٩٥ - ٩٦ ، وقوله ﷻ: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ ﴿٦٢﴾ ﴾ غافر: ٦٢

الأمر الثاني: أن يؤمن العبد بوحدانيته ﷻ وانفراده في الخلق والتدبير لقوله ﷻ:

﴿ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾ ﴾ الرعد: ١٦، ومن الأحاديث النبويّة الدّالّة على وحدانيته ﷻ في الخلق والتدبير قول رسول الله ﷺ: "اللهم آت نفسي تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها"[1] ، وفي ذلك إشارة إلى أنّه لا أحد يملك تزكية النفس وتطهيرها من الشر والرذائل بإرشادها للخير والفلاح والصلاح إلّا الله ﷻ.

سابعاً: حكم الاحتجاج بالقضاء والقدر في ترك ما أمر الله ﷻ به:

الاحتجاج بالقدر على المصائب جائز، وكذلك الاحتجاج بالقدر على المعصية بعد التوبة منها جائز، وأما الاحتجاج بالقدر على المعصية تبريراً لموقف الإنسان واستمراراً فيها فغير جائز، **قال ابن تيمية:** " وليس لأحد أن يحتج بالقدر على الذنب باتفاق المسلمين وسائر أهل الملل وسائر العقلاء؛ فإن هذا لو كان مقبولاً لأمكن كل أحد أن يفعل ما يخطر له من قتل النفوس وأخذ الأموال وسائر أنواع الفساد في الأرض ويحتج بالقدر، ونفس المحتج بالقدر إذا اعتدي عليه واحتج المعتدي بالقدر لم يقبل منه بل يتناقض وتناقض القول يدل على فساده؛ فالاحتجاج بالقدر معلوم الفساد في بداية العقول"[2]

1. لا يصح الاحتجاج بالقدر في ترك ما أمر الله ﷻ به أو فعل ما نهى عنه بدليل أن الله ﷻ أنكر على المشركين احتجاجهم على شركهم بالقدر، فنفى الله ﷻ عنهم العلم فيما ادعوه ووصف قولهم بالظن والتخرص ولو كان لهم حجة في القدر ما أذاقهم الله ﷻ بأسه.

---

[1] رواه مسلم (4/ 2088)
[2] مجموع الفتاوي لابن تيمية (8/ 179)

2. أن الله ﷻ أقام الحجة على العباد بأن بين طريق الخير وأمرهم به وأقدرهم على فعله ووعدهم بالجزاء الحسن.

3. أن الله ﷻ أمر العبد ونهاه ولم يكلفه إلا ما يستطيع ولو كان العبد مجبراً على الفعل لكان مكلفاً بما لا يستطيع الخلاص منه وهذا باطل ولذلك فإن العبد يعذر إذا وقعت منه المعصية بجهل أو نسيان أو إكراه.

4. أننا نرى أن الإنسان يحرص على ما يلائمه من أمور دنياه وصالحة الشخصية حتى يحصله ولا يعدل عنه الى ما لا يلائمه فلماذا يترك ما ينفعه في أمور دينه ويفعل ما يضره ثم يحتج بالقدر.

ثامناً: الأخذ بالأسباب والإيمان بالقضاء والقدر:

كل ما في الكون مكتوب مسجل:

أن كل ما في الكون مكتوب مسجل، فهذا معلوم من الدين بالضرورة ولا شك فيه، وإن كنا لا نعلم كيفية الكتابة، وماهية الكتاب، وكل الذي نعلمه أن الله ﷻ قد أبدع هذا الكون بأرضه وسمائه، وجماداته وأحيائه، على وفق تقدير أزلي عنده، وأنه أحاط بكل شيء علمًا، وأحصى كل شيء عددًا، وأن كل ما يحدث في هذا الكون العريض يحدث وفق علمه وإرادته ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾﴾ يونس: ٦١ - ٦٥، ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ الأنعام: ٥٩، ﴿مَآ أَصَابَ مِن

مُّصِيبَةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴿٢٢﴾ الحديد: ٢٢

الأخذ بالأسباب واجب:

هذا العلم المستوعب، والإحصاء الدقيق، والتسجيل الشامل للأشياء والأحداث قبل وقوعها لا ينافي الاجتهاد في العمل واتخاذ الأسباب: فإن الله ﷻ كما كتب المسببات كتب الأسباب، وكما قدر النتائج، قدر المقدمات فهو لا يكتب للطالب النجاح فحسب بحيث يصل إلى هذه النتيجة بأي وسيلة، ولكن يكتب له النجاح بوسائله من جد وحرص وانتباه ووعي وصبر وجلد إلى آخر هذه الأسباب، فهذا مقدر مكتوب، وهذا مقدر مكتوب.

هل الأخذ بالأسباب ينافي القدر:

إن الأخذ بالأسباب لا ينافي القدر بل هو من القدر أيضا ولهذا حين سئل النبي ﷺ عن الأدوية والأسباب التي يتقي بها المكروه، هل ترد من قدر الله ﷻ شيئًا، كان جوابه الفاصل: "هي من قدر الله"[1]، ولما انتشر الوباء في بلاد الشام قرر عمر بن الخطاب ﷺ بمشورة الصحابة ﷺ العدول عن دخولها، والرجوع بمن معه من المسلمين، فقيل له: أتفر من قدر الله يا أمير المؤمنين ؟ قال: نعم، نفر من قدر الله إلى قدر الله، أرأيت إن نزلت بقعتين من الأرض، إحداهما مخصبة والأخرى مجدبة، أليس إن رعيت المخصبة رعيتها بقدر الله، وإن رعيت المجدبة رعيتها بقدر الله"[2]

[1] صحيح ابن حبان (13/ 465)
[2] إحياء علوم الدين للغزالي (4/ 290)

القدر أمر مغيب مستور عنا:

فنحن لا نعرف أن الشيء مقدر إلا بعد وقوعه، أما قبل الوقوع فنحن مأمورون أن نتبع السنن الكونية، والتوجيهات الشرعية لنحرز الخير لديننا ودنيانا، إنما الغيب كتاب صانه عن عيون الخلق رب العالمين، ليس يبدو منه للناس سوى صفحة الحاضر حينًا بعد حين، وسنن الله ﷻ في كونه وشرعه تحتم علينا الأخذ بالأسباب كما فعل ذلك أقوى الناس إيمانًا بالله ﷻ وقضائه وقدره، وهو رسول الله ﷺ، فقد أخذ الحذر، وأعد الجيوش، وبعث الطلائع والعيون، وظاهر بين درعين، ولبس المغفر على رأسه، وأقعد الرماة على فم الشعب، وخندق حول المدينة، وأذن في الهجرة إلى الحبشة وإلى المدينة وهاجر هو بنفسه، واتخذ أسباب الحيطة في هجرته وأعد الرواحل التي يمتطيها، والدليل الذي يصحبه، وغير الطريق، واختبأ في الغار، وتعاطى أسباب الأكل والشرب، وادخر لأهله قوت سنة، ولم ينتظر أن ينزل عليه الرزق من السماء، وقال للذي سأله أيعقل ناقته أم يتركها ويتوكل: "اعقلها وتوكل"[1]، وقال ﷺ: "وفر من المجذوم كما تفر من الأسد"[2]، وقال ﷺ: "لا يوردن ممرض على مصح"[3]، أي لا يخلط صاحب الإبل المريضة إبله بالإبل السليمة، اتقاء العدوى.

الإيمان بالقدر لا ينافي العمل والسعي والجد في جلب ما نحب واتقاء ما نكره:

فليس لمتراخ أو كسلان أن يلقى على القدر كل أوزاره وأثقاله، وأخطائه وخطاياه، فهذا دليل العجز والهرب من المسئولية، **قال محمد إقبال**: "المسلم الضعيف يحتج

---

[1] صحيح ابن حبان (2/ 510)
[2] رواه البخاري (7/ 126)
[3] رواه البخاري (7/ 138)، رواه مسلم (4/ 1743)

بقضاء الله ﷻ وقدره، أما المسلم القوي فهو يعتقد أنه قضاء الله ﷻ الذي لا يرد، وقدره الذي لا يغلب"، وهكذا كان المسلمون الأولون يعتقدون، ففي معارك الفتح الإسلامي دخل المغيرة بن شعبة على قائد من قواد الروم فقال له: من أنتم ؟ قال: نحن قدر الله، ابتلاكم الله ﷻ بنا، فلو كنتم في سحابة لصعدنا إليكم، أو لهبطتم إلينا"، ولا ينبغي أن يلجأ الإنسان إلى الاعتذار بالقدر إلا حينما يبذل وسعه، ويفرغ جهده وطاقته، وبعد ذلك يقول: هذا قضاء الله.

فعن عوف بن مالك ﷺ أن النبي ﷺ قضى بين رجلين، فقال المقضي عليه لما أدبر: حسبي الله ونعم الوكيل، فقال رسول الله ﷺ: "ردوا علي الرجل"، فقال: "ما قلت": قال: قلت: حسبي الله ونعم الوكيل، فقال رسول الله ﷺ: "إن الله يلوم على العجز، ولكن عليك بالكيس، فإذا غلبك أمر فقل: حسبي الله ونعم الوكيل"[1]

تاسعاً: أدلة الإيمان بالقضاء والقدر من القرآن الكريم والسنة:

أولاً: الأدلة من القرآن:

1. قال ﷻ: ﴿ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ ﴾ القمر: ٤٨ - ٤٩

2. قال ﷻ: ﴿ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾ ﴾ الأحزاب: ٣٨

3. قال ﷻ: ﴿ لِّيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ﴿٤٤﴾ ﴾ الأنفال: ٤٤

[1] مسند أحمد (39/ 408)

4. قال ﷻ: ﴿ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾ ﴾ الفرقان: ٢

5. قال ﷻ: ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾ ﴾ الأعلى: ١ - ٣

6. قال ﷻ: ﴿ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾ ﴾ الأحقاف: ٣٣

7. قال ﷻ: ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ القصص: ٦٨

ثانياً: الأدلة من السنة:

1. عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، قال: وعرشه على الماء"[1]

2. قال رسول الله ﷺ: "اعملوا فكل ميسر لما خلق له، أما من كان من أهل السعادة فييسر لعمل أهل السعادة، وأما من كان من أهل الشقاء فييسر لعمل أهل الشقاوة"[2]

[1] رواه مسلم (4/ 2044)
[2] رواه البخاري (6/ 171)

3. قال رسول الله ﷺ: "لا يؤمن عبد حتى يؤمن بأربع: حتى يشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، بعثني بالحق، وحتى يؤمن بالبعث بعد الموت، وحتى يؤمن بالقدر"[1]

4. قال رسول الله ﷺ: "لا يدخل الجنة عاق، ولا مدمن خمر، ولا مكذب بقدر"[2]

عاشراً: ثمرات الإيمان بالقضاء والقدر:

للإيمان بالقضاء والقدر ثمرات وفوائد تبقى مع المسلم وهي:

1. سكينة للقلب والطمأنينة والراحة:

فعندما يعلم المسلم أن كل شيء بقدر الله ﷻ وأنه لا راد لفضله إلا هو، فلا يقلق مما سيصيبه ولا يقلق من مشاق الحياة؛ ويطمئن باله وتهدأ روحه، ولكن من لا يؤمن بالقدر يبقى في قلق، وعدم راحة وتفكير مستمر، وأحزان وهموم، فحينما يسلم المؤمن بقدر الله ﷻ، ويرضى بقضائه، فإن ذلك يؤدي إلى طمأنينة في قلبه، وهدوء في نفسه، ويسلم من الأمراض العصبية والعقد النفسية، ويتحقق حينئذ ما قاله ﷻ بعد أن بين أن كل ما يصيب الإنسان إنما هو مسجل في كتاب:

﴿ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ﴿٢٣﴾ ﴾ الحديد: ٢٣ ، فلا يجزع الإنسان عند المصائب، ولا يغتر بما يحقق من مكاسب، وإنما يصبر إن أصابته ضراء، فكان خيراً له، ويشكر إن أصابته سراء، فكان خيراً له وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن.

---

[1] مسند أحمد (2/ 152)، سنن الترمذي (4/ 452)
[2] مسند أحمد (45/ 477)

2. الثبات عند مواجهة المصاعب والأزمات:

فيبقى المسلم ثابتاً ولا تهزه الأزمات، فهو على يقين بأن قدر الله ﷻ نافذ، وأن هذه الحياة دار ابتلاء، وليست مستقر ومتاع.

3. الإيمان بالقضاء والقدر يحول المحن إلى منح والمصائب إلى أجر:

فمن أصابته محنة يعلم أنها بقدر الله ﷻ؛ يرضى ويسلم أمره لله ﷻ، ويصبر ويحتسب؛ فيهدي الله ﷻ قلبه ويعوضه عن صبره أجراً، في الدنيا والآخرة.

4. يدفع الإنسان إلى العمل والجهاد:

فيبذل الإنسان نفسه ولا يهاب شيئاً؛ لأنه يعلم إذا جاء أجله لا يؤخر الله ﷻ نفساً إذا جاء أجلها.

5. يزيد الإنتاج والثراء:

فيعلم المؤمن أن رزقه بيد الله ﷻ، ولا أحد يضره ولا ينفعه، فإنه يتوكل على الله ﷻ ولا يتواكل، ويبذل جهوده في طريق الكسب والعطاء، وإذا تعرض لنكسة لا يجلس بل يستمر؛ ولا يقطع باب الأمل والرجاء من الله ﷻ، ولا يرمي باللوم على نفسه والآخرين، بل يقول قدر الله ﷻ وما شاء فعل، والحمد لله دائماً وأبداً.

6. عدم اليأس والقنوط:

ولا يكون التسليم بالقدر إلا بعد أن يبذل الإنسان وسعه في سلوك الطرق المؤدية إلى الخير، وإذا لم يصل الإنسان إلى ما يهدف إليه فعليه أن يقول: "قدر الله وما شاء فعل"، كما قال رسول الله ﷺ: "المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير، احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز وإن أصابك

شيء فلا تقل: لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل قدر الله وما شاء فعل، فإن "لو" تفتح عمل الشيطان"[1]

7. حصول اليقين في القلب:

لن يجد المسلم طعم الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، كما قال عبادة بن الصامت ﷺ لابنه، وبعد أن يوقن بما قاله رسول الله ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما: "واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف"[2]

8. الأخذ بالأسباب:

ليس معنى ذلك أن الإيمان بالقدر دعوة إلى القعود والتكاسل، وحث على الجبن والخور، انطلاقاً من أنه لا فائدة في إتعاب النفس بالأعمال ما دام كل شيء مقدراً من قبل، وإنما الصحيح أن الله ﷻ كما علم أسبابها، ونتائجها، وسائر أحوالها وربط الأسباب بمسبباتها، ومجموع ذلك هو القدر، فإذا علم الله ﷻ أمراً يسر له أسبابه الموصلة إليه في علمه، حتى يقع على الوجه الذي علمه، فالتوكل على الله ﷻ لا ينافي الأخذ بالأسباب، فحينما سئل النبي ﷺ فيم العمل؟ قال ﷺ: "إن أهل الجنة ميسرون لعمل أهل الجنة، وإن أهل النار ميسرون لعمل أهل النار"[3]، وهذه سنة رسول الله ﷺ ناطقة كلها بإتيان البيوت من أبوابها، وأخذ الأعمال بأسبابها: فقد لبس الرسول ﷺ الدروع في الحروب، وحفر الخندق، واستعمل العيون والحراس،

---

[1] رواه مسلم (4/ 2052)
[2] سنن الترمذي (4/ 667)
[3] المعجم الكبير للطبراني (22/ 168)

واستظهر بالحلفاء، واستعان بالأصحاب، وتداوى وأمر بالتداوي، وسعى وأمر بالسعي، وتعلم منه الفاروق عمر ﷺ حينما قيل له في مسألة الطاعون: "أفراراً من قدر الله؟ قال: نفر من قدر الله إلى قدر الله"[1]، فلو كان عمر ﷺ يفهم القدر كما حرفه الجهلاء لدخل قرية الطاعون وقال: لن يصيبنا إلى ما كتب الله لنا.

9. تفجير الطاقات الكامنة في الإنسان:

حينما التزم المسلمون الأوائل بعقيدة القدر، وفهموها حق فهمها، حققوا خلافة الله ﷻ في الأرض، وانطلقوا بالدين في كل الأرجاء، ففتحوا نصف الدنيا في نصف قرن أو كما **قال أحد المستشرقين**: "فتحوا في ثمانين سنة ما فتح الرومان في ثمانمائة عام، فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا، وما استكانوا"، فضربوا المثل العليا في الشجاعة والإقدام وكانت فتوحاتهم خيراً وبركة، حيث حققوا العدل، ونشروا السلام، واثبتوا بالوقائع العملية أن الإيمان بالقدر يؤدي إلى انطلاق قوى الإنسان وطاقاته، للتعرف على سنن الله ﷻ الكونية، واستخراج ما في الأرض من كنوز، والانتفاع بما في الكون من خيرات

10. تأدية عبادة الله ﷻ:

فإيمان العبد بالقضاء والقَدَر على النّحو الصّحيح ما هو إلّا تعبّدٌ لله ﷻ، فإيمان العبد بأنّ الله ﷻ وحده من يَملِك الخير والشر، والنفع والضر، والعطاء والمنع، وأنّ قضاءه وحُكمه نافذان لا محالة، ممّا يدفعه إلى إفراد الله ﷻ بسائر أفعاله من عبادةٍ ودعاء.

[1] رواه البخاري (7/ 130)، رواه مسلم (4/ 1740)

11. التّخلص من الحسد والحقد:

فالمؤمن بالقضاء والقدر يُدرِك أنّ الرزق بيد الله ﷻ يوسعه على مَن يشاء ويُضيقه على مَن يشاء ابتلاءً منه، وأنّ الحسد ما هو إلّا اعتراض على قدَر ومشيئة الله ﷻ

12. التّحلي بالشَّجاعة والإقدام:

وذلك لأنّ المؤمن بالقضاء والقدر يُدرك أنّ لحظة أجله لا يملكها إلّا الله ﷻ، وأنّ كل ما يُصيبُه ويَناله ما هو إلّا قَدَر الله ﷻ كتبه له.

13. التّحلي بالصبر:

فالمؤمن بالقضاء والقدر يواجه مشكلات الحياة وصعابها بالصّبر ويحتسب أجره على الله ﷻ، على خلاف من تنعدم لديه عقيدة القضاء والقدر فلا يجد مفرّاً من مصائبه إلا بصورة سلبية كالانتحار أو تعاطي المخدرات.

14. التّحلي بالتواضع والجود والكرم:

فالمؤمن بالقضاء والقدر يُدرك أنّ النِّعم التي مَنَّ الله ﷻ بها عليه من مالٍ أو جاهٍ أو علمٍ أو غير ذلك ما هي إلّا بمشيئته ﷻ وقدره يُكرمه بها أو يأخذها منه متى شاء.

15. التّحلي بالحزم والجدّ في تحصيل خيري الدنيا والآخرة:

وذلك لقول رسول الله ﷺ: "احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء، فلا تقل لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان"[1]

[1] رواه مسلم (4/ 2052)

16. التّحلي بالقناعة وعزّة النفس:

فالمؤمن بالقضاء والقدر يوقن أنّ أجَلَه لن يأتي حتى ينال كامل رزقه الذي قدّره الله ﷻ له في الدُّنيا، فيورِث ذلك في قلبه قناعة وعزة تمنعانه من النظر لما في أيدي الناس.

17. التّحلي بالهمّة العالية، والطمأنينة وراحة البال، واليقين بالله ﷻ:

والاستسلام له، وحسن الظّن به، والثقة برحمته وعفوه، والتّوكل عليه لقوله ﷻ:

﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا ﴿٥١﴾ ﴾ التوبة: ٥١، فالمؤمن بالقضاء والقدر لا يستسلم للواقع المؤلم مُعلّلاً ذلك بالقَدَر، بل يبذل قصارى جهده في تحسين الواقع وتقديم الأفضل بما يوافق الشرع والدِّين.

18. إخلاص العمل والقول لله ﷻ:

فالمؤمن بالقضاء والقدر يمتلئ قلبه يقيناً بأنّ الناس لن ينفعوه أو يضروه بشيء لم يُقدّره الله ﷻ له.

19. صيانة العقل من الأكاذيب والخرافات:

فالمؤمن بالقضاء والقدر يعلم أنّ الغيب لا يعلمه إلا الله ﷻ، فلا يُتعِب نفسَه وعقله بسماع أقوالِ وأكاذيبِ الكُهّان والعرّافين والمشعوذين.

20. شكر الله ﷻ:

فالمؤمن بالقضاء والقدر يعلم أنّ النعم التي تغمره من الله ﷻ وحده، وأنّ السوء الذي يُحيط به لن يدفعه ويصرفه عنه سواه ﷻ، فيوقِنُ أنّه وحده ﷻ المستحِق للحمْد والشكر، مما يؤدي إلى الثبات والاستقامة على الدِّين في السّراء والضّراء.

21. سيطرة مشاعر الرضا والفرح في القلب:

أمّا الرضا، فلِأنّ المؤمن بالقضاء والقَدَر يعلم أنّ الله ﷻ لا يُقدّر له إلّا كل خيرٍ ونفعٍ له فيرضى بتدبيره له، وأمّا الفرح فبسبب الإيمان الذي منّ الله ﷻ به عليه وحُرِم منه غيره لقوله ﷻ: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ يونس: ٥٨

22. امتلاء القلب ثقةً بانتصار الحقّ والمؤمنين:

فالمؤمن بالقضاء والقدر يوقن بأنّ الغلبة والنصرَ مهما اشتدّت الظروف وعلا الباطل ستكون للحقِّ لا محالة.

الخاتمة

إن أركان الإيمان هي السبب الرئيسي لصلاح النفس والمجتمع والأمم فهي تغرز في النفس العمل الدائم لفعل الخير والطاعات واستشعار مراقبة الله ﷻ والبعد التام عن المنكرات والمعاصي للفوز بجنات النعيم، كما وتعد الأسس الأساسية التي ترتكز عليها بناء المجتمع الإيمانية والعقيدة الإيمانية الصحيحة للمسلم؛ لأن هذه الأركان متعلقة باعتقادات المؤمن.

إن الايمان بالله ﷻ يجب أن نؤمن بوجوده ونؤمن أنه متفرد في ذاته وكامل في صفاته فالإحساس بوجود الله ﷻ فطرة تلازم الانسان مها كانت درجة علمه وإما القدر فإنه كل شي مسجل عند الله ﷻ، وللعقيدة الإسلامية أهداف منها إخلاص النية لله ﷻ وحده؛ لأنه الخالق لا شريك له، وتحرير العقل من التخبط الفوضوي والراحة النفسية والفكرية فلا قلق في النفس، فالعقيدة الإسلامية هي القوة الدافعة والمحركة لسلوك الإنسان ونشاطه في شتى المجالات، وتعتبر أركان الإيمان في الإسلام، التي تتمثل في الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر هي الركيزة الأساسية التي تبنى عليها العقيدة الإسلامية، والمحور والأساس الذي يرتكز عليه تربية المسلم، في كافة جوانب تربيته، فالعقيدة أهم ركن من أركان التربية؛ لأن التربية في الواقع لا تعني الثقافة بمعناها المحدود القائم على العلوم والمعارف وعلى الحركة الفكرية في المجالات المختلفة، ولكنها تضم إلى الثقافة سلوكاً وممارسة عملية على ضوء هذه العلوم والمعارف، فهي منهج متكامل يعتمد على هاتين الركيزتين، العلم والعمل أو المعرفة والسلوك أو الثقافة والأخلاق.

ولما كانت العقيدة أهم ركن من أركان التربية، فإن العقيدة هي أهم ما تنبغي ملاحظته في التربية الإسلامية، بل وفي أي تربية يراد لها النجاح، وذلك أنها هي السلوك والمنطلق الذي يمارس منه الإنسان نشاطه في جميع المجالات، وتتلخص العقيدة التي يدعو إليها الإسلام في كلمة واحدة هي الإيمان.

ولما كان الإيمان هو الهدف الأول في التربية الإسلامية، فيجدر بنا أن نتعرف على حقيقته لنستطيع توجيه التربية لتصبح في خدمته؛ لأن الدين الإسلامي، عقيدة ومعرفة وسلوك.

والإيمان في الإسلام ليس مجرد إعلان التصديق باللسان، أو مجرد القيام بأعمال اعتاد المؤمنون أن يقوموا بها، وليس هو مجرد معرفة ذهنية بحقائق الإيمان؛ لأن كل هذه المظاهر قد توجد ولا يبرز الإيمان الحقيقي، بل هو عمل نفسي تنكشف به حقائق الوجود على ما هي عليه في الواقع، انكشافاً يصل إلى حد الجزم الموقن، وبعبارة أخرى ليس الإيمان في الإسلام مجرد معرفة ذهنية محضة كمعرفة المتكلمين والفلاسفة، ولا مجرد تذوق روحي مجنح كتذوق المتصوفة، ولا مجرد سلوك تعبدي، كسلوك النساك والمتزهدين، بل إنه مجموع هذا كله سالماً من الشطط والإفراط والتفريط، مضافاً إليه إيجابية تعمر الأرض بالحق، وتملأ الحياة بالخير وتقود الإنسان إلى الرشد.

وبالرغم من أهمية العقيدة الإسلامية وأثرها التربوي، فإن نظرة بسيطة إلى واقعنا التربوي في عالمنا الإسلامي المعاصر، تدل على أن التربية الدينية، لا تجد الاهتمام الكافي، في سائر المؤسسات التربوية والثقافية في المجتمع، ويكفى للدلالة على ذلك أن الأصول الدينية الإسلامية شأنها في ذلك شأن الأصول الدينية المسيحية

واليهودية في التربية العربية، محدودة الأثر، لا تتعدى آيات من الكتب المقدسة الثلاثة تحفظ وتستظهر، وقد يفهم معناها وقد لا يفهم، وهى تردد بشكل أو بآخر في دور العبادة، ولكنها لا يتاح لها أن تتحول إلى سلوك عملي، لا في المدرسة، ولا في المنزل، ولا في الشارع، إلا فيما ندر.

وفي النهاية نكون قد عرضنا موضوع عن أركان الإيمان حيث أن فهم هذه الأركان يقرب العبد من ربه ﷻ، كما تعرفنا أيضًا على معنى الإيمان وكيف يصير أي مسلم مؤمنًا تقيًا.

وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وصلى وسلم على نبينا محمد ﷺ وآله وصحبه أجمعين

الفهرس

العنوان	رقم الصفحة
الإهداء	2
المقدمة	3
المبحث الأول: تعريف العقيدة الإسلامية وأهميتها وخصائصها	6
المبحث الثاني: أسماء العقيدة الإسلامية ومصادرها وأصولها وموضوعاتها	15
الفصل الأول: الإيمان بالله ﷻ	19
المبحث الأول: الإيمان بمعرفة الله ﷻ	20
المبحث الثاني: الإيمان بوجود الله ﷻ	24
المبحث الثالث: توحيد الله ﷻ	32
القسم الأول: توحيد الربوبية	34
القسم الثاني: توحيد الألوهية	39
القسم الثالث: توحيد الأسماء والصفات	63
الفصل الثاني: الإيمان بالملائكة	84
الفصل الثالث: الإيمان بالكتب السماوية	100
الفصل الرابع: الإيمان بالأنبياء والرسل عليهم السلام	117
الفصل الخامس: الإيمان اليوم الآخر	134
الفصل السادس: الإيمان بالقضاء والقدر	191
الخاتمة	218
الفهرس	221